١٠٢٣
دار النحاس
روايات عبير
سلسلة قصص و Harlequin

دكان العطارة

بيغي نيكلسون

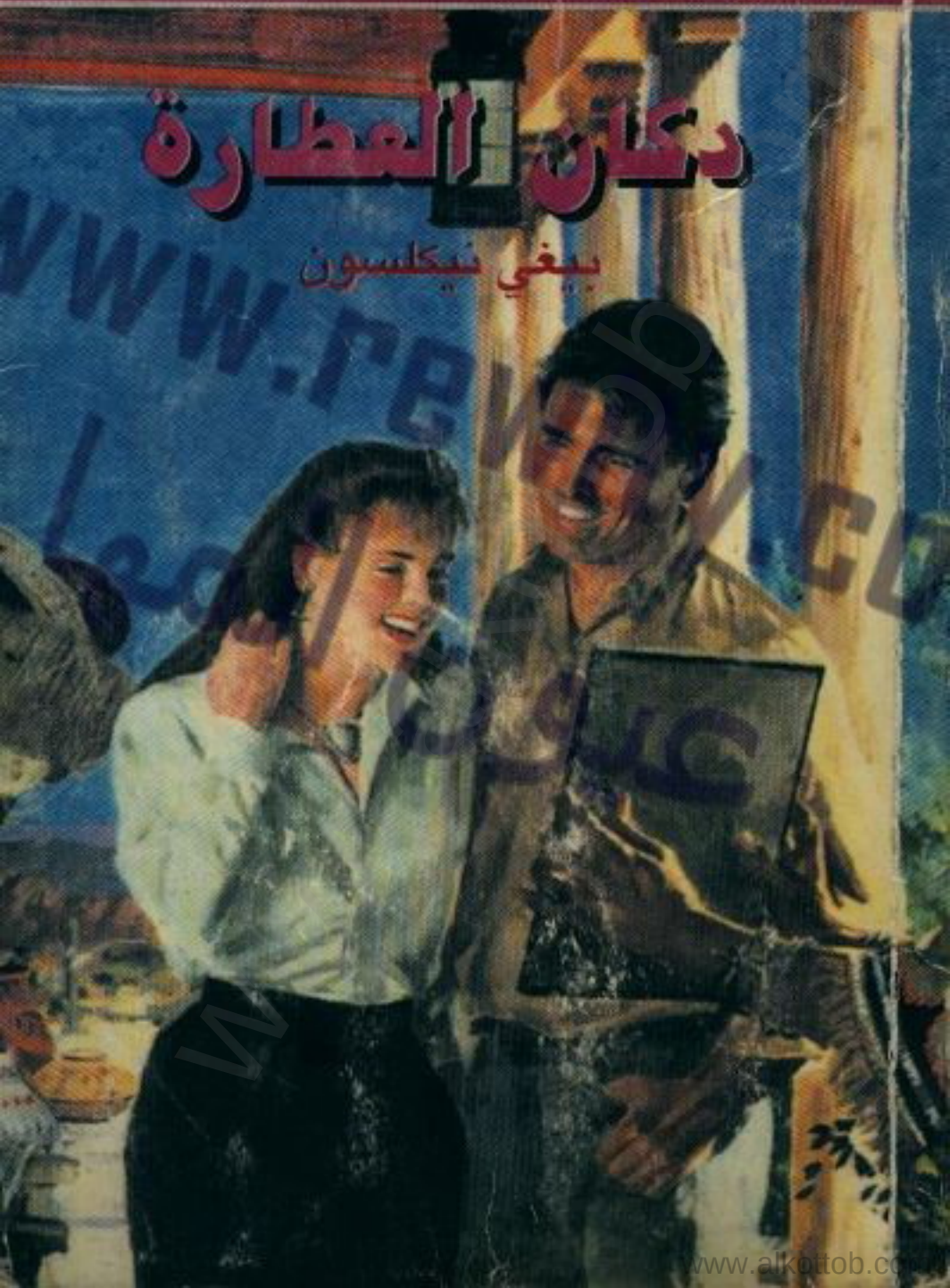

www.alkottob.com

دكان العطارة

بيغي نيكلسون

«سلاح خطر مغطى بقبعة دجاجة!»

هذا ما وصف به المهندس المعماري دايفيد ويتيكر كيلي بوشارد، في حملتها لتحسين وجبات الغداء التي تقدمها مدارس ويست دارتماوث العامة، وبسبب مجموعة قبعاتها الغريبة.

ولكن المالكة، الشفافة الروح، لدكان العطارة، الحانوت الوحيد لبيع الأطعمة الصحية، كانت أكثر مما وصفها به. شكلت كيلي خطراً شديداً على مخططات دايفيد لبناء مدرسة ثانوية جديدة في ويست دارتماوث، المدرسة التي تحتاج إليها المنطقة إلى درجة اليأس... وأصبحت بيدقاً في بلدة، سياستها المحلية أشبه بملاكمة بقبضات عارية.

أسوأ ما في الأمر، أن كيلي أصبحت خطراً على راحة بال دايفيد وربما على قلبه.

www.alkottob.com

العنوان الأصلي لهذه الرواية بالانكليزية:

PURE AND SIMPLE

Copyright © by Peggy Nicholson 1993

www.alkottob.com

«أنت صانعة خير غرّه، تسبح في الفضاء الخارجي.»

لمعت عينا دايڤيد بالضحك. «وسلاح خطر مغطى بقبعة دجاجة...»

«أنا لست كذلك.»

«... ومزعجة بصورة رهيبة.» أضاف متجاهلاً مقاطعة كيلي له.

لم تستطع أن تنكر عليه ملاحظته الأخيرة. ليس بعد أن أنقذها، عملياً من السجن. «إذاً، هيا، استمر بالضحك.»

«ليس اليوم، يا كيلي.» لمس بقبضته ذراعها من دون أن يلتفت عن تحديقه إلى الطريق بعينيه الرماديتين أو عن تركيزه على القيادة.

قبلت الهدنة المؤقتة بينهما بتنهيدة خلاص وأغمضت عينيها. ثم تبادر فجأة إلى ذهنها... لقد ناداها باسمها الأول، وشعرت بالدفء يسري في عروقها وينتشر في كل أنحاء جسمها.

فتحت عينيها عندما توقفت الشاحنة عند مفترق طرق. «أين نحن ذاهبان؟» سألت وقد تنبهت فجأة.

«سآخذك إلى البيت.»

www.alkottob.com

الفصل الأول

بعض النساء يعتمرن القبعات تبعاً للموضة. البعض الآخر يعتمرنها للوقاية من الشمس والمطر. كانت كيلي بوشارد تعتمرها للتنكر، للتعبير عن مزاجها أو أملاً في تغييره. الليلة، وهي تتبع سكان مدينتها على الدرج الأمامي لمدرسة وست دارتماوث الثانوية كانت معتمرةً قبعة الشجاعة.

اختلست نظرة قلق إلى الجموع خلفها. ما أكثرهم. كانت عندها الجرأة للتفكير بأن قليلين هم الذين سيحضرون هذه الجلسة للجنة المدرسة. كم هو عدد الذين سيغادرون غرف جلوسهم المريحة للمشاركة في نقاش حول ميزانية المدرسة للسنة المقبلة؟

من الواضح، أن نصف السكان، على الأقل، في وست دارتماوث سيشاركون.

«هل ستبقين واقفة هنا، يا سيدتي؟»

رفّت كيلي بعينيها ووجدت نفسها تنظر إلى رجل أصلع متوسط العمر. «أوه!» التفتت لترى أن الحشد قد ابتعد عنها متقدماً إلى الأمام وأنها كانت حقاً تسدُّ المدخل. «أوه... أنا آسفة!» ابتعدت عنه، خطت خطوة جانبية وتوقفت من جديد. زحفت يداها النحيلتان والمغطيتان بالنمش نحو حافة قبعتها بطريقة تنمُّ عن اليأس. إذا كان نصف سكان المدينة ينتظرون في الخارج للدخول، فإن النصف الثاني قد أصبحوا في الداخل، ويضجون في البهو. رفعت كيلي قبعتها عن شعرها المجعد ذي

www.alkottob.com

اللون الأحمر ووضعتها من جديد جاعلة حافتها تلامس طرف أنفها المغطى بالنمش. لن يكون باستطاعتها القيام بذلك. فهي لم تقف أمام جمهور منذ أيام التمثيل في المدرسة.

كانت الأشياء مختلفة في تلك الأيام العصيبة. لم تكن هي على حقيقتها... لم تكن ضخمة، خجولة وصاحبة الوزن الزائد كما كان يسميها أصحابها في المدرسة، وهي واقفة تتكلم على المسرح. كانت تلعب أدواراً... مثل والدة هيلين كيللر أو زوجة رئيس البلدية في رجل الموسيقى.

لكن الأمر سوف يكون مختلفاً الليلة إن وقفت وتكلمت. لن يكون عندها دور تختبيء وراءه، بعيداً عن أهل قلقين أو مقترع جديد في وست دارتماوث. لم يكن باستطاعتها القيام بذلك. خلعت قبعتها مرة ثانية وحملقت بها بينما كانت تسحقها بين أصابعها. لقد ذكرتها بالقبعة التي اعتمرتها انفريد برغمان وهي في طريقها إلى المطار في نهاية فيلم كازابلانكا. قبعة شجاعة وتصميم تعتمرها امرأة تدير ظهرها لحبيبها وتسافر بدلاً من أن تخوض معركة... أعادت كيلي ترتيب القبعة ووضعتها على رأسها. حسناً، على أحد، ما خوض هذه المعركة.

بينما وقفت حائرة، بدأت الجموع تتوافد عبر الأبواب المؤدية إلى القاعة. وقف زوجان، ذوا شعر رمادي اللون، اشيب، يتحدثان إلى رجل في الممر حيث كانت كيلي تعبر. كانت المرأة تربت على ذراع الرجل وتطمئنه قائلة: «سوف نصوت للمدرسة الجديدة طبعاً، يا سيد ويتيكر. أكبر أحفادنا في سنته النهائية. وهذه الدروس الإضافية مريعة! لا يجب أن يعود الأولاد إلى البيت سيراً على الأقدام في الظلمة.» تبعت زوجها في الممرّ وهي تهزّ رأسها.

راقبها ويتيكر وهي تذهب وعلى وجهه ابتسامة خفيفة تنم عن رضىً داخلي. ما أن مرت كيلي من أمامه حتى استدار بسرعة. «مرحباً.» كان صوته خافتاً، عيناه ذواتي لون رمادي شاحب، وجهه أسمر اللون. «لم أركِ هنا من قبل.»

«ك... كلا. أعني، بلى! لم ترني من قبل.» كانت قد انتقلت مع سوكي إلى وست دارتماوث منذ شهر فقط. لم يكن لديها الوقت للاجتماعيات بسبب ترتيب المتجر. ليس لديها الوقت الآن أيضاً، لكن...

«دايفيد ويتيكر.» مدّ يده لمصافحتها قاطعاً عليها الطريق. «أنا من أعضاء لجنة المدرسة.»

هذا يفسر توتره، فكلّ وجه جديد كان بمثابة صوت إضافي له. كانت قد نسيت كيف تجري السياسة في بلدة صغيرة بعد أن عاشت عدة سنوات في ولاية كبيرة كبوسطن. «كيلي هول...» توقفت بعد أن وجدت نفسها تتلفظ باسم عائلة زوجها. «بوشارد.» قالت مصححة، بينما أطبق أصابعه على أصابعها.

كان الخطّ الكحليّ اللون حول قزحية عينيه يعطيه نظرةً ثاقبة أو ربما كان حاجباه يعطيانه تلك النظرة القاسية عندما لا يبتسم.

«يسرني التعرف إليك، يا كيلي. أتمنى أن تكوني جئت إلى هنا الليلة لدعم المدرسة الجديدة التي نودّ بناءها؟»

«إلا إذا أرادت أن ترفع نسبة الضرائب التي ندفع.» وقف ليلاند هاورد إلى جانبهما، وهو المالك حيث تعيش كيلي ورئيس مجلس بلدية وست دارتماوث. وبادر ويتيكر بابتسامة مظهراً أسنانه البيضاء اللماعة.

لم يبادله ويتيكر الابتسامة بل قال: «سوف أرفع النسبة إلى دولار واحد في الألف، يا ليلاند. باستطاعة سكان المدينة تحمل

www.alkottob.com

ذلك وأنت تعلم مثلي تماماً أننا بحاجة ماسة إلى هذه المدرسة.»

«أخشى أنني لا أعلم ذلك، وكذلك كيلي وكل المقترعين المهتمين بكيفية صرف الأموال العامة في وست دارتماوث.» جذب ليلاند كيلي من مرفقها وقال: «تعالي، يا عزيزتي، قبل أن تُؤخذ كل المقاعد. دايفيد...»

رمقت كيلي عضو لجنة المدرسة ووجدت أن ابتسامتها للاعتذار قد جوبهت بعبوس. ثم ابتعد ويتيكر للترحيب بوافد جديد آخر.

«أنا سعيدٌ لأنك قرّرت المجيء الليلة.» قال لها ليلاند في أذنها: «هل تنوين إثارة الموضوع الذي تحدثنا عنه؟»

«حسناً، أنا...» إذا قبلت، لن يكون هناك وسيلة للتراجع إذا ما خانتها شجاعتها.

«عليك حقاً القيام بذلك، يا كيلي.» كان المالك قد طلب منها ذلك عشر مرات خلال الأسبوع الماضي. «هذا الصباح، وبينما كنت أتناول فطوري، فكرت بهؤلاء الأولاد المساكين... إنها حقاً قضية تستحق الاهتمام...»

«أجل، إنها كذلك.» قالت كيلي موافقة، لكن لماذا عليها هي إثارة الموضوع؟ أليس ليلاند هاورد هو أفضل مرشّح للتحدث عن هذا الموضوع العام، وهو رئيس المجلس البلدي؟

«اعذريني، يا عزيزتي، إنني أرى زونينغ هناك.» أشار برأسه نحو رجل يلوّح له بيده من الجهة الأخرى للقاعة. «يبدو أنه يريد التكلم معي.»

هزت كيلي برأسها وجلست على أحد مقاعد الرواق. كانت متوترة وسعيدة في الوقت نفسه لأنها كانت تجلس وحيدة. مع أن ليلاند كانت فيه كل الصفات التي تتمناها في المالك، إلاّ أنها لم

تكن تشعر بالراحة معه. «دمثاً.» كانت الكلمة التي خطرت على بالها عندما فكرت به. لكن أليست هذه الكلمة مناسبة لكل السياسيين؟ تابعت بنظرها دايفيد ويتيكر وهو يرتقي الدرجات للانضمام إلى باقي أعضاء لجنة المدرسة على المنصّة، وغيّرت رأيها. «دمث.» لم تكن الكلمة المناسبة لويتيكر. «قاسٍ.» ربما، لكن ليس «دمثاً.» حتى أنه كان هناك بعض الازدراء في نظرته عندما ابتعدت عنه... أم أنه خُيّل إليها ذلك؟

جلس ويتيكر في الوسط وقرّب المذياع وانتظر السكوت. قال: «مساء الخير. سوف أخدم كرئيس لجنة، الليلة. كما أعلنّا في وست دارتماوث ديلي، فجلسة العمل الليلة هي توضيحية، لتزويدكم بالمعلومات. سوف نبدأ بالتحضيرات لميزانية السنة المقبلة في الأسبوع القادم. سوف يتعين عليكم التصويت بالرفض أو القبول لهذه الميزانية في شهر أيار/مايو خلال اجتماع الميزانية للمدينة. لكن قبل البدء بسرد الأرقام، نريد الحصول على بعض المال منكم، أيها الأهل ودافعي الضرائب.»

كانت الأصوات الصادرة عن الحشد تعبّر عن آراءٍ متساوية في الرفض والقبول. «سوف أعطيك المال!» تمتمت المرأة الجالسة قرب كيلي.

«قبل أن أطلب، من الذين يودّون التحدث التقدم إلى هنا، أريد قول هذا.» اختفت ابتسامة ويتيكر وجال بنظره في القاعة. «كلنا يعلم السبب الحقيقي لوجودنا هنا الليلة. إننا بحاجة إلى ثانوية جديدة. إننا بحاجة إليها منذ أربع سنوات، وحتى الآن، قليلون هم الذين تبرّعوا لتمويلها.»

«وسوف نبقى على موقفنا الرافض بتمويلها!» صرخ رجل من آخر القاعة.

www.rewity.com
www.alkottob.com

أجابته امرأة بصوت واضح: «أوه، اصمت يا جو!»

دقّ ويتيكر بمطرقته بقوة على الطاولة مما جعل الجميع يقفز من مكانه: «سوف تحصلون على فرصتكم في الاقتراع في شهر أيار/مايو.» قال مذكراً إياهم: «أما الليلة، أودّ فقط القول إن أولادكم هم الذين يتقاسمون الصفوف الضيقة، وأنتم مثلي تماماً تعلمون أنه يوجد خمسة وثلاثون تلميذاً في كل غرفة صف في هذا المبنى الذي بنيَ في الأربعينات ولم يُرمم منذ ذلك الوقت. هؤلاء هم أولادكم الذين يتعلمون خلال دوامين في النهار الواحد. منذ أربع سنوات، لقد استقطعنا ساعتين من يومهم الدراسي. سوف تحضر لجنة نيو إنغلند للمدارس والجامعات في الخريف المقبل لدراسة وضع المدرسة. «إن لم نبدأ ببناء المدرسة الجديدة فلن نحصل على موافقة اللجنة وبذلك لن يُقبل أولادنا في أي من الجامعات المحترمة في البلاد.»

صرخت جارة كيلي: «أوه، أنت تحطم قلبي!»

خفضت كيلي حافة قبعتها وأدارت وجهها عن المرأة. برأيها، كان ويتيكر يتكلم بمنطقية. الأولاد هم المستقبل أكانوا أولادك أم أولاد غيرك. يجب أن يحصلوا على علم جيد لمصلحة الجميع. كانت سعيدة لأن ابنتها البالغة من العمر ثماني سنوات، لن تتأثر بهذ الموضوع. عندما تصل سوكي إلى الصفوف النهائية تكون هذه المسألة قد حُلّت.

«المال المطلوب لبناء المدرسة هو، طبعاً، منفصل عن ميزانية المدرسة.» ذكرهم ويتيكر. «لكن سوف يحصل بعض التخفيض أو الزيادة في هذه الميزانية. إننا نفتقر إلى المال... لا شكّ في ذلك. إذاً، وبما أننا نطلب من سكان المدينة التصويت بالموافقة على ميزانية بناء المدرسة، سوف تحاول لجنة

المدرسة تجميد كلفة التعليم قدر المستطاع. لن نصرف في العام المقبل أي قرش إضافي على الأشياء غير الضرورية. لقد أقنعنا لجنة المدرسين بالقبول بالراتب ذاته للسنة المقبلة... أو بمعنىً آخر تجميد للرواتب. لا علاوات، ولا ترقيات.»

ملأ صوت التصفيق الحاد جوّ القاعة.

«هاي، إن رواتبهم عالية على كل حال!» صرخ صوت خشن من مكان ما في الغرفة، قابلته عدة أصوات غاضبة لإسكاته.

أسكتهم ويتيكر بعدّة ضربات من مطرقته. «هذا ما يعينه ترميم المدرسة المتوسطة وبناء مدرسة ثانوية جديدة لمعلمي أطفالكم. إذاً، الليلة، نسالكم أن تشاركوا في الاهتمام نفسه وإذا كنتم تقترحون أي أعباء جديدة غير ضرورية، أرجو عدم الخوض في موضوع كهذا. إننا هنا الليلة للبحث في المواضيع الأساسية ولا شيء سوى ذلك. والآن، هل يريد أحدكم الكلام؟»

أطلقت كيلي تنهيدة طويلة بينما كان ويتيكر يرحب بأول المتكلمين ويدعوه للتقدم نحو المذياع. بدا كل شيء أسوأ مما توقعت.

وقف رجل سمين وقصير أمام المذياع وبدأ بالحديث عن الزي الذي يرتديه أعضاء فرقة المدرسة الموسيقية... كان يعترض على شكل الياقة ولون السراويل وما إلى ذلك...

خفضت كيلي قبعة الشجاعة أكثر من قبل وأغمضت عينيها. لم تكن تستطيع التفكير بما يقوله الرجل بل أخذت بتذكّر والدتها، منذ عشر سنوات، عندما تعرّضت لذبحة صدرية بسبب وزنها الزائد.

فتحت كيلي عينيها ونظرت إلى يديها النحيلتين. تحسست ذراعها ووجدت أنها نحيلة أيضاً. لم تعد كيلي السمينة، حتى

www.rewity.com
www.alkottob.com

أمها قد خفض وزنها وأصبحت تمشي خمسة أميال يومياً.

قال ويتيكر بحزم: «شكراً، يا سيد سميث.»

لم يكمل مشجع الفرقة الموسيقية جملته والتفت لينظر إلى ويتيكر. عاد والتفت إلى المقترعين وقال: «لكن كل ما أقوله هو...»

«شكراً لك. سوف نأخذ رأيك بعين الاعتبار.»

بينما كان سميث عائداً إلى مكانه، تقدم شخصان نحو المذياع للكلام. أشار ويتيكر بمطرقته إلى المرأة في المقدمة. «سوف نستمع إليك أولاً يا سيدة ليون، لكن انتظري لحظة من فضلك...»

تشاور أعضاء اللجنة السبعة في ما بينهم. هزّ ويتيكر رأسه ومدّ يده لتناول المذياع. «يا سيد سميث، سوف نتكلم مع رئيس قسم الموسيقى في المدرسة عن موضوعك، لكنني أستطيع التأكيد لك... أنه لن تكون هناك أية زيادة في ميزانية قسم الموسيقى بل خلاف ذلك. أنا أعلم أن البيانو المستعمل لتمارين كورس الصغار والكبار قد أصبح في حالة مزرية. لو استطعت أنت أو أي انسان آخر تأمين بعض الهبات ربما عندها...»

استمرت الحالة على هذا المنوال قرابة الساعة. عدّلت كيلي قبعتها. لم يكن هذا الجمهور لطيفاً أو صبوراً. ولم يتخذ أحدهم حداً وسطاً فكانوا إما معارضين بجنون أو موافقين. لم تستطع تخيل ما قد يقولون حول اقتراحها. رفعت نظرها نحو اللجنة بينما كان ويتيكر يسكت الجموع بصوت مطرقته.

«إذا أراد أعضاء نادي العلوم الذهاب إلى متحف التاريخ العلمي يا سيد بايير، فعليهم دفع تكاليف النقل من مالهم

الخاص. سوف تُستعمل حافلات المدرسة للخدمات الأساسية فقط في العام المقبل.» جال بنظره في القاعة وقال: «هل من أحدٍ آخر يودّ التكلم؟»

إن أرادت القيام بذلك فقد حان الوقت لذلك. رمقها ليلاند هاورد، الذي كان يجلس مع صديقه زونينغ، بنظرة ذات معنى من الطرف الآخر من القاعة.

كان قلبها يخفق بقوة في قفصها الصدري. لم تكن تستطيع القيام بذلك.

«محسناً.» قال ويتيكر بارتياح. «لننتقل الآن إلى جدول الأعمال. لقد حضّرنا بعض اللوائح عن كلفة بناء المدرسة الجديدة. أخشى أن الأرقام قد ارتفعت منذ أن حضّرناها في السنة الماضية، لكن...»

«انتظر!» قالت كيلي وهي تقف.

نظر ويتيكر إليها بانزعاج. «لقد انتهى وقت الاقتراحات، يا سيدة بوشيرد؟»

«بوشارد.» قالت كيلي بصوت مخنوق. خفضت قبعتها وقالت بصوت أعلى هذه المرة: «أريد الكلام.»

لقد أحست برهبة المسرح عدة مرات من قبل عندما كانت ما تزال في المدرسة.

«شكراً لك.» قال ويتيكر بينما كانت متوجهة نحو المذياع. «لكن...»

حملت المذياع ورفعت قبعتها عن رأسها مظهرة شعرها الأحمر اللون.

ارتفع صوت ويتيكر قائلاً: «لقد قلت إن وقت الاقتراحات قد...»

www.newity.com
عيون الكتب
www.alkottob.com

«أوه، دعها تتكلم!» قال صوت تعرفت عليه كيلي إنه صوت المالك. «إنها مقترعة، أليس كذلك؟»

«صح.» قال صوت آخر.

«شكراً.» قالت كيلي بسرعة. «لقد طلب منا السيد ويتيكر التكلم عن المواضيع الأساسية الليلة، لكن ما أريد الحديث عنه اليوم هو الموضوع الأكثر أهمية في كل هذا. أريد التكلم عن... الطعام.»

ضحك شخص ما على الفور في القاعة مما جعل كيلي تخفض قبعتها حتى أنفها. ورفعت رأسها وقالت: «ابنتي، سوكي، في الثامنة من عمرها وهي عادة تأخذ غداءها معها إلى المدرسة لكن ذات يوم، قايضت طعامها بطعام صديقتها المحضر في كافيتيريا المدرسة.»

«هل يمكننا الدخول إلى صلب الموضوع؟» قال ويتيكر بنفاد صبر.

رمقته بنظرة غضب واستدارت مجدداً نحو الحضور. «الموضوع هو أنها تقيأت مباشرة بعد أكله.»

«وماذا إذاً؟» قال جو الرجل الأكثر كلاماً.

«عندما لاحظت أن سوكي لم تكن مريضة، وأن الطعام هو السبب في ما حصل لها، بدأت بدراسة لوائح الطعام. وقد أذهلني ما رأيت. طعام مطهو على طريقة العصر الحجري! هوت دوغ مغمس بالسمن، همبرغر مقلي بالسمن. بيتزا مغطاة بالسمن، خضار خالية من الفيتامينات بسبب كثرة الغلي. مخللات، مخللات، ومزيدٌ من المخللات. هذا هو ما يقدمه قسم التغذية لأولادكم. إن معدل وزن الطفل الأميركي يزيد أربعة ارطال عن معدل وزن أي طفل منذ عشر سنوات وهذا هو السبب. إننا

نعلمهم طرق وعادات خاطئة في تناول الطعام! عادات خطرة! وأظن أن الغذاء الجيد هو جزء أساسي من التربية الجيدة.»

كان الحاضرون يضجون ويتهامسون بينما كانت تتابع كلامها وكان عليها رفع صوتها لكي تُسمع. إلاّ أنها لم تستطع تحديد من كان معها أو ضدها.

«سيدة بوشير؟» قال مقاطعاً إياها. «هل تمانعين في إخبا...»

«بوشارد.» صححت له.

«بوشارد، هل تتفضلين وتخبرينا عن الذي تريدينه بالتحديد، غير ولد أميركي نحيل؟»

«مؤكد.» قالت وهي تهزّ كتفيها. كانت قد نسيت خلال ستة أشهر كيف يمكن لرجل استعمال السخرية للسيطرة. لكن بعد ستة أشهر بعيداً عن لاري، علمتها الحرية أشياء كثيرة. «مؤكد.» قالت مكرّرة بكبرياء. رفعت قبعتها إلى الوراء. «أريد أن توظف وست دارتماوث خبيراً في التغذية لتحضير طعام غداء المدرسة.»

«هذا موضوع غير قابل للنقاش.» ردّ ويتيكر بسرعة: «التوظيف مجمّد حتى السنة القادمة ويوجد لدينا على كل حال مسؤولة عن هذا الموضوع... السيدة هيغينز. في الواقع، عليك الاتصال بها إذا كنت مهتمة بهذا الموضوع...»

«لقد فعلت. لقد تحدثنا بالهاتف في الأسبوع الماضي. لم تدرس السيدة هيغنز أي مادة عن التغذية في الجامعة. وقد أخبرتني أنها تقدم الوجبات ذاتها منذ ثلاثين عاماً وسوف تقوم بالشيء نفسه خلال السنوات الثلاثين المقبلة. هذا ما أردت إطلاعكم عليه!» خلعت قبعتها ورمقت الحضور بنظرة محبة.

«أنا متأكدة بأن السيدة هيغنز طاهية ممتازة، لكن معلوماتنا

www.pewity.com
عيون
www.alkottob.com

عن الطعام الصحي قد تغيرت كثيراً خلال السنين الثلاثين الماضية. هناك تقرير الفرامينغهام! والدراسة الصينية!»

سألها ويتيكر بلؤم: «هل تقترحين أن نستعمل العيدان الخشبية في الكافيتيريا؟»

نظرت إليه بغضب ثم استدارت نحو الناخبين. «أنا أوصي بتحديد نسبة الدهن في طعام أولادنا كما تنصح جمعية القلب الأميركية منذ سنوات. ما أقوله هو إنه علينا تقديم وجبات أقل دسماً وأكثر عناصر صحيّة بدلاً من وجبات من اللحم الأحمر. يجب أن يكون عندهم خيار بين عدة أنواع من الخضار واللبن. إنهم بحاجة لمخللات أقل، ملح أقل، وكوليستيرول أقل...»

قفزت حينما دوى صوت المطرقة من خلفها. «شكراً لك، يا سيدة بوشارد.» قال ويتيكر بتعب: «سوف نهتم بهذا الموضوع.»

وجهت كيلي قبعتها نحوه. «لا أظن أن هذا ما عنيته فعلاً!» كان الحضور يضجون من خلفها.

«أنت على حق.» قال دايفيد ويتيكر بصوت ناعم وخافت. «ليس هذا ما عنيته. ما أقصده فعلاً أننا سوف نوصي بطلبك القيم وسوف نقوم به في سنة أخرى عندما يصبح لدينا المال الإضافي للانفاق!» تحول صوته من زمجرة إلى همس. «إذن، هل تسمحين، أرجوك تفضلي بالجلوس ودعينا ننتقل إلى الموضوع الذي نحن هنا من أجله الليلة؟»

أحست كيلي بيدٍ تمسك من مرفقها. استدارت مندهشة لتجد رجلاً سميناً ذا وجه أحمر مرتدياً قبعة بيسبول يدفعها بعيداً عن المذياع.

صرخ ويتيكر: «هذا يكفي!»

وقف سيد طاعن في السن وقال: «نعم بالفعل هذا يكفي. لقد سئمت من الناس وهم يحددون لي ولأولادي ماذا نأكل! ماذا نشرب! كان أبي يحتسي الشراب طيلة النهار، يأكل شرائح اللحم الخالي من الدهن كل يوم على العشاء، ويدخن كثيراً وعاش خمسة وسبعين عاماً؟»

خلال الارتباك الحاصل في القاعة، لم يلاحظ أحد كيلي التي توجهت إلى مقعدها. أو ربما اعتقدت كذلك، حتى التفتت وقابل نظرها عينين رماديتين كانتا تراقبانها من على المنصة.

كان دايفيد ويتيكر قد هبط في كرسيه لدرجة أن رأسه كان لا يكاد يظهر فوق الطاولة. عقد ذراعيه ومد ساقيه الطويلتين أمامه. كانت جلسته تنمّ عن تعب شديد لكنّ نظره المركز عليها كان يَعِدُ بأعمال أكثر إثارة. لو كان باستطاعة النظر القتل...

في الساعة العاشرة، كانوا ما يزالون يناقشون موضوع الطعام بحرارة عندما تقدم الحارس إلى مقدمة الجموع وأخبرهم أن باستطاعتهم مناقشة الموضوع حتى طلوع الفجر، لكن إن فعلوا ذلك فسوف يكون عليهم اطفاء الأنوار وسخّان المياه وإقفال المدرسة لأنه قرّر الذهاب إلى البيت.

تبعت كيلي الحشد المغادر عبر الرواق نحو المخرج. لكن شيئاً ما دفعها للنظر خلفها للمرة الأخيرة.

على المسرح، كان دايفيد ويتيكر ما يزال في الوضع ذاته. لكن على الرغم من المسافة، كان باستطاعة كيلي أن ترى عينيه الرماديتين تحدقان بها، من بين كل الناس وكأنهما تُحدثان فجوتين في جسمها.

www.alkottob.com

الفصل الثاني

لم تكن كيلي بحاجة لقبعة الشجاعة في متجرها. كانت تراقب المكان بنظرة رضى في اليوم التالي وهي تقف خلف صندوق النقد. بعد شهر من المجهود المضني، أخذ متجرها، بيور أند سيمبل، للأطعمة الصحية شكل دكان عطارة.

كانت الرفوف طافحة بصناديق الحبوب المزروعة على الأسمدة العضوية. كان منظر خوابي الأرز والجذر مغرياً للنظر، والصابون المصنوع من زيت الزيتون يعبق المكان بالرائحة الذكية. في الأعلى، علقت سلال الأعشاب الخاصة بالطهي بطريقة توحي بأن هذا المكان مخصص للمزوعات الصحية.

كل ما عليها الآن هو انتظار الزبائن لاكتشافها. نظرت كيلي من النافذة المطلة على موكز وست دارتماوث التجاري. كان موقعاً جيداً... لم تكن تلك هي المشكلة. لكن المدينة لم تكن معتادة على دكان عطارة من قبل؛ سوف يحتاج السكان لبعض الوقت للتعود على الفكرة.

«هل هذا الطبق بالجودة نفسها التي يبدو عليها؟» سألت زبونه كيلي الوحيدة. تقدمت المرأة المسنة من الصندوق ووضعت كل ما تحمل قربه.

رفعت كيلي البطاقة المطبوع عليها شعار الدكان وقرأت العنوان. «أوه، أجل، شعيرية حارة مع صلصة الفستق. إنه أحد أطباقي المفضلة.»

كانت كتابة الوصفات فكرة كيلي منذ البداية. كانت تطورها أو

تختارها من كتب الطبخ المفضلة لديها، منذ أن كانت في العشرين من عمرها. عندما ولدت سوكي، توقفت كيلي عن العمل في متجر زوجها للأطعمة الصحية في بوسطن، وكي تشغل وقتها خلال ساعات نوم طفلتها، أخذتها هواية الطهي. كانت فكرتها بأن الزبائن سوف يشترون الأطعمة الغريبة، إذا تعلموا كيف يحضرونها.

لقد أحضرت فلسفتها ووصفاتها معها بعد الطلاق. علبٌ من البلاستيك معلقة على الرفوف في المتجر. كل علبة تحتوي على مجموعة من البطاقات كتب عليها وصفات تحتاج إلى مواد تبيعها، وكانت تغير الوصفات أسبوعياً.

تفحصت كيلي الأطعمة الموضوعة أمامها على الصندوق. «سوف تحتاجين إلى بعض الزنجبيل الطازج لهذه الوصفة. هل عندك منه في المنزل؟»

بدت المرأة المسنة مذنبة. «عندي بعض الزنجبيل المطحون وظننت...» توقفت بينما ابتسمت كيلي وهزت رأسها.

«الزنجبيل الطازج يعطي فرقاً كبيراً.» تقدمت نحو رف قريب منها وانتقت بعض الزنجبيل من سلة. «هل تقبلين عينة؟ عليك فقط تقشيره وتقطيعه قطعاً صغيرة. سوف يعبق مطبخك برائحته الذكية، أما الطعم...» قبلت أطراف أصابعها.

راقبت كيلي المرأة وهي تبتعد مبتسمة، وضغطت على مرفقيها بعناق سري. سوف تعود هذه المرأة. سوف تكون بمثابة لطلاقة لي! أنا أعلم ذلك. كان لاري قد ضحك عندما أخبرته أنها سوف تفتح متجراً خاصاً بها وأنها تريد عقد إيجار الموقع الجديد كجزءٍ من اتفاق تقسيم الأملاك. وقد تنبأ لها بالافلاس في أقل من سنة. لكنني لن أفعل. لا يمكنني تحمل ذلك. يجب أن أجعله يزدهر.

www.alkottob.com

لاحظت أنها انتقلت من الابتسام إلى القلق خلال ثلاثين ثانية. كان ذلك متوقعاً. فقد حذرتها أمها على الهاتف في الأسبوع الماضي. كانت تقرأ كتاباً عن المطلقات حديثاً.

ابتسمت كيلي لمجرد التفكير بأمها صاحبة النصائح ورفعت رأسها لتجد أمامها زبونة جديدة تدخل الدكان. «مرحباً.»

«مرحباً.» بدت هذه وكأنها تعرف الفرق بين جذور الزنجبيل وجذور الجنسينغ. كانت ترتدي بلوزة مقلمة وسروالاً من الجينز وتتدلى من رأسها ضفيرة سميكة تكاد تصل حتى خصرها. تقدمت نحو الرف حيث توضع الأعشاب البحرية.

نظرت كيلي إلى شعر زبونتها بقليل من الحسد. لطالما حلمت وتمنت أن يكون شعرها أملس وطويلاً. «هذا، أوه، رائع.» قالت زبونتها مبتسمة وهي تضع الأغراض التي تود شراءها على الصندوق.

«أليس كذلك؟» هزت كيلي رأسها وسجلت سعر قشدة الحليب. سوف تجمع مبلغاً جيداً اليوم. كانت المرأة قد ابتاعت أغراضاً كثيرة وكأنها سوف تقيم حفلة.

«هاي، أنا أعرفك!» قالت المرأة بينما كانت كيلي تحتسب ثمن ثماني اوقيات من الأعشاب الجافة. «أنت التي ألقيت محاضرة عن موضوع الطعام في المدرسة، الليلة الماضية، أليس كذلك؟ منذ سنوات وأنا أفكر في الحديث عن هذا الموضوع، لكن كانت تنقصني الجرأة.»

«لا أعلم كيف قمت بذلك.» اعترفت كيلي. «أتعلمين، لو تكلمت إثنتان منا لما كان الأمر بهذه الصعوبة. كان الاهتمام شديداً، حتى لو لم يعلموا ماذا يريدون بالتحديد. ربما لو وقفنا معاً خلال اجتماع الميزانية المقبل وحضّرنا لائحة بالاقتراحات...»

لكن المرأة هزت رأسها وهي تبحث في حقيبتها. «لن ينجح الأمر أبداً. لقد قلته بنفسك... هذه المدينة تعيش في العصر الحجري.»

«لقد قلت إن طعام الكافيتيريا كان من العصر...»

«أوه.» قالت المرأة مقاطعة. «أوه، اللعنة! محفظتي!» رفعت رأسها عن حقيبتها وأطلقت ضحكة ارهاق. «ليست هنا، لم أحضرها. جاء بائع الصحف البارحة لأخذ بعض المال و...»

«لا باس.» قالت كيلي وهي تبتسم. «يحصل هذا الأمر، معي كثيراً.» أرادت أن تقول للمرأة إن بامكانها أخذ الأغراض والدفع لاحقاً، لكنها لم تكن وسيلة جيدة لإدارة متجر، خاصة وأن ابنتها سوكي مسؤولة منها.

«سوف أعيد كل شيء إلى مكانه.» قالت المرأة وقد احمرت وجنتاها من الاحراج.

«أرجوك، لا تزعجي نفسك. هل تريدينني أن أضعها لك جانباً حتى عودتك؟»

لكن على ما يبدو، فإن المرأة لن تعود قبل أسبوع. أسرعت بالخروج من المتجر وهي تتمتم بالاعتذارات.

«حسناً، اللعنة!» تمتمت كيلي وهي تجمع الأغراض.

«اللعنة!» توقفت فيكتوريا فيريرا، مالكة صالون التجميل بيزاز الملاصق لمتجر كيلي، أمام الباب.

«كنت أنتزع الهزيمة من فك الانتصار.» قالت لها كيلي وهي ترفع ذراعيها المليئتين بالأطعمة كبرهان. «الزبونة نسيت محفظتها.»

«سوف يفعلون ذلك كثيراً.» قالت فيكتوريا موافقة على كلامها. «لقد حصل ذلك معي في الشهر الماضي عندما كنت أصفف شعر فتاة بعد أن كنت قد أمضيت ساعة ونصف الساعة في قصه.»

www.rewity.com
عبون الوما
www.alkottob.com

«ماذا فعلت عندها؟»

«التقطت مقصي وهددتها بقص شعرها مرة أخرى إن لم تتصل بوالدتها وتطلب منها احضار المال في الحال.»

«هل نجحت الفكرة؟» ضحكت كيلي وهي تحاول تخيل نفسها ترمي ببعض السوائل في وجه زبون لم يدفع.

«لم تكن أمها في المنزل، وكنت أخشى أنني سوف أبدأ بقص شعرها لكن زميلها الموجود في الخارج دفع المال.»

«علي أن أضع هذه الأغراض في الخلف، هلا راقبتي المكان قليلاً؟» كانت فيكتوريا قد قضت أول اسبوعين من تعارفهما وهي تحاول إقناع كيلي بأن عليها ابقاء نظرها على صندوق النقد. لم تكن كيلي تحب التفكير بأن ذلك صحيح، لكن...

«طبعاً، وسوف آخذ قليلاً من طعام الأرانب، إذا كنت لا تمانعين.»

«حسناً.» تمتمت كيلي وهي تضع آخر علبة في مكانها. كانت قد عقدت اتفاقاً مع فيكتوريا بحيث تقص هذه الأخيرة شعر كيلي وابنتها مجاناً وتحصل بالمقابل على مواد لصنع السلطة كلما احتاجت إلى ذلك.

بينما كانت تضع علبة مزيج الفلافل على الرف سمعت صديقتها تقول: «أهلاً وسهلاً بماذا أستطيع مساعدتك؟»

«إنني أستطلع فقط، شكراً لك.» ردّ صوت رجالي خافت وظهرت على وجه كيلي ابتسامة رضى.

حسناً، ليستطلعوا كما يشاؤون. سوف يعودون لاحقاً للشراء. دارت حول مؤخرة الممر لتجد نفسها وجهاً لوجه مع دايفيد ويتيكر.

كان مندهشاً مثلها تماماً. «أنت!» قال لها بينما تحولت ابتسامته إلى عبوس.

«أنا...» كان جواب كيلي. شدت علبة البيتزا وبعض أكياس الأرز نحو صدرها مما أدى إلى وقوع كيس على الأرض وتبعثرت محتوياته بين قدميها.

نظر ويتيكر إلى الأرز المتناثر ثم رفع نظره إليها. «لماذا لم يخطر ببالي انني قد أجدك هنا؟» التقط الأكياس السليمة، نهض وهو ينظر إلى ما ألتقطه. ابتسم وقال: «على الأقل أنت تمارسين ما تعظين به.» هز رأسه وأعاد الأغراض إلى مكانها.

كانت عيناهما على المستوى ذاته مما جعله يبدو في طول لا يري نفسه، سبب آخر لكرهه. نظرت إلى معصمه بينما كان يعيد كيساً من الأرز الأسمر إلى مكانه فوق علب البيتزا. كانت استدارته ضعف استدارة معصمها، يغطيه قليل من الشعر الأسود الظاهر من تحت كم قميصه.

سألها ممازحاً: «أنت تتكلمين فقط أمام جمهور؟»

تأثرت بسخريته المقصودة. «طبعاً لا.» وأشارت إلى العلبة التي كان ما يزال يحملها. «هل تسمح بإعطائي أعشاب البحر خاصتي؟»

حاولت عدم القول له إنه يشبه هذا النوع من الناس الذين يعيشون على يخنة لحم البقر.

إلا إذا كانت لديه زوجة جاءتها الفكرة من حيث لا تدري ونظرت بسرعة نحو إصبعه فوجدته خالياً من أي خاتم زواج. رفعت نظرها ولاحظت أنه انتبه لما كانت تفعل.

كانت ابتسامته غريبة. «المادة البيضاء الناعمة هي نوع من الأعشاب التي تزيد نسبة كمية الغذاء في الطعام. إنها موجودة فقط في أفضل أنواع الأعشاب.»

أنت ابتسامته هذه المرة من القلب، حتى أنها لاحظت بعض اللمعان

www.alkottob.com

في عينيه. «هل حقاً تظنين أن أولاد وست دارتماوث قد يفضلون الأعشاب على الهمبرغر أو البطاطا المقلية، يا سيدة بوشارد؟»

«التذوق هو قضية تربية.» قالت مصرة: «وكلما أسرعت في تعليم الأولاد على تناول الطعام الصحي كلما كان ذلك أفضل.»

«التذوق هو قضية تذوق.» قال معترضاً: «ولا يمكنك إجبار طفل على تناول هذه الأوصال اللزجة.»

قالت كيلي بغضب: «أعلم ذلك! لست أقترح أن يبدأ الطفل بتناول هذا النوع من الطعام. لكن باستطاعة طاه ماهر صنع المعجزات بمزجه حبات الفاصولياء مع الأرز الأسمر. ويمكنه مزج قشدة الحليب مع كل أنواع الطعام والحصول على نكهة طيبة. يمكنك إضافتها إلى جميع الأطباق تقريباً فهو يحتوي على كمية جيدة جداً من البروتين و...»

«طبعاً، أنا أفهم ذلك.» لكن لم يبدُ عليه أنه فهم أي شيء. «لكن ما قصدت البارحة، هو أن الميزانية لهذه السنة لا تتحمل أية مصاريف جديدة. وست دارتماوث بحاجة ماسة إلى ثانوية جديدة... إنها بحاجة لها منذ أربع سنوات.»

«أنا أفهم ذلك، وأنا مع انشاء مدرسة ثانوية جديدة، إذا كانت ضرورية، لكن...»

لم يكن ديفيد ويتيكر ليتخلى لها عن المبادرة. «أنا آسف لأنني صعبت عليك الأمر، يا سيدة بوشارد، لكنني أظن أنك لم تفهمي ماذا فعلت. كانت لجنة المدرسة تحاول الحصول على موافقة جماعية... لذلك دعونا الأعضاء إلى ذلك الاجتماع. ثم جئت أنت وشتتِ أفكارهم بأحلامك الصغيرة عن نباتات الفاصولياء والطعام الصحي الذي لن يتقبله أحد في هذه المدينة.»

كان يقوم بنلك مجدداً... يهزأ بها محاولاً إخافتها. من دون

مذياع أو جمهور ليشهدوا على اهانته لها، كان ذلك مسيئاً كفاية.

انتصبت كيلي ونظرت مباشرة في عينيه. «الطعام الصحي ليس كمالياً.» أعلنت له. «والطهي القليل الدسم هو طريقة أساسية للعيش، طريقة علينا تقبلها. إنها منطقية... لعدة أسباب. جرت دراسة في يوغالوسا، لويزيانا، منذ عدة سنوات. أظهرت أن ثلث الأولاد، يصابون في سن مبكرة بأمراض القلب! هذا ما سيفعله الطعام الأميركي بأولادنا، تقصير حياتهم، جعلهم...»

«حياة قصيرة بأكل الهوت دوغ والهمبرغر، يا سيدة، أفضل من مئة عام من العذاب في تناول سقط المتاع هذا!» ربت ويتيكر على علبة البيتزا التي في يدها وقال: «قشدة الحليب والأرز مع بيتزا موزاريللا... ما هذا الهراء! يمكنهم قتلي قبل أن أتناول مثل هذا الطعام. ألم يخبرك أحد بأن المفترض في تناول الطعام هو أن يكون ممتعاً؟ ليس فقط وقوداً لاطالة العمر. الطعام لذة. وأحسن ما فيه أنه نوع من الفن.»

لم يكن جاهلاً كما ظنت. هزت رأسها رافضة اتهاماته بأن الطعام الصحي عقيم ومن دون طعم. وإذا كان يهتم مثلها بالطعام، لوجدت بينهما قواسم مشتركة. «سيد ويتيكر...»

«ما... هذا؟» قال مقاطعاً ومحملقاً بها. تحرك بالاتجاهين للنظر إلى رأسها من الخلف. ارتفعت يده لتحوم فوق رأسها.

شعرت كيلي بالتوتر بينما امتدت يده لتلاعب البلابل، وربت على إحداها وضحك. «لقد وجدت قبعتك البارحة غريبة بعض الشيء لكن هذا...» هز رأسه وأضاف: «أنت في الجزء الخاطىء من البلاد، يا بوشارد. أنت كاليفورنية محضة. تلك الولاية مليئة بأمثالك من الناس.»

«أمثالي من الناس؟» سألته ببرود وقد لاحظت أن كلماته لم

www.newitybooks.com
عبود

www.alkottob.com

تكن اطراء. حاول لمس بلابلها مرة أخرى إلا انها أبعدت رأسها إلى الوراء، حتى لا تكون في متناول يده ثانية.

تأرجح على كعبيه بينما يجول بنظره على المتجر حتى آخره. «يا إلهي، ألا يوجد شيء صالح للأكل هنا؟» تقدم خطوة والتقط علبة. «خميرة وبسكويت بالثوم. هل حقاً يأكل الناس هذه الأشياء؟» رمقها مجدداً بذهول.

قالت بسرعة: «أنت في قسم طعام الحيوانات!»

«تعنين أن الناس تطعم هذه الأشياء لحيواناتها، أيضاً؟ ما سيفعل بووسير المسكين عندما يجوع؟ يعض على خشبة؟ من أي نوع هذا السادي المجنون الذي يدير مكاناً كهذا...» توقف كلماته بينما كانت كيلي تربت على صدرها. «أنت؟ هل هذا

قالت كيلي: «متجري.»

«ظننت أنك كنت تتسوقين...»

هزت كيلي رأسها ولم تهتم كم وجد بكلة شعرها سخيفة. «متجري يا سيد ويتيكر، وبما أنك وجدته مقرفاً لهذه الدرجة.

«اسمعي، ربما تماديت قليلاً. إنه فقط...»

«كلا، لقد قلت رأيك وأنا أقدر ذلك دائماً.» أمسكته من ذراعه وهي تدفعه بلطف نحو الباب. أحست بعضلات ذراعه القوية تتقلص الناعم فابعدت يدها عنه. «لسوء الحظ، إن هذا النوع من التفكير هو الذي يقود إلى السمنة الزائدة وقلة الصحة في هذه البلاد ويؤدي إلى تلوث مزارعنا بالمقويات المسممة والمبيدات القاتلة. أمثالك هم الذين يعلبون العجل.»

«ليس عندي ولا عجل واحد في علبة.» قال ويتيكر معترضاً ومحاولاً الاستدارة لكنها منعته وأمسكت بطرف كمه بين أطراف أصابعها وأجبرته على التقدم.

«أراهن على أنك تأكل لحم العجل، وأن البيض يأتي من دجاجات لم تر نور النهار أبداً.» ولما أصبحا أمام باب المتجر طعت حديثها. «والآن، لو أخذت كل الحبوب التي تطعم بها مواشي وقدمتها للعالم، لما جاع أحد. سوف يكون هناك طعام كافٍ للجميع. هذا هو التفكير الشاذ الذي نستعمله في هذا المتجر، وبما أنه لا يعجبك، يا سيد ويتيكر، قد أستطيع ربما اقتراح مطعم الهمبرغر في آخر الشارع!»

«بعد محاضرة كهذه، سوف آخذ همبرغر مزدوجاً بالجبنة لإعادة احياء نفسي من جديد.» قال موافقاً على اقتراحها.

«حسناً، تمتع به.» قالت له وهي تبتسم ابتسامة عذبة. أرادت أن تضحك عالياً، أن تضم نفسها وترقص رقصة الانتصار. استطاعت الوقوف في وجه المعترض الأعظم! لم تكن لتفعل ذلك منذ ستة أشهر وكان ذلك رائعاً للغاية!

نظر إلى وجهها وقال: «شكراً.» وهو يفلت أصابعها. مد يده وربت على بلبل، جاعلاً إياه يتأرجح على طرف البكلة الحريري. «سوف أبذل جهدي.»

لم تكن رباطة جأشها رديئة. اعترفت كيلي وهي تحدق خلفه. مع ذلك، فقد ربحت هذه الجولة. سوف يفكر مرتين قبل الهزء من متجرها أو منها مرة أخرى. استدارت بينما انضمت إليها فيكتوريا.

«كان ذلك ديفيد ويتيكر الذي رميته خارجاً.» قالت فيكتوريا.

«أجل، هل تعرفينه؟» وافقت كيلي غيابياً وهي تراقب ويتيكر يبتعد عن المتجر.

«أوه، أوه.» تمتمت فيكتوريا بصوت جاف وعيناها مركزتان على ويتيكر. «عليك أنت أيضاً أن تعرفيه. إنه المالك.»

www.alkottob.com

الفصل الثالث

«ظننت أن جو رومينو هو مالك المركز التجاري!» أنّت كيلي فيما أطلق إبريق الشاي صفارته. انسحبت مع فيكتوريا خلف طاولة البيع لتحضير كوبين من شاي الأعشاب.

«يمتلك جو نصف المركز التجاري وهو المدير المسؤول.» فسّرت لها فيكتوريا. «هو من يقرر أي نوع من المتاجر يحتاجون ويتفاهم مع البائعين. لكن ويتيكر يمتلك النصف الآخر. إنه يمر من هنا مرة كل شهر. لا يتذكرني أبداً، مهما قمت بحركات من عيني.»

«ما مدى تأثيره على رومينو؟» سألت كيلي. إذا كره ويتيكر متجرها بهذا القدر، هل هناك طريقة تمكنه من الغاء عقد إيجارها؟ باستطاعته رفض تجديده في السنة المقبلة!

رفعت فيكتوريا كتفيها. «لا أعلم. سمعت أنهما صديقان منذ أيام الطفولة. لقد عاد ويتيكر من كاليفورنيا منذ حوالي السنتين...»

«كاليفورنيا!» صعقت كيلي لسماعها ذلك. «إنه من كاليفورنيا؟» بدا ويتيكر وكأنه سيكون سعيداً لو غرقت كل الولاية في المحيط الهادي!

«لا، إنه من مواليد هذه المدينة.» قالت فيكتوريا. «لكنه درس في الجامعة هناك، ثم بقي لفترة. عاد منذ سنتين، أول ما عرفه الناس عنه أنه تعاقد مع جو رومينو. جو يملك قطعة الأرض هذه. وويتيكر خبير في تصميم وبناء المراكز التجارية... يقولون إن هذا ما درسه

في الغرب. الأشياء الباقية تعرفينها... وها هو... مركز وست دارتماوث التجاري، ولم يعد علينا التبضع في فول ريفر بعد اليوم.»

«هل تظنين بأنه سيرمي بي خارجاً؟» سألت كيلي بقلق.

«لا تكوني سخيفة.» قالت فيكتوريا محاولة التخفيف عنها. إنه سمكة كبيرة. الشاب غني، حسبما أسمع. وأنت من صغار السمك... لماذا يشغل نفسه؟ لأنك أمنته؟»

«هو غني؟»

«طبعاً، هو كذلك. لقد جمع المال من القيام بالمقاولات، كما كان يفعل والده هنا في وست دارتماوث. ومنذ ذلك الوقت، أصبح ناجحاً جداً. أظن أنه ما يزال يستعين بوسائل والده. هذا الشبل هو ابن ذاك الأسد، كما يقولون دائماً.»

«ماذا تعنين بوسائل والده؟»

«كان ذلك منذ أن كنت في المدرسة... لا أتذكر كل التفاصيل.» قالت فيكتوريا معترفة. «لكن كان لوالده معارف كثر. كل أصدقائه كانوا أعضاء في مجلس البلدية، وأعضاء مجلس التخطيط المدني. كان هناك حديث عن قطعة أرض ملكٌ للمدينة في آخر الشارع حيث تسكنين. على كل حال، اشتراها بمبلغ زهيد من المدينة وبلمح البصر حولها إلى مبانٍ ضخمة وباعها بمبالغ كبيرة على الخارطة، خاصة وأنها تطل على النهر. حصل على حوالى المليون من هذه الصفقة. ولما بدأت الأساسات والجدران بالتشقق كان الأوان قد فات. ولأنه استعمل اسم شركة وهمية، اعلنت افلاسها سابقاً، لم يستطع أحد المساس به، فقد كان فتى ذكياً.» أنهت فيكتوريا بنبرة اعجاب متمتعة.

لم تشعر كيلي بالاحساس ذاته، بل ببعض خيبة الأمل وعدم التصديق. ليس لأنها لم تكن تثق بكلام فيكتوريا. فقد شهدت كيلي

www.alkottob.com

كثيراً من هذه الممارسات في سبيل الكسب السريع. «لكن ما الذي يجعلك تظنين أن دايفيد ويتيكر يتبع خطى أبيه؟» سألتها.

«لأنه يتبع السياسة نفسها، وعلى ما يبدو فإن معارفه كثر مثل أبيه. ما أن مضى على عودته شهران حتى تدبر أمر تعيينه في لجنة المدارس. إنه يحل مكان جانيت أوهارا التي غادرت الولاية. خمني من ساعده؟ أحد أصدقاء والده القدامى في مجلس التخطيط المدني، الذي انتقل إلى المجلس البلدي.» رفعت فيكتوريا كوبها ثم وضعته بقوة على الطاولة. «رجال السياسة، إنني أكرههم كلهم!»

لم تكن كيلي معجبة بهم أيضاً. برغم ذلك، يوجد مئة مواطن صالح مقابل كل سياسي محتال. «لكن ما الذي يمكن أن يكسبه دايفيد أكثر من تقديم خدماته في لجنة المدارس؟» قالت معترضة.

«اسألي نفسك لماذا يقدم خدماته.» قالت لها فيكتوريا. «ليست لديه عائلة... لا أولاد، كما هي حال الباقين. لكن المدرسة التي كان يحارب من أجلها منذ وصوله... من تظنين قد يحصل على مقاولة بنائها؟»

«لا يمكنه ذلك.» قالت كيلي، رافضة التصديق بأن أحداً قد يفعل ذلك، ولا حتى ويتيكر. «سوف يكون ذلك تضارباً في المصالح، أليس كذلك؟»

«من الأفضل لك أن تصدقي!» قالت فيكتوريا ضاحكة وهي تنهض عن كرسيها: «وهل كانت تفاصيل صغيرة مثل هذه لتوقف والده عما فعل؟ ما على المرء سوى إنشاء شركة وما أن يحصل المرء على العقد حتى يتعاقد مع رجل مثل ويتيكر للقيام بالعمل والكل سعيد.» ارتسمت ابتسامة ساخرة على ثغرها. «ما عدا تلك الشركات التي قدمت عروضاً بأقل كلفة. ونحن المساكين ندفع

من ذلك من الضرائب العالية المفروضة علينا. لا يمكننا القيام بأي شيء. هذه حال الدنيا.» كانت كيلي ما تزال تشعر بالاحباط. إذاً هو لم يكن أفضل من لاري. «لكنني ظننت أنك... معجبة به؟»

«أجل أنا كذلك، أنا كذلك، وسابقى إلى الأبد!» أكدت لها فيكتوريا. «مع رجل كهذا، من يهتم إذا كان نزيهاً؟ وغنياً...» ارتسمت على وجهها ابتسامة حالمة. «لطالما كنت قد طردته من متجري.» حدقت بالساعة في معصمها، وأطلقت صرخة. «الثالثة والربع! كان عندي موعد في الثالثة! ركضت نحو الباب وقالت: «إلى اللقاء، يا عزيزتي!»

اختفت ابتسامة كيلي عندما ابتعدت صديقتها. إذاً، لم يكن دايفيد أكثر نزاهة من لاري. ربما لم يضايق ذلك فيكتوريا، لكنه ضايقها هي بالتأكيد.

حاولت الابتسام لكن ذلك بدا مصطنعاً. هذا ما كان يجعلها مختلفة عن فيكتوريا. كان باستطاعة هذه الأخيرة تقسيم حياتها إلى قطاعات... قطاع للنزوات، آخر للاعجاب، اخلاص قوي لأصحابها في هذا القطاع، واعجاب بمحتال في ذاك.

لاري، كان يعمل بالطريقة نفسها.

أما كيلي، فلم يكن باستطاعتها القيام بذلك. لقد أتت إلى الدنيا قطعة واحدة وليس في عدة صناديق. لم يكن باستطاعتها أن تشعر بالرغبة من دون الاعجاب، أو بالحب من دون الاحترام. طبعاً، لم تكن تحترم قلة النزاهة. رفعت كيلي كوبها ثم أعادته من دون أن تشربه. «مؤسف جداً.» تمتمت بصوت عالٍ، ولم تكن تدري ما كانت تندب. «مؤسف جداً.»

هدرت سيارة النقل الخضراء اللون، خاصة كيلي عند الساعة الخامسة وأربعين دقيقة في مرآب المركز التجاري. كانت

www.alkottob.com

جاين، المرأة التي تعمل عند كيلي في فترة المساء، قد تأخرت في استلام العمل بسبب عطل في السيارة، مما أخرها بالتالي للذهاب لإحضار ابنتها من منزل السيدة سوزان هيوود التي تهتم بها وببعض الأولاد الآخرين في فترات عمل كيلي بعد الظهر. لم تكن سوزان تحب تقديم العشاء لأولادها إلا بعد خروج كل الأولاد. «اللعنة!» قالت كيلي. أصبحت الحياة أكثر تعقيداً منذ أن أصبحت أماً عزباء، وأماً عاملة. لم تكن ساعات النهار كافية.

كان المركز التجاري الوحيد في المدينة، الذي يضم مرآباً تحت الأرض، المركز كان مسيّجاً ليضم ملاعب للأطفال. وقد علمت كيلي أن المركز يوفر في فصل الصيف أشخاصاً لرعاية الأولاد فيما أهلهم يتسوقون.

خصص قسم آخر للأولاد الأكبر سناً والراشدين حيث بامكانهم التنزه واللعب بطائراتهم الالكترونية. هل هذه فكرة ويتيكر؟ كانت كيلي تتساءل الآن.

لكن تلك لم يتناسب مع الوصف الذي قالته فيكتوريا عن الرجل. كان هنا شيء من الكرم في هذه الملاعب. أحدهم قد لاحظ أن هؤلاء الناس هم أكثر من متسوقين.

ربما لهذا السبب قررت فتح متجر في ذلك المكان. أما الآن... فهناك طريقة أخرى لتفسير وجود تلك الملاعب. رجل نكي... ومهما كانت صفاته الباقية... قد يلاحظ أنه لاستقطاب أكبر عدد من الزبائن، عليك تقديم أفضل الخدمات. مركز تجاري يمتع الأولاد وأهلهم وحيث يمكن للرجال أن يحتسوا القهوة مع أصدقائهم، هو مركز كتب له النجاح.

عندما وصلت إلى منزل سوزان، كانت قد أصبحت الساعة السادسة وعشر دقائق. بدت سوكي وكأنها غيمة شقراء، حتى

ترحيب سوزان كان جافاً. دفعت كيلي ابنتها إلى داخل السيارة وهي تعتذر وتبرر تأخرها لتأخر وصول جاين.

«أنا آسفة يا سوكومز.» حاولت الاعتذار مرة ثانية وهي تسلك طريقاً جانبية قرب مزارع المدينة. ألقت نظرة على ابنتها وابتسمت لها على الرغم من شعورها بالذنب.

كانت سوكي أجمل حدث في حياة كيلي. فهي تشبه أميرات القصص الخرافية. ورثت الشعر الذهبي والعينين نواتي اللون الأزرق الداكن عن عائلة لاري. أما طول قامتها فلا يتجاوز الخمس أقدام، مثل شقيقة لاري ووالدته. أية فتاة تحب أن تكون بطول الزرافة؟

«لقد انتظرت طويلاً وطويلاً.» قالت سوكي. «والد تودي وصل في الوقت المحدد، وأم موللي وصلت قبل الموعد.»

«أنا آسفة، يا عزيزتي، لكن جاين تعرضت لمشكلة في سيارتها مما أخرها. هذه الأمور تحصل في بعض الأحيان.»

«لم تكن هذه الأمور تحدث من قبل.» تمتمت سوكي ونظرت خارجاً من النافذة.

تنهدت كيلي. لا لم تحدث هذه الأمور من قبل. كانت محظوظة كفاية لتكون ربة منزل، وسوكي كانت محظوظة أيضاً. ستحتفظ دائماً بهذا الجميل للاري.

مدت يدها ومررتها على شعر ابنتها الحريري وابتسمت بارتياح عندما لم تبعد الفتاة رأسها. «إذاً، كيف جرت الأمور في المدرسة اليوم؟»

كانت الشمس توشك على المغيب. وصلتا إلى المكان المخصص لوقوف سيارتهما خلف كوخ ليلاند هاورد الصيفي المبني على الطراز الفكتوري. «لنتناول الطعام ثم نذهب في نزهة على الأقدام.» قالت كيلي بينما كانتا تصعدان الدرج نحو منزلهما.

www.alkottob.com

ساعد السير على الأقدام كيلي وأمها على تخفيض وزنهما بعد النوبة القلبية التي تعرضت لها هذه الأخيرة. كانت كيلي قررت نقل هذه العادة لابنتها، حتى إذا ما أصبحت شابة، لازمتها هذه العادة مثل عادة تنظيف الأسنان يومياً.

«ما الذي سنأكله؟» سألت وهما تدخلان المطبخ. كان المطبخ جميلاً ومطلا على ساقية صغيرة. كانت كيلي قد أضافت على بعض اللمسات الرقيقة... خواناً صغيراً ذا لون أصفر غامق الطاولة التي تفصل المطبخ عن غرفة الجلوس، وعلقت بعض سلال الورد. وملأت حوافي النوافذ بأحواض الأعشاب والأزهار.

«لا أريد الحمص بالطحينة.» قالت سوكي وهي تقترب من وتحملق في البراد المفتوح.

«حسناً.» قالت كيلي بأسف. «الأرز مع الزبيب والجزر؟»

«كلا.» قالت سوكي ونظرت إلى أمها. «لقد أعطتنا السيد هيوود بعض رقائق البطاطا لوجبة بعد الظهر.»

حاولت كيلي عدم إظهار ردة فعلها. «هل فعلت ذلك؟» اللعنة كانت سوزان تعلم شعور كيلي حيال ذلك النوع من الطعام. «هل قدمت لكم شيئاً جيداً للأكل؟»

«تفاحاً وجزراً وقليلاً من الحليب.»

«حسناً، هذا جيد. هل تريدين بعض اللبن؟»

«لقد تناولت هذا على الافطار.»

«حسناً، ماذا تريدين؟»

«موز مثلج.» قالت سوكي بدقة.

كان الموز المغمس بالسكر الناعم مع الفستق المبروش نوعاً من الحلوى. إلا أن كيلي لم تكن في مزاج يسمح لها بالجدال «موافقة، سوف تحصلين على هذا. وأنا سوف آكل قليلاً من

الحمص.» سنحضّر، في ما بعد، حساء البندق وسلطة أرز أسمر وبعض الفواكه، بضع قطع من اليقطين وخبز مع اللبنة. في ما بعد، قالت لنفسها بحزم. أو لا يجب أن نتمشى.

عندما عادت سوكي وكيلي من نزهة قطعا فيها ثلاثة كيلومترات، كانت سيارة مالك المنزل الفخمة، وهي من نوع سيدان، تدخل الممر. لوحتا إلى الزجاج الملون ثم تراجعتا لتفسحا المجال لعبور السيارة. لاحظت كيلي أن ستيفاني، ابنة ليلاند ذات الستة عشر ربيعاً، قد عادت إلى المنزل أيضاً. كانت سيارتها الحمراء تلمع في ظلال المرآب.

«أردت أن أهنئك على موقفك الليلة الماضية.» قال ليلاند بعد أن خرج من المرآب. «أظن أنك أثرت بعض النقاط المهمة.»

«ربما أثرت بعض النقاط، لكنني لم أسجل أي هدف. أخشى أن أحداً لم يستمع إلي.»

«ربما اللجنة لم تفعل... إنهم مجموعة من المحافظين.» قال وهو يرافقهما إلى الدرج المؤدي إلى منزلهما. «لكنك من دون شك، حركت بعض الاهتمامات بين صفوف الأهالي.»

«أجل.» ابتسمت كيلي وهي تتنكر المقترعين وهم يتدافعون للوصول إلى المذياع. «فالأهالي يهتمون بما يأكله أولادهم.»

نظر إليها ليلاند بعينيه اللامعتين. «إذاً، ما الذي ستقومين به بعد ذلك؟»

«في الواقع، أنا... أنا لا أعلم ما الذي أستطيع القيام به أيضاً.» ارتعدت لمجرد تفكيرها بحضور اجتماع الميزانية الثاني للمدرسة ومواجهة دايفيد ويتيكر. لن يدعها تتكلم مرة ثانية، حتى لو لوحت له بيدها طيلة الليل، فهو لن يتعرف عليها.

«ما رأيك بكتابة عريضة؟» قال ليلاند مقترحاً: «إذا استطعت

www.alkottob.com

الحصول على توقيع عددٍ كافٍ من الأهل، عندها ستجد اللجنة نفسها مجبرة على الاصغاء.»

«هذه فكرة...» كانت فكرة حسنة. لكن لم يكن عندها الوقت للمرور على المنازل واقناع الناس بالتوقيع، فعليها إدارة متجرها ورعاية ابنتها.

كان هناك سبب أساسي لتكاسلها. لم يكن من الصعب عليها التعامل مع الناس في متجرها، حيث تشعر بأنها قادرة ومسيطرة على الوضع. لكن في العالم الحقيقي، كانت خجولة جداً. لقد احتاجت إلى كثيرٍ من الشجاعة للوقوف والتكلم تلك الليلة في الاجتماع. «يجب أن أفكر بالموضوع.»

قال ليلاند مبتسماً: «إذا كنت قد تعلمت شيئاً من خلال عملي في السياسة، فهو أن الممثلين هم الذين ينجزون الأمور. المفكرون يفكرون فقط.»

كان ذلك مضحكاً. لم يكن صاحب البيت يبدو أنه من النوع الذي يهتم بالأولاد أو بما يأكلون. كانت ابنته ستيفاني تذهب إلى مدرسة خاصة في الطرف الآخر من المدينة، لذلك، وحتى إذا نجحت كيلي في تحسين الوجبات التي تقدم في المدرسة، فلن يؤثر ذلك على ابنته. «سوف نرى.» قالت وهي تتجه نحو منزلها، تلوح له مودعة.

كان الموضوع قد انتهى عند هذه النقطة لو لم تضع سوكي ملعقتها جانباً أثناء العشاء وتقول: «تشتري موللي غداءها من المدرسة كل يوم.»

«هل تفعل ذلك، يا عزيزتي؟» أحست كيلي بقشعريرة حتى عندما ابتسمت.

«تقول موللي إن الأطفال فقط هم الذين يحضرون طعامهم إلى المدرسة في سلة.»

يا إلهي. ضغط الأصدقاء، الوحش الذي يتحين الفرص للانقضاض على الأهل الذين لا حظ لهم. وسوف يسوء الأمر كل سنة، إذا لم تتوصل إلى تغيير الطريقة التي يفكر الناس بها، هنا. بينما كانت تحاول اقناع ابنتها برقة، بالتخلي عن أفكار صديقتها، أخذت تفكر بسرعة وتركيز بكيفية البدء بكتابة عريضة لاصلاح برنامج الطعام في مدرسة وست دارتماوث.

كانت العريضة جاهزة عند الفجر، وفي أربع وعشرين ساعة، أصبحت في حيز التنفيذ. «ما رأيك؟» سألت فيكتوريا صباح السبت التالي، عندما مرت هذه الأخيرة لاحتساء كوب من شراب التوت في متجرها.

قرأت فيكتوريا الاعلان المعروض أمامها والذي نشرته كيلي في الدارتماوث ديلي.

«هل تهتمون لما يأكله أولادكم؟» قالت مقتبسة عنوان الاعلان. «سوف يسترعي هذا انتباههم من دون شك.» ثم أكملت القراءة. «هل تريدين منهم أن يأتوا إلى هنا لتوقيع العريضة؟»

«طبعاً. الكل يعرف أين يقع المركز التجاري، وباستطاعتهم جمع التسوق في المركز إلى التوقيع على العريضة معاً. وهذا هو المكان الوحيد الذي أتواجد فيه.»

هزت فيكتوريا كتفيها وقالت: «كلام منطقي. أين العريضة إذن؟»

«هنا.» أخرجت كيلي لوحاً صغيراً من تحت طاولة البيت. كانت العريضة تقترح استخدام خبير تغذية لمراجعة محتوى الوجبات المدرسية وفقاً للتعليمات التي أصدرتها مؤسسة القلب الأميركية. كانت تطلب أيضاً أن تمنع الدهون واللحم الأحمر، وأن يفسح المجال أمام الطلاب للاختيار بين وجبة لحم أو

www.alkottob.com

خضار. تُركت مساحة للعناوين والأسماء تحت النص. كانت كيلي أول الموقعين، وتحت اسمها...

«لقد حصلت على ثمانية تواقيع حتى الآن؟» شهقت فيكتوريا. «لم تفتحي المتجر سوى منذ...»

«أرجو المعذرة.» قاطعتها امرأة مشيرة برأسها إلى اللوح الصغير. «هل هذه هي العريضة؟»

عند الظهر، كانت كيلي قد حصلت على ثلاثة وأربعين توقيعاً. عند الساعة الثانية أصبحت واحداً وستين، وكانت تلك آخر فرصة لها للنظر إلى عددها. لم تكن تسنح لها الفرصة. كان كل شخص يأتي للتوقيع، يتوقف قليلاً للحديث أو للنظر إلى محتويات المتجر. نصف الزوار وجدوا شيئاً يشترونه. كل من رأى الجموع في بيور أند سمبل اعتقد أن هناك تنزيلات وانضم بعضهم للتوقيع أو شراء بعض الحاجيات.

عندما وصلت جاين لاستلام دورها في العمل بعد الظهر، قررت كيلي البقاء للمساعدة. كانت سوكي قد ذهبت للتزلج مع صديقها تود ووالدته، لذلك لم يكن هناك داعٍ للعجلة. كانت كيلي تفسر الفرق بين صلصة التشويو وصلصة التاماري للمرة الرابعة، عندما رفعت نظرها لترى دايفيد ويتيكر يشق طريقه عبر الجموع.

قدرت كيلي من نظراته وشكل حاجبيه أن زيارته لم تكن ودية. تمنت كيلي، ولم تكن المرة الأولى، أن تذوب بين الجموع. لكنه اقترب منها مثل الصقر. «يجب أن نتكلم.» قال لها ولم يكن ذلك اقتراحاً.

أحست كيلي بسعادة مفاجئة لأنها كانت ترتدي قبعة. رافقها نحو الباب وهو ممسكٌ بذراعها. رفعت كيلي حافة القبعة عن عينيها وتحضرت لمواجهته.

الفصل الرابع

لم ينفجر دايفيد ويتيكر بها غاضباً، عندما أوقفها تحت شجرة خارج متجرها. ومن أن دون أن يفلتها رفع لها حافة القبعة أكثر ليتمكن من رؤية عينيها، وقال بثقة: «يجب عليك التوقف.»

«ماذا؟» ووجدت نفسها تعدّ ضربات نبضه الظاهرة عند أسفل حلقه.

ضغط على شفتيه وقال لها: «يجب عليك إيقاف التوقيع على هذه العريضة. لا يمكن لهذه المدينة تحمل موضوعين تربويين في وقت واحد. أنت تبعدين عنا الدعم في الوقت الذي نحن بأمس الحاجة إليه.»

«أنا لا أحاول أذية حملتكم لبناء مدرسة جديدة، يا سيد ويتيكر.» قالت بصوت مرتجف. «لا يمكنني القيام بذلك ولديّ ابنة في مدرسة المقاطعة.»

«لكن هذا فعلاً ما تقومين به.» قال مصرّاً. «إنك تلهين أولئك المهتمين بالتربية في هذه المدينة. أريدهم أن يكونوا بجانبي مئة بالمئة بالنسبة لهذا الموضوع. لا أريدهم منقسمين في اتجاهين. والذين لا يهتمون بالتربية، سوف يدلّون علينا بالأصابع. سوف يعتبرونك مثالاً آخر على الذين يهدرون المال العام على مشاريع سخيفة وسوف يستعملون هذا كعذر للتصويت ضد بناء المدرسة.»

كانت لمسة إبهامه على ذراعها مثل صدمة كهربائية مرت عبر

www.rewity.com
www.alkottob.com

جسدها. من يظنّ نفسه، ممسكاً بها كأنها سارق ألقي القبض عليه؟ ويملي عليها ما تفعل وما لا تفعل؟ «الطعام الصحيّ لأولادنا ليس مسألة سخيفة، يا سيد ويتيكر! وقد حصلت على واحدٍ وستين توقيعاً حتى الآن، من أناس وافقوا معي... ويحق لهم الاقتراع.» قالت مضيفة. انتفضت ما أن تحرك إبهامه مرة أخرى وأحست بشعور غريب من المتعة ينتابها.

«ستون...» لعن بنعومة، ونظر نحو المتجر. كانت جاين تقدّم اللوح الصغير لامرأة أخرى. أعاد ويتيكر نظره نحو كيلي وقال: «اسمعي، قد تكونين محقة بأن الوجبات المدرسية بحاجة إلى تحسين. لا أشك بأنك محقة في ذلك.»

اختفت ابتسامة النصر عن وجه كيلي عندما لمسها للمرة الثانية. أرادت أن تهرب منه، لكن الوقت لم يكن مناسباً. أضف على ذلك أنه بدأ يوافقها الرأي. وقد جعلتها ملامساته غير قادرة على التركيز على كلماته.

«لكن هذا لن يغير الواقع، لقد استغلوك، أدركت ذلك أم لا. مُستغلّة. أنت بالنسبة لهم سمكة صغيرة. ثقي بي.»

أثق برجل يستغل احتياج الناس لمدرسة جديدة لملء جيوبه؟ «لا يستغلني أحد. هذا الاقتراح نابعٌ مني شخصياً.»

«ربما كان كذلك، لكنهم سعداء به جداً.»

«إذا كان هناك من أحدٍ يقتفي أثر سمكة صغيرة، فهو أنت، محاولاً جعلي أشعر بالذنب.»

هزّ رأسه وقال: «أنت جد حديثة العهد في السياسة في وست دارتماوث. إنها مثل ملاكمة بقبضات عارية وسوف يستعملون أي شيء... أو أياً كان... للوصول إلى مبتغاهم.»

رفعت كيلي حاجبيها. لم تكن تؤمن بالمؤامرات أو

باللاعبين بالخفاء. إذا كان هناك من أحدٍ يتآمر، فهو هذا الرجل.

«سوف يدعمونك حتى تهدمين حملتي، وما أن ينتهي ذلك، حتى يصوتوا ضد قضيتك، أيضاً.» قال مصراً.

«إذاً، ماذا علينا أن نفعل؟» سألته. «الاستسلام والعودة إلى المنزل؟».

«كلا.» قال بتلهف متجاهلاً سخريتها. «يجب أن نتحد، هذا ما علينا القيام به. يجب أن نعقد اتفاقاً.»

لا بد وأن الشيطان كان سياسياً، لاحظت كيلي فجأة، ذو لسانٍ من فضة ويعرض اتفاقات بصوت الواثق من نفسه كهذا الرجل. مع ذلك، وجدت نفسها تسأل: «أي نوع من الاتفاق؟»

«سوف أدعم قضيتك... إذا دعمتِ قضيتي.» قال لها بابتسامة رقيقة.

تراجعت مقابل السحر غير المتوقع لتلك الابتسامة. «ما هو المكسب؟»

بدا مجروحاً. «لا مكاسب... إلا أننا لن نستطيع تمريرهما خلال سنة واحدة. إن ذلك مستحيل. لذا...»

هزّت كيلي رأسها وقالت: «لا اتفاق بيننا، يا ويتيكر.»

اختفت ابتسامته وقال: «إن الأولاد ينتظرون هذه المدرسة منذ أربع سنوات. مشروعك ليس الأهم.»

«الأولاد هم الأهم.» قالت موافقة. «وهم يلتهمون الأطعمة المؤذية للقلب منذ دخولهم صف الحضانة. ما هو الأهم؟ قلب سليم، أم بناء جديد لمدرسة؟»

«علاوة على ذلك.» أضافت بينما بدأت الحديث. «لا أوافقك الرأي بأن برنامجاً يلغي الآخر. يمكن لسكان المدينة التصويت

www.alkottob.com

على الاثنين معاً. والطعام النباتي أرخص بكثير من الطعام المعتمد على اللحم... على المدى البعيد، سوف يوفر لك المال. لذلك...» أبعدت ذراعها عنه ومدّت يدها لتمسح لمستها عنها. «الجواب إذن هو لا اتفاق. لن أتوقف عن المضي في هذه القضية.»

قال بسرعة: «إذاً سوف تتوقفين عن المضي بها هنا!»

«ماذا؟»

«اقرئي عقد إيجارك، يا بوشارد.» قال مجيباً بحدة. «كل العرائض أو أي منشور سياسي ونشاطات، وما إلى ذلك يجب أن تدرس مع إدارة المركز التجاري. وسوف أوفر عليك رحلة إلى المكتب. لأن الجواب هو لا.»

«أنت... أنت قد...» لقد خانها الكلام. رفعت قبعتها، حدقت به، وضربت على فخذها بغضب. «هل تفعل ذلك؟ أين تظننا نعيش، يا ويتيكر؟ الصين؟ بلغاريا؟ روسيا الستالينية؟»

عقد ذراعيه وقال: «وفّري عني المحاضرات. الجواب هو لا.»

أرادت أن تصفعه أو... أو أن تدق الأرض بقدمها بغضب. «أنت... أنت أيها... أوه!» رمت قبعتها نحو الأعلى فلامست غصن الشجرة وعادت نحوهما، مد ويتيكر يده لالتقاطها. ومما جعل الأمر يسوء أنه كان يراقبها فاغراً فمه وهي تفجر غضبها. ما أن نظرت إليه حتى أغلق فمه الذي كان يرتجف.

«حسناً، يا ويتيكر.» قالت وهي تأخذ القبعة التي قدمها لها بأدب. «افعل أنت ذلك، وهل تعلم ما الذي سأفعله؟»

«ماذا؟» سألها بصوت قاس محاولاً منع نفسه من الضحك.

«سوف أخبر كل شخص يأتي بحثاً عن العريضة لما لا يمكن

توقيعها... لأن دايفيد ويتيكر، عضو لجنة المدرسة، يريد منعهم من التعبير عن رأيهم.»

«انتظري لحظة.» قال معترضاً وقد بدأ بالعبوس.

لكنها لم تكن لتنتظر. «ثم، وعندما أعود إلى المنزل الليلة، سوف أكتب رسالة إلى الدارتماوث ديلي ... كلا، سوف أحجز نصف صفحة اعلان! وسوف أخبر كل المدينة ماذا فعلت لمنع حرية الرأي في وست دارتماوث. هل يناسبك هذا؟»

بدا ويتيكر وكأنه يود الامساك بها وهزّها. «كلا.» قال وكأن أحداً ينتزع منه الكلمات.

كان الآن دورها في الابتسام له. لا يعجبك ذلك، أليس كذلك، يا سيد سياسي؟ سألته بصمت وعيناها تتسعان بأدب.

«لن يكون ذلك ضرورياً، يا بوشارد.» قال مضيفاً بقسوة. «إذا كان ذلك الموضوع مهماً جداً بالنسبة لك، امضِ به، انسِ ما قلته لك. لكن...» وجه إليها اصبعاً وتابع: «لا تنسي هذا. لن تغيّر العريضة شيئاً. لجنة المدرسة تقترح الميزانية، ونحن نعلم ما علينا القيام به. علينا تجنب غريبي الأطوار أمثالك والمضي في بناء المدرسة. ابقي ذلك أمام عينيك!»

لم تقابل أبداً في حياتها رجلاً أغضبها لهذه الدرجة. غريبة الأطوار؟ هذا ما رآه ويتيكر فيها؟ حسناً، هذا أفضل من منغلقة الفكر، ولا تطاق...

«هل تعلمين؟» قال لها بصوت الطف من قبل. «إنك عندما تحمرين، يختفي النمش عن بشرتك؟»

عليها إذن البقاء بقربه! فهذا سيكون علاجاً دائماً لحالتها. احمرت وجنتاها أكثر لهذه الفكرة. وطريقته المغرورة لاظهار انتصاره، لم تنفع في تهدئة مزاجها، أيضاً.

www.rewity.com
www.alkottob.com

«أرجو المعذرة.»

التفتت كيلي لتجد امرأة تقف خلفهما. كانت تحمل كيسين مليئين بالأغذية العضوية. «يا إلهي.» قالت كيلي مبتسمة. «لقد ابتعتِ كل محتويات متجري!»

«تقريباً.» قالت وهي تضحك. «أردت فقط التعبير عن شكري لفتحك متجراً رائعاً مثل هذا في وست دارتماوث. لم أكن أعلم أنك هنا حتى قرأت العريضة. وهذه فكرة رائعة، أيضاً. سوف أذهب مباشرة إلى المنزل للاتصال بشقيقتي وأطلب منها المجيء إلى هنا والتوقيع.»

«رائع!» قالت كيلي ونظرت بطرف عينها إلى ويتيكر للتأكد من أنه كان يسمع ذلك. أرأيت؟ «أرجوك أن تفعلي ذلك. واتصلي بكل أصدقائك، أيضاً.» مدركةً من أن ابتسامتها الواثقة لم تكن من تقاليد الروح الرياضية، إلا أنها لم تستطع إخفاءها. إليك بهذا، يا سيد دايفيد ويتيكر العنيد!

تصادمت عيونهما بنظرة باردة جعلتها تتجمد في مكانها. «لماء، أيتها المتواطئة الصغيرة ال...» لم يكن هناك شك بالصفة التي كان سيستعملها. «ظننت أنك لست سوى جميلة!» قصر المسافة بينهما... لو تقدم أكثر لكان أنفه لامس أنفها.

«هكذا إذاً؟» كانت كيلي قد رأته غاضباً من قبل ولكن ليس هكذا.

«أنت تجنين الأرباح من وراء هذا، أليس كذلك؟» قال بغضب و هو يوجه اصبعاً نحو متجرها المكتظ. «أنت لست مجنونة... أنت مجنونة كثعلب! ماذا هناك أفضل من استخدام متجر غير معروف لافتعال حرب مقدسة... هذا هو سبب اهتمامك الرائع،

أليس كذلك؟ ما يهمك ليس الأولاد وما يأكلون. إنه صوت صندوق المال الذي يهمك!»

«كلا.» نفت كيلي. «أعني، طبعاً، إنه لأمر رائع أن يبقوا للشراء، لكنه لم يخطر أبداً ببالي...»

«صحّ.» قال بنعومة من دون أن يعني ما يقول. «هاي، إنها دعاية مجانية، ومن هو المتضرّر؟ بعض الآلاف من الأولاد؟ سعر زهيد.» نقر على كتفها بخفة وقال: «تمتعي، إذاً.»

يجب ألا تشعر بالاحتقار إذا صدر عن شخص يستحق الإذلال. لا ينبغي ذلك، إلا أنه حصل. «لست كذلك!» همست بينما كان يبتعد. «حتى أنني لم أفكر بـ...»

لكنه لم يسمعها. مسحت الغشاوة عن عينيها بينما استدارت لتعود إلى متجرها. بطريقة ما، لم يعد مشهد بيور أند سمبل المكتظ بالمتسوقين يشعرها بالسعادة.

«إذاً، ما عدد التواقيع التي حصلت عليها؟» سألت والدة كيلي بعد مضي أسبوع. كانت هيلين بوشارد تتابع الأحداث من أريزونا، حيث كانت تعمل كطاهية مدربة يوغا في مركز صحي. كانت قد ذهبت إلى المركز، أولاً كزبونة في فصل الشتاء الذي تلى اصابتها بأزمة قلبية وبعد أن فقدت الكثير من وزنها. أحبت المكان، وما أن أتمت علاجها، حتى تقدمت بطلب للعمل فيه.

قالت كيلي: «لقد حصلت على مئة وأربعة عشر توقيعاً.»

قالت هيلين: «هذا ليس سيئاً البتة.»

قالت كيلي: «هذا ليس حسناً بما يكفي ليلفت انتباه اللجنة المدرسية.» وألقت، بنظرة عبر الغرفة إلى ابنتها سوكي المتقوقعة على الأريكة وكأنها منومة مغناطيسياً أمام كتاب الحصان الأسود

www.alkottob.com

الجميل الذي أحضرته من المكتبة. «أظن أنني كنت أعظ في جوقة المغنين. كل المتعصبين للطعام الصحي هرعوا للتوقيع في عطلة نهاية الأسبوع الماضية. ثم خفّت حدّة الاقبال. سوف اتمهل عدة أيام أخرى، ومن بعدها أظنّ أنني سأرسل العريضة في البريد. لم تكن عندها الجرأة على حضور اجتماع لجنة الميزانية المقبل ورؤية ابتسامة دايفيد ويتيكر الساخرة. معتبراً المئة وأربعة عشر ناخباً، ببساطة، الفئة الهامشية المهووسة في البلدة. بسبب تصرفهم الجنوني. أو مهووسين تقودهم مالكة متجر متواطئة. لم يعد منذ مواجهتهما في الأسبوع الماضي، لم تكن لتعامله بطريقة أفضل، لكن... «لقد ازدهرت الأعمال منذ أن وضعت الاعلان. كنت أضع اعلاناً أسبوعياً منذ أن فتحت الدكان، لكن العريضة حددت مكاني على الخريطة.»

«هذا رائع، يا عزيزتي.»

«إنه رائع، لكنني أشعر بأنني حزينة. نوعاً ما. لم أرد أن... يظن أحدٌ ما بأنني أقوم بذلك كدعاية لاستقطاب الزبائن.» قالت كيلي وهي تشد شريط الهاتف كي تستطيع تناول البطاطا الحلوة من خلف المنصة، والتي كانت تغسلها عندما رنّ جرس الهاتف. وضعتها على خشبة التقطيع وتناولت سكيناً. «كنت أتساءل إذا كان علي التبرع ببعض ما جنيته هذا الأسبوع إلى... كيف يمكن لأحد ما التبرع بالمال لمدرسة جديدة؟»

«التبرع ببعض المال؟» قالت هيلين صارخة. «يا كيلي، لا تكوني غبية! لا يمكنك القيام بذلك. سوف تكونين محظوظة إن لم تخسري في سنتك الأولى. معظم الأعمال الجديدة تخسر. عليك أن تصبحي قاسية الآن.»

«أنت على حق.» قالت كيلي موافقة. إن هيلين تعرف أكثر. لقد

افتتحت كوخاً لبيع السمك المقلي، بعد وفاة زوجها، في المدينة الساحلية حيث كانوا يعيشون، شمالي بوسطن. كانت كيلي تساعد في كوخ السمك كل يوم بعد المدرسة. مع أن ذلك كان مسلياً... فقد أكلتا الكثير من السمك المقلي، البطاطا المقلية وفطيرة السمك... إلا أنه كان عملاً مضنياً من دون مالٍ إضافي للقيام بما كانت كيلي تفكر به الآن. «أنت على حق.» ردّدت كيلي وبدأت بتقطيع البطاطا لوضعها في الفرن. كان عليها أن تبتلع كبرياءها وليفكر دافيد ويتيكر بها كما يشاء.

سألتها هيلين: «إذن، ماذا ستفعلين إن لم تحقق العريضة هدفها؟»

حملقت بقطع البطاطا ووضعت السكين جانباً. لماذا يتوقع منها الجميع القيام بشيء ما؟ كانت تعبة... فقد كان أسبوعاً طويلاً ومتعباً، واليوم، بعد أن سلمت مسؤولية المتجر لجاني، أنهت وسوكي الأعمال المنزلية المتراكمة منذ أسبوع. كان ليلاند هاورد قد سألها السؤال ذاته قبل ساعة، عندما كانت عائدة مع سوكي من السوق. قالت معترفة: «لست واثقة مما سأفعل.»

«عليك القيام بشيء ما.» قالت أمها مصرة. «أشعر برعشة كلما فكرت بما كنت آكل. لو تابعت تلك الطريقة لما كنت هنا اليوم أكلمك.»

«أعلم ذلك.» قالت كيلي وأخذت بيضة، كسرتها وفصلت الزلال عن الصفار. وضعت الصفار في وعاء من البلاستيك. سوف تستعمله لاحقاً لشعرها... لا فائدة من هدر الشيء الذي حاولت الدجاجة المسكينة بجهد انتاجه.

«ربما بدأت على نطاق واسع.» قالت هيلين مقترحة. «ربما، بدلاً من أن تحاولي تغيير ادارة التعليم، تبدئين التغيير في مدرسة واحدة.»

www.reality.com
www.alkottob.com

«البدء بمدرسة سوكي؟» رمقت كيلي أبنتها مرة أخرى، لكن هذه الأخيرة كانت مأخوذة بالكتاب الذي كانت تقرأه.

«طبعاً.» ماذا لو كسبت مدير مدرستها إلى صفك؟ وطاهي المدرسة؟ لو استطعت كسب بعض المتدينين، أريهم كم هو سهل تغيير طريقة طهيهم، كم هو لذيذ طعم الطعام، وكم من المال سيوفرون إذا قلّلوا من أكل اللحوم....»

«إنها فكرة حسنة.» قالت كيلي بينما بدأت بضرب البيض. «إنها بلا شك فكرة حسنة.» كانت الآن بحاجة إلى التشيلي، البهار الأسود، ووعاء قلي البطاطا. «يجب أن أنهي تحضير الطعام، هل تريدين، خلال هذا الوقت، هل تريدين التحدث إلى سوكومز؟»

«أنت تعلمين أنني أريد ذلك.»

قالت لها كيلي محذرة: «لا تندهشي إذا تذمرت.»

بعد المزيد من التفكير وبعد الراحة يوم الأحد، قرّرت كيلي أن اقتراح هيلين كان حسناً. حدّدت موعداً ليوم الثلاثاء عند الحادية عشرة، مع السيد تاتيل، مدير مدرسة أوك الابتدائية.

تخيلته كيلي انساناً لطيفاً ومُسِنّاً من خلال اسمه، وعنده طرق خاصة لمصادقة تلاميذه من خلال تقديم زجاجات مشروب الكوك لهم. لذلك، وعندما أدخلتها السكرتيرة إلى مكتب واسع، فكرت كيلي بأنه لا بدّ من وجود خطأ ما. على ما يبدو، كان مدرباً يجلس وراء مكتب غير مرتّب.

وضعت كأس ذهبية، على طاولة المكتب، كي تستعمل كثقالة ورق، وعليها مصغّر للاعب كرة قدم. علق على الحائط، خلفه، صورة له عندما كان شاباً محاطاً بأعضاء فريق كرة القدم في المدرسة الثانوية مما كان يدلّ على حبه لهذه اللعبة.

«سيد تاتيل؟» سألته كيلي آملة بأن تكون مخطئة.

«سيدة...» نظر تاتيل إلى بضع أوراق أمامه. «سيدة بوشارد... أليس كذلك! تفضلي بالجلوس، تفضلي بالجلوس. بماذا يمكنني مساعدتك؟»

كان ذلك أصعب مما تصورت. «كنت أتساءل إذا... أعني، كنت آمل أن...» توقفت عندما سمعت طرقاً على الباب، ثم فتح هذا الأخير.

«يبدو أن سكرتيرتك قد تسللت خارجاً لشرب القهوة، يا بيل.» أعلن دايفيد ويتيكر وهو يدخل المكتب. «لذلك...» توقف عندما استدارت كيلي في كرسيها لمواجهته. «أنت!» قال باستغراب أكثر منه بحماس.

«هل تعرف السيدة بوشارد؟» سأل بيل تاتيل بسرعة.

«كدت أن لا أتعرف إليها من دون قبعة.» قال ويتيكر. «لكن، أجل، لقد تقابلنا.»

لم تعجبها دعابته أبداً. لقد تركت قبعة الشجاعة في السيارة كتصرف يدلّ على قوة إرادة.

«على كل حال.» تابع ويتيكر. «لقد مررت بك فقط للتأكد من أنك أنهيت تقييم الكتب الدراسية. بامكاني العودة لاحقاً.»

«لا تفعل ذلك.» قال تاتيل. «عندي لك بضعة أسئلة وهذا لن يستغرق أكثر من دقيقتين، اتوافقين، يا سيدة بوشارد؟»

«لن يستغرق الأمر طويلاً على ما أعتقد.» قالت موافقة. كان ذلك ما تحتاجه تماماً... أن تقدم عرضها بينما ويتيكر يهزأ منها!

عوضاً عن ذلك، استدار بينما بدأت بتقديم عرضها المحضر. كان يراقب الصورة المعلقة على الحائط خلف تاتيل ويداه في جيبي سرواله الخلفيتين. لكن كيلي وجدت أن ظهره كان أكثر

www.rewity.com
www.alkottob.com

ارباكاً من وجهه. بخلاف المدرب السابق، كان وركا ويتيكر نحيلين، وجذع جسده عريضاً ينتهي بكتفين ذواتي عضلات قوية. شيء ما في وقفته جعلها تحس بحكاك في راحتي يديها، وكانهما تتوقان للمس يديه.

أحست بالهلع لهذه الأفكار، وانتزعت نفسها من الشرود وعادت لتركز على الموضوع الذي جاءت من أجله لتجد أنها تاهت وسط جملة من دون نهاية منظورة. «رقائق البطاطا و... و...»

«ما الخطب برقائق البطاطا؟» سألها تاتيل وعلى وجهه بعض الارتباك. «أنا نفسي آكلها. إنها مختلفة عن رقائق الذرة.»

تارجح رأس ويتيكر بينما كان يراقب شيئاً عبر الغرفة. كان باستطاعتها رؤية ضحكته العريضة من خلال وقفته الجانبية. أحست وكان وجنتيها أخذتا بالاشتعال. «بلى، يا سيد تاتيل، لكن لا يمكننا تصنيفها كخضار. إنه كمن يقول بأن الكاتشب هو خضار.»

نظر تاتيل إلى ساعته. «إذاً، أليس كذلك؟ الكاتشب مصنوع من البندورة، إذن ماذا يمكنه أن يكون غير ذلك؟ حيوان؟ معدن؟» ضحك على نكتته. «ورقائق البطاطا مصنوعة من البطاطا، أو أنني مخطىء؟»

«بلى، هي كذلك، لكن هل تعلم كم غرام من الدسم موجود في كل اوقية من رقائق البطاطا؟» سألته وهي تدري أنها لن تصل معه إلى نتيجة. كانت هذه غلطة ويتيكر. استدار هذا الأخير ناظراً إلى السقف إلا أن شيئاً ما في وقفته أخبرها بأنه كان يحاول منع نفسه من الضحك بصوت عالٍ.

«ليس عندي أدنى فكرة.» قال تاتيل مظهراً ضجره بطريقة مرحة.

«الكثير من الدسم!» قالت بسرعة. «ثم هناك البيتزا المليئة بالفلفل والجبنة. لقد تحققت من لائحة الطعام وهم يقدمونها كل أسبوع.»

«مرة واحدة في الأسبوع فقط؟» قال تاتيل ضاحكاً. «أنا نفسي، آكل البيتزا حوالى أربع مرات في الأسبوع.»

«أجل، يمكنني ملاحظة ذلك.» قالت موافقة من دون النظر إليه وهي تحاول التفكير بطريقة لاقناعه، ثم أحست بعينيها تتسعان عندما بدأت بسماع صدى كلماتها.

تلاشت ابتسامة تاتيل ببطء. «بامكانك... أوه، ماذا تعنين بذلك؟»

«لم أعنِ... أعني، عنيت فقط أن...» لم تكن كيلي تستطيع التفكير بجملة واحدة مفيدة للتراجع. مع أنه كان آخر مكان يجب أن تنظر إليه، إلا أنها لم تستطع ابعاد نظرها عن بطنه الممتلىء.

تبعت عيناه نظرها ثم ضحك بسخط. «أنت تتكلمين عن هذا؟» ضرب بيده على بطنه وقال: «هذا عضل صلب، يا سيدتي. أضربيني بمضرب البيسبول وتجدينه يرتدّ. ألا تصدقينني؟»

لم تكن أبداً بارعة في الكذب. «حسناً أظن أن...» هزت كيلي رأسها بلا رجاء. لا يمكنها أن تكون حقاً هنا. لا يمكن لهذا أن يكون هذا ما يحدث حقاً.

لم يعد عند ويتيكر مبرراً لتجاهلهما. استدار نحوهما للمراقبة، وعلى وجهه ابتسامة.

«أنت لا تصدقينني، أليس كذلك؟» هبّ تاتيل واقفاً على قدميه وقال: «حسناً، تعالي واعطني أقوى ضربة منك.» حاول أن يشدّ عضل معدته ـ غلّث بعض الشيء، ثم تدلّت من جديد. نظر تاتيل إلى معدته ثم إلى كيلي وضرب نفسه. «أعطني أقوى ضربة منك، هيا!»

www.alkottob.com

«يا سيد تاتيل، أنا متأكدة من أنك بأفضل حال يمكن أن يصل إليها إنسان وطعامه مؤلف من اللحوم والبطاطا.» تمتمت كيلي بكلام غير مفهوم. ولا تنس علب الجعة الست التي تشربها كل ليلة. أضاف صوت في داخلها بينما كانت تهب واقفة وتتراجع إلى خلف الكرسي. «أعني أنك تبدو على شكل معقول، لكن ليس هذا هدفي. حتى الناس مثل السيد ويتيكر، الذين يبدون...» بحالة حسنة كانت الكلمة التي خطرت على بالها وبدأت تتكرر إلى ما لا نهاية غير مفسحة المجال أمام أوصاف أخرى للظهور. حملقت بالجزء الأوسط من جسده وجفّ فمها فجأة. «متناسق... متناسق للغاية.» قالت بعد جهد كبير. «حتى أن أي انسان في هذه اللياقة البدنية قد يتعرض لمتاعب قلبية من دون أن يعلم بذلك إذا لم يراقب ما يأكل من مواد دسمة...»

«تقولين إن ويتيكر لائق وأنا لا؟» زمجر تاتيل وهو يستدير لينظر إلى ويتيكر الذي مدّ ذراعيه وكأنه يقول: «هاي، لا تقحمني.» استدار المدير من جديد للنظر إليها.

«لست أقول ذلك أبداً!» صرخت كيلي بيأس. «أنا لا أقوم باحكام شخصية. أنا أقول فقط إنني أحبّ القيام بجولة في مطبخ الكافيتيريا، وقد أتكلم مع الطاهي عن التغيير...»

«إلى نظام غذائي مؤلف من نباتات الفاصولياء و... و... السبانخ والحشائش، أو ما يأكله غريبو الأطوار؟» هزّ تاتيل رأسه بازدراء. «لا بد أنك تمزحين، يا سيدتي! قد تأكلك بيرتي الضخمة حية لو رأتك في مطبخها. ثم تأتي لأكلي، أيضاً. لست مجنوناً لهذه الدرجة!»

قالت كيلي راجية: «لكن هذا لمصلحة الأولاد.»

رفع كتفيه وهو يحرك رقبته بحركات دائرية وكان مزاجه السابق قد أجهد كتفيه. «هذا تخمين يعتمد على طريقتك في النظر إلى الموضوع، أليس كذلك؟»

«إنه أكثر من مجرد رأي! بامكاني اثبات ذلك لك بوقائع وأرقام. توصيات من منظمة القلب الأميركية. إذا تفحصنا وجبات الغداء التي تقدم في كافيتيريا نموذجية من أجل معرفة كمية الدسم...»

أدار لها تاتيل ظهره وقال: «يا دايف، ما رأيك؟»

اختفى المرح عن وجه ويتيكر، ما عدا بعض الضوء الذي كان يرقص في عينيه. وضع يديه في جيبيه ونظر إلى كيلي ثم إلى المدير وبالعكس. «أظن أنها مدرستك، يا بيل.» قال بلطف، وعيناه تنظران في عيني كيلي. «أنت المسؤول.»

«صحيح.» قال تاتيل وهو يهز رأسه بقوة. لو كان ثوراً لكان حفر الأرض بقوائمه. «أنا المسؤول هنا، لذلك دعيني أقول لك هذا، يا سيدة مهما كان اسمك. بوتشير؟ ها... اسم جيد لمحبي البروكولي!»

«سيدة بوشارد.» صححت له كيلي وهي تصر على أسنانها.

«أوه، بوشارد، إذن دعيني أقول لك هذا، يا سيدة بوشارد. عندي أشياء كثيرة أهم من القلق إذا كان الكاتشب خضاراً أم لا. عندي مدرسة يجب إدارتها. أنا أقدر معلوماتك، لكنها لن تنجح أبداً في وست دارتماوث. إذا أريت غصن بروكولي أو أي شيء مما تأكلين إلى ولد في دارتماوث فسوف يفر نحو الهضاب. إذا كانت الطريقة التي تدير بها بيرتي الكافيتيريا خاصتنا لا تعجبك فربما من الأفضل أن ترسلي غداء ابنتك معها. ما رأيك بهذه الفكرة؟» قال وهو يتقدم نحوها.

www.rewity.com
www.alkottob.com

تراجعت كيلي مبتعدة عن بطنه الكبير. «هذا حسن بالنسبة لابنتي، لكن...»

«حسن، إذن ليس عندنا من مشكلة. أليس كذلك؟ دعيها تأكل أغصان البروكولي خاصته...»

«خاصتها!» صححت كيلي وهو يقودها إلى خارج المكتب. رمت نظرة أخيرة من ورائه على ويتيكر. لدهشتها، لم يكن يبتسم.

«خاصتها.» قال تاتيل موافقاً. «دعيها تأكل أغصان البروكولي والأولاد الباقون يأكلون البيتزا. لا مشكلة.» أغلق الباب بعنف خلف كيلي.

لا مشكلة! أية ادارة تعليم توظف مدراء مثل هذا يعني أن لديها مشكلات أكثر مما تستطيع حلها! فقط قليل من الإرادة منعتها من رفس بابه.

لم يكن ويتيكر ذا منفعة أبداً. فقد وقف ويداه في جيبيه بينما كان تاتيل يهينها. ثم بدأ إطار الباب يغبش. لم تكن بحاجة لهذا. كانت الأشهر الستة الماضية مريرة كفاية، لم تكن بحاجة لهذا أبداً.

أرادت ذلك أم لم ترده، فهو موجود. لأن، ومع أن الكثيرين سوف يدعمونها على الخطوط الجانبية، لكن ظاهرياً لن يساعدها أحد في معركتها هذه.

هذه المعركة بحاجة للمحاربة. إنها حقاً كذلك.

إذاً ماذا كانت الدجاجة الحمراء تقول دائماً في القصة الخرافية المفضلة عند سوكي؟ «سأقوم به بنفسي، إذاً.» تمتمت كيلي. «سوف أقوم به بنفسي.» لا أحد، ولا حتى دايفيد ويتيكر، سيقف في طريقها.

الفصل الخامس

«لماذا لا يمكنني مرافقتك؟» سألت سوكي وشفتها السفلى متدلية.

تابعت كيلي السير. «كم مرة سألتني ذلك؟»

«أنا أعني ما أقول.» رفست سوكي ورقة شجر ملقاة في المزبلة.

«أنا أيضاً أعني ما أقول.» قالت كيلي باصرار. «كم مرة؟ ثلاث؟ أربع؟» نظرت إلى ساعتها. كان بامكانهما السير مسافة ميل اضافية قبل العودة والوصول إلى المنزل عند المغيب. بسبب نظرة ابنتها، البالغة من العمر ثماني سنوات، تجاه الجليسات، فضلت كيلي تسليمها لجليسة بعد أن تخفف بعضاً من ضغوطها النفسية.

«أربع.» قالت سوكي بتوتر.

«وماذا قلت في كل مرة؟» متعت كيلي عينيها بالنظر إلى لمجموعة من أشجار الزان وقد غطت الشارع أمامهما. كانتا اختارتا طريقاً جديدة لنزهتهما المسائية. عبرا المقطع الذي بناه والد دايفيد ويتيكر، ثم فوق جسر يصل إلى الضفة البعيدة للنهر. كانتا تسيران عبر مكان حيث المنازل كلها متشابهة وعلى ما يبدو، بنيت في بداية القرن كي تستعمل أكواخ اصطياف.

«لقد قلت إنه لا يمكنني السهر لأن علي الذهاب إلى المدرسة في اليوم التالي.» ردّدت سوكي بكآبة.

«وقلت إنك سوف تسأمين. إنه فقط اجتماع بشأن ميزانية

www.rewity.com
عالم الروايات
www.alkottob.com

المدارس، يا عزيزتي. سوف تمرحين أكثر بالبقاء في المنزل مع دارلني.» كانت كيلي تفضل أيضاً البقاء في المنزل. لكن مع أنه مضى يومان على حديثها غير المجدي مع السيد تاتيل، فهي لم تفقد أي شيء من كرامتها. سوف تقف وتتكلم وتقول كل ما عندها الليلة، وليحاول دايفيد ويتيكر منعها.

«لا، لن أفعل.» قالت سوكي معترضة. «سوف أشعر بالملل مع دارلني. كل ما تفعله هو الحديث بالهاتف مع صديقها المسن والأبله.»

«انظري! هذا أرنب.» صرخت كيلي بارتياح: «أراهن على أنك لا تستطيعين التقدم وملامسة ذنبه!» كانت لعبة تلعبانها. كان باستطاعة كيلي التسلل حوالى عشرين قدماً قرب أرنب بري. كان رقم سوكي أقرب إلى عشرين يارداً.

«أراهنك على أنني أستطيع ذلك!» قالت سوكي وبدأت تزحف عبر المرج.

وقفت كيلي مبتسمة بسبب التوتر في جسد ابنتها الصغيرة وهي تتسلل نحو الأرنب. حبست أنفاسها بينما تقدمت شاحنة صغيرة نحوها، «اللعنة» رفعت يديها بشكل أفقي في محاذاة خصرها مشيرة إلى الشاحنة بالتخفيف من سرعتها. جعلت السائق يفكر بأنها غريبة الأطوار بعض الشيء لكن سوكي كانت بحاجة إلى تحقيق انتصار.

بدل التخفيف من السرعة، توقفت الشاحنة. «تريدين شيئاً؟» سأل دايفيد ويتيكر بينما كان يفتح نافذة السيارة.

مهما يكن الذي أرادته، إلاّ أنه لم يكن هذا. أحست بنبضها يتسارع لمجرد رؤيته. «أنا، آه، لم أكن أعلم أنك أنت.» قالت له. كان من المهم إيضاح ذلك: «ولم أكن أريدك أن تتوقف. فقط

التخفيف من السرعة. ابنتي تبحث عن أرنب.» أشارت برأسها نحو سوكي التي كانت تبعد حوالى الخمسين قدماً عن الحيوان. كانت الصغيرة تتقدم ببطء، وتثبت في مكانها كل مرة يرفع فيها الأرنب رأسه.

رفع ويتيكر حاجبيه بشدة، ثم أعاد نظره نحو كيلي. «ظننت أنك لا تأكلين سوى الخضار، أو أنك تستثنين يخنة الأرانب، طالما أن الأرنب مجاني؟»

«أنت لا تظن أننا...» توقفت وحدقت به بينما ظهرت ابتسامته. كان يمازحها.

«لن أخبر الحارس.» قال مطمئناً إياها. «بامكانك أكل كل الأرانب الموجودة في الجوار، ما عدا أرانبي.»

«ألديك أرانب؟» لم يبد عليه أنه رجل من هذا النوع.

«اثنان، يأتيان للرقص في حديقتي الخلفية كل ربيع.» أجابها. «وهذه الرقصة تسبق المحصول من الأرانب الصغيرة بشهر تقريباً.»

خالجها شعور دافىء وناعم عندما التقت عيناهما. لم يكن يقترح شيئاً. كان فقط فصل الربيع، فصل تسارع الأحاسيس والوعي. كانت هناك براعم حمراء على أغصان الأشجار العارية. حيثما نظرت كيلي بدا لها أن هناك شيئاً جديداً في الجو الذي لم يكن قد أصبح دافئاً، لكنه يخترقك... ويثير الأشواق...

«إذاً، سندع أرانبك وشأنها.» أكدت له. استدارت لتراقب سوكي. كان باستطاعتها الشعور بعينيه، تنظران إليها وكأن يداً ناعمة تمرّر أصابعها على مسار عمودها الفقري. كانت سوكي قد اقتربت حوالى الأربعين قدماً من الأرنب. سوف يكون ذلك رقماً قياسياً جديداً.

www.alkottob.com

سألها ويتيكر: «هل بامكانك ترك شيء آخر لشأنه، لأجلي؟»

نظرت إليه كيلي. كان عليها توقع ذلك. كان دفئه تحضيراً فقط لما سيلي الآن.

«هلاّ بقيت بعيدة عن اجتماع الميزانية الليلة؟» سألها مؤكداً شكوكها. «علينا تقديم مشروع بناء المدرسة الجديدة. نريد أن يدعمنا الجميع. لا نريد أي تشويش...» توقف عندما هزّت رأسها.

«تعلم أنني لا أستطيع القيام بذلك.»

«تعنين أنك لن تفعلي.» اختفى كل الدفء من صوته.

«حسناً، لن أفعل.» كانت قد حضرت خمسمائة منشور لتوزيعها قبل بدء اجتماع الليلة. كانت المناشير تتضمن نتائج تحليل كمية الدسم الموجودة في وجبات الطعام المقدمة في ثلاث مدارس ومقارنتها مع توصيات منظمة القلب الأميركية. «سوف أقدم عريضتي للجنة المدرسة الليلة.» قد لا تكون الأسماء كافية، لكن مع ملف الحقائق، ربما يكون لها وقع حسن.

ضاقت عينا ويتيكر. «على كم توقيع حصلت؟»

بادرته كيلي بضحكة غامضة. لماذا الاعتراف بأنها حصلت على مئة واثنين وعشرين توقيعاً على عريضتها؟ لتدعه مشغول البال لعدة ساعات. قالت له: «الكثير منها. الكثير كفاية، لجعل أية لجنة محقة تعيرنا انتباهها.»

محوّلاً كفه إلى قبضة، ضرب على مقود السيارة بنعومة لكن بغضب. «سوف تفسدين كل شيء.»

قالت نافية: «لا أظن ذلك.» أفسد ماذا؟ آماله في بناء مدرسة جديدة، أو آماله من الاستفادة المادية؟

أجابها بمرارة: «لا أظن أنك تهتمين طالما تحصلين على الدعاية لمتجرك.»

لم تكن هناك وسيلة لاقناعه بأن العكس هو الصحيح. هزّت كتفيها غير مبالية، واضعة جانباً الفكرة المزعجة بأنها أرادت... احتاجت... إقناعه، واستدارت نحو ابنتها. وقفت سوكي والأرنب مثل تمثالين في حديقة. كانت أذنا الأرنب منتصبتين بسبب الأحساس بالخطر.

«إذاً، هل أنا سعيد الحظ لكونكما جارتي؟» سأل دايفيد ويتيكر في تغيير مفاجيء للموضوع.

احدودبت كتفا كيلي بسبب السخرية في كلماته. «إننا نقيم على الجهة الثانية من النهر. لقد استأجرنا الشقة الواقعة فوق مرآب ليلاند هاورد.»

«آه... كان عليّ أن أعلم.»

والآن، ماذا عني بذلك؟ بدأت كيلي تتساءل عندما أطلقت ابنتها عويلاً. انطلق الأرنب على المرج وكان أربعين كلب صيد تلاحقه.

«سوكي، كنت على وشك الأمساك به!» صرخت كيلي وقد بدأت بالسير عبر المرج لملاقاتها. «كان ذلك عظيماً!»

«كنت قريبة جداً!» قالت سوكي متأففة. «كان بامكاني رؤية ذيله وهو يهتز!»

أمسكت كيلي بيدي ابنتها ومرجحتها بطريقة دائرية كمكافأة على انتصارها. «لو اقتربت أكثر للمست له أذنيه! أنت الفتاة الخفية، أليس كذلك؟»

شخص آخر كان قد اختفى عن الأنظار أيضاً، اكتشفت عندما نظرت إلى الخلف نحو الشارع. حدقت كيلي بمصابيح السيارة الخلفية، ثم ارتعشت. «بدأ الطقس يبرد، يا عزيزتي. هل تريدين العودة إلى المنزل؟»

بعد ساعتين، نزلت كيلي الدرج بسرعة لتفتح أبواب المرآب.

www.alkottob.com

اللعنة، اللعنة، اللعنة! كانت جليسة سوكي قد وصلت منذ دقائق فقط متجاهلة أنها تأخرت عشرين دقيقة... مما يعني أن كيلي سوف تتأخر على الاجتماع. لن يكون هناك وقت لتوزيع المناشير قبل الاجتماع. «اللعنة!» قالت بصوت عالٍ.

أدارت محرك سيارتها الثمان، انطلقت بها رجوعاً للخروج من المرآب. وما أن ادارت المقود، حتى أحست بأنه قاسٍ و يقاوم. «أوه، كلا!» لا يمكن لذلك أن يحصل.

لكنه كان كذلك. بدا إطارها الأمامي مسحوقاً عندما تحققت منه. «كيف بامكانك ذلك؟» كان الإطار جديداً. رفعت أثاره على الأرض ثم وقفت تحملق به خائبة. أأطلب سيارة أجرة؟ لكن سوف يكون عليهم إرسالها من فول ريفر وهي تبعد خمسة عشر ميلاً.

أرجو أن أجد أحداً ليقلني؟ لكن من؟ لم يكن هاورد في المنزل... كان على الأرجح يحضر الاجتماع الذي قالت كيلي.

«غيّري الإطار، يا كيلي.» قالت مخاطبة نفسها. لم تغير إطاراً من قبل، لكن كم بامكانه أن يكون صعباً؟ كان معها كتيب الارشادات ومصباح بطارية. «إذا كنت تظن أن إطاراً مثقوباً سوف يقف في طريقي، يا دايفيد ويتيكر...» توقفت، يدها على الباب الخلفي للسيارة. بماذا كانت تفكر... أن بامكانه... «كلا.» قالت برقة. هذا غير ممكن.

لكنه سألها أين تسكن... سألها مباشرة بعد أن علم أنها تودّ تحديه وحضور الاجتماع. «كلا.» قالت مرة أخرى. لا يمكن أن يكون حاقداً لهذه الدرجة. ربما سارت على مسمارٍ في مكانٍ ما، هذا كل ما في الأمر. مع ذلك، أحست بفكّها يشتد عندما نظرت إلى ساعتها. بقيت عشر دقائق على بدء الاجتماع.

استغرقت عشر دقائق لتجميع العدة وفهم كيفية استعمال آلة

الرفع. عشر دقائق أخرى لقراءة دفتر التعليمات وتقرير أين يجب وضع آلة الرفع تحت العربة الصغيرة. «لهذا السبب يجب أن تبقى المرأة متزوجة!» لهثت وهي تدفع السيارة إلى أعلى.

ما أن أصبح الإطار مرتفعاً عن الأرض، حتى اكتشفت كيلي أنه كان عليها حلّ البراغي قبل رفع السيارة. كان الإطار يدور كلما حركت مفتاح فكّ البراغي. «اللعنة! هل حقاً فعل ذلك؟» تساءلت بينما أعادت السيارة إلى وضعها السابق. كان باب المرآب مفتوحاً ويبدو أن كذبتها بشأن الحصول على تواقيع كثيرة، قد أخافته. كيف كان له أن يعلم أن «الكثير» لم يعن ألف توقيع؟ «كلا.» قالت باصرار. لا، لن تصدق ذلك. كانت عيناه قاسيتين، لكنهما تنظران إليك مباشرة.

مثل عيني لاري.

همس صوت فتاة: «بوبي! بوبي، أهذا أنت؟»

استقامت كيلي بينما ظهرت جليسة سوكي من زاوية المرآب. «لا، دارلني، هذه أنا.» قالت ممازحة. «من كنت تتوقعين؟»

صاحت المراهقة كتنبيه. «سيدة بوشارد... أنت، أوه، ما زالين هنا!» أطلقت ضحكة صبيانية تدل على غضبها.

«أجل، ما زلت هنا، يا دارلني. عندي عجلة مثقوبة.» أوقعت كيلي مفتاح الربط على الطريق. «لقد غيرت رأيي، لن أخرج الليلة.» ولن تخرج أبداً مرة أخرى حتى تجد جليسة جديرة بالثقة لسوكي. ولينعتوها بأنها من الطراز القديم، لكن بالنسبة لكيلي، جليسة أطفال بحضور صديقها، لا يمكن أن تسمى جليسة أبداً. «لما لا أدفع لك إيجار ساعة ويمكنك الذهاب إلى المنزل؟»

استدارت بالاتجاه حيث كانت دارلني تنظر ولمحت وجهاً

www.alkottob.com

هزيلاً يتحرك في الظلال قرب الطريق. «آوه، حسن. يبدو أنك ستحظين برفقة أحدهم على طريق العودة.»

لكن عندما راقبت كيلي المراهقين ينسحبان بعد أن دفعت لدارلني، لم تستطع منع نفسها من التساؤل. هل تسلّل رجل آخر هذه الليلة تحت جنح الظلام؟ كان ويتيكر على علم بمكان سكنها، واسم متجرها مرسوم بوضوح على سيارتها.

«كلا.» ردّدت لنفسها.

مع ذلك، فقد كانت كلمات ويتيكر الساخرة تتردد في ذهنها بينما أنهت تغيير الإطار ووضعت العدة جانباً. السياسة أمر معقد في هذه المدينة.

حسناً، بالحظ... أو بالتخطيط... ربح دايفيد ويتيكر هذه الجولة. أما الجولة المقبلة، فكرت وهي تخلع قفازيها.

كانت المسألة سهلة. كانت بحاجة إلى تواقيع أكثر على عريضتها... الكثير منها. لم يكن عندها الوقت للمرور على البيوت. لذلك كان عليها التقرب من الهدف... أهالي وست دارتماوث... بأجمعهم.

في اليوم التالي للثقب الفاضح في إطارها، سلمت كيلي رسالة إلى الدارتماوث ديلي. كانت فخورة بالرسالة. وعليها الاعتراف بذلك. كانت قد عملت على إنهائها حتى ساعة متأخرة من الليلة الماضية، وبدا المضمون دعوة عقلانية، مليئة بالوقائع لكل من اهتم حقاً بصحة طلاب المدارس في وست دارتماوث.

أنهت الرسالة بدعوة إلى كل الذين يدعمون قضيتها بملاقاتها في بيور أند سمبل للتوقيع على العريضة.

فوجئت بعد ظهر اليوم التالي برسالتها وقد نشرت في افتتاحية الجريدة، يوم السبت تحت عنوان: «الوجبات المدرسية. خطر جاثم!»

«سوف يفي هذا بالغرض!» أخبرت كيلي فيكتوريا.

«لن يمكنهم تجاهله.» قالت مصففة الشعر موافقة.

لكن على ما يبدو، فإن بامكان معظم سكان وست دارتماوث تجاهله. حل يوم الأحد ولم تحصل كيلي على أكثر من واحد وأربعين توقيعاً. حسن، لكن هذا لا يكفي.

«إذاً، هم لا يهتمون.» قالت فيكتوريا وهي تهز كتفيها.

«لا أصدق ذلك.» عضت كيلي على شفتها بينما نظرت إلى العريضة. «ربما لم أقدم لهم ما يكفي من الحقائق لأقناعهم.»

«أو أنهم يهتمون، لكنهم كسالى.» اقترحت صديقتها وهي تراقب انعكاس وجهها في الزجاج.

عدّلت كيلي قبعتها وقالت: «حسناً، إن لم يأتوا إليّ، فسوف أذهب إليهم.»

لهذا السبب أوقفت سيارتها، يوم الثلاثاء، خلف مدرسة أوك الابتدائية. ترجّلت من السيارة وعدّلت قبعتها التي كانت قد اختارتها لهذه المناسبة. كان عليها اعتمار قبعة الشجاعة. بما أن هذه هي المهمة التي تتطلب جرأة أكثر من أية مهمة أخرى قامت بها من قبل. لكنها اليوم بحاجة إلى قبعة تعجب الأولاد وتجذب انتباههم.

كانت القبعة التي اختارتها ذات حافة عريضة مصنوعة من القش وعليها شكل دجاجة صغيرة حمراء مصنوعة من المطاط. كان عليها أيضاً فرخان اصفرا اللون من المطاط يخرجان

www.Rewity.com
عيون
www.alkottob.com

رأسيهما من تحت جناحيها. كانت تلك القبعة تضحك سوكي دائماً. عدّلت كيلي القبعة في مكانها، ثم توجهت نحو باب السيارة الجانبي لاحضار سلة الغسيل خاصتها المصنوعة من خشب الصفصاف.

راقبت محتويات سلتها بمزيج من الفخر والنفور بينما صعدت السلم على أطراف أصابعها حتى مدخل الخدمة لغرفة الطعام. احتوت سلتها على ستماية كعكة مصنوعة من الجزر والخوخ. كانت كيلي قد قضت ليلتين في صنعها، وتمنت شخصياً أن لا تعاود الكرة مرة ثانية مع أنها كانت مغذية ولذيذة الطعم.

إلاّ أنها كانت أفضل نقض لاستهزاء السيد تاتيل بأن تلاميذ المدرسة لا يحبون الطعام الصحي. سوف يحبها الأولاد، وكذلك أمهاتهم، كانت كيلي واثقة من ذلك. كانت واثقة لدرجة أنها وضعت طريقة التحضير في كيس من البلاستيك مع المنشور الذي يتضمن نتيجة تحليل الوجبات المدرسية ورسالتها إلى الأهل. أما الورقة الرابعة في الكيس فكانت نسخة عن عريضتها حيث يمكن للأهل توقيعها وإرسالها بالبريد إلى لجنة المدرسة. كل ما عليها الآن، هو إعطاؤها هذه الأكياس للأولاد والطلب منهم أخذها إلى البيت لأمهاتهم.

«هذا كل ما في الأمر.» تمتمت بينما حملت السلة ودخلت إلى قاعة الطعام.

فوجئت بالضجة التي أثارها المئة وخمسون تلميذاً وكأنهم في حضانة. توقفت كيلي وراقبت الطاولات الممتدة من نهاية القاعة إلى قاعة أخرى.

الشيء الثاني الذي فاجأها كان الحركة... بدت القاعة وكأنها

تتلوى أمام عينيها. الأولاد يتمايلون، يدغدغ بعضهم بعضاً، يتبادلون السندويشات و الأسرار عبر الطاولات. وقف الآخرون بانتظار طعامهم وهم يقفزون على قدم واحدة للتسلية.

في نهاية الغرفة، لاحظ معلم أصلع طويل القامة، الفوضى في الغرفة وصرخ فجأة: «سكوت!»

عمّ السكون الغرفة بسرعة. «الصف الثالث! اذهبوا واحضروا طعامكم الآن.» صرخ الرجل، وهو يلقي نظرة شمولية إلى الغرفة.

استفرقت كيلي لحظة لأخذ انطباع عن هذا الطاغية. إنه السيد بيبادي، استاذ سوكي السيىء الطباع، الذي التقته في اجتماع بين الأهل والأساتذة. ما أن استوعبت كيلي كلامه حتى وقف عدد من الأولاد وأصطفوا للحصول على وجبة الغداء. بعد ثلاث لحظات عادوا للقفز من جديد. ارتفعت نسبة الضجيج، ثم اندفعت كالمد المرتدّ. تحول عبوس السيد بيبادي إلى ابتسامة عندما استدار للتحدث إلى المعلمة بجانبه.

في هذه الأثناء، وبسبب الفوضى العامة، لم تكن كيلي قد لوحظت بعد. كان بامكانها توزيع أكبر عدد ممكن من الرزم قبل التوقف وتفسير ما تفعله. بدأت بالطاولة القريبة منها، ابتسمت كيلي للفتيات الست الجالسات. «مرحباً، يا فتيات! أدعى كيلي ومعي هدية لأمهاتكن. هل تأخذن هذه الكعكات لهنّ إلى المنزل؟» مرّرت ست رزم من الكعك المصنوع من الجزر والخوخ.

«يوجد دجاجة على رأسك.» أعلنت فتاة سمراء بشجاعة.

«وفرخان.» أضافت كيلي وهي تنزل قبعتها لتريهن إياها. «أرأيتن؟» صرخت الفتيات من السرور. «أرجوكن لا تنسين، خذن هذه مباشرة إلى أمهاتكن.»

www.rewity.com
www.alkottob.com

«ما هذا؟» سأل ولدٌ هزيل ومنمش الوجه، بشك، بينما انتقلت كيلي إلى الطاولة التالية وقدمت ست رزم أخرى.

«كعك لتأخذونه لأمهاتكم إلى المنزل. وتأكدوا من أن تطلبوا منهن إعطاءكم بعضها.» ابتسمت كيلي لكل الصبية الجالسين إلى الطاولة، ثم انتقلت إلى طاولة أخرى بينما كانوا يدلون على قبعتها وينظرون إلى بعضهم البعض مبتسمين.

كانوا يبتسمون، يفسرون وحتى ينصحون بعضهم بعضاً عندما أخذوا بمناداتها بالسيدة الدجاجة. كانت كيلي على وشك الوصول إلى نهاية أول صف من الطاولات عندما ربت أحدهم على كتفها. «أرجو المعذرة، ولكن ماذا تظنين نفسك فاعلة؟» سأل السيد بيباديّ بعبوس.

«يا سيد بيبادي، أنا كيلي بوشارد، أتنكرني؟» بادرته كيلي بابتسامة مشرقة. «والدة سوكي؟ لقد تقابلنا الشهر الماضي عندما انتسبت سوكي لصفك.» وضعت سلتها جانباً على أقرب طاولة فيما تتحدث إليه. «بالمناسبة، هل سوكي هنا؟»

«إنها في حصة الفنون.» قال متمتماً. «لكن ماذا تفعلين؟»

أعطته رزمة وقالت: «أنا أطلب من الأولاد أخذ هذه الرزم إلى المنزل لأهلهم. إذا فتحتها وقرأت ما في داخلها تجدها تفسر نفسها.»

«لـ... لكن أنت...» تلعثم السيد بيبادي بينما استدارت مجدداً نحو الطاولة.

كانت المجموعة الأولى من الأولاد قد مررت الرزم عبر الطاولة في ناحيتي الطاولة على طول الصف الأول. «رائع!» قالت كيلي مبتسمة بفرح. «عمل حسن! لا، لا تفتحوها الآن.» قالت وهي تربت بتوتر على رأس صبيّ ذي شعر داكن، ثم

ابتسمت عندما نظر إليها هذا الأخير بوجه عابس. «هذا لأمك، يا عزيزي. خذه إلى المنزل، وأراهنك على أنها سوف تقتسمه معك. موافق؟»

تبعها السيد بيبادي بينما تابعت تقدمها. «لكن، يا سيدة بوشارد، أنت... لا يمكنك...»

حركت كيلي اصبعها بسعادة أمام مجموعة من الفتيات الشقراوات. «لا، لا تفتحن كيس الكعك هنا، يا فتيات. خذوها إلى المنزل لأمهاتكنّ، موافقات؟»

«لا يمكنك تقديم الطعام!» صرخ السيد بيبادي، وهو يلوّح برسالتها للأهل. قد يكون مُسمّماً، أو...»

«يا سيد بيبادي.» هزت كيلي رأسها له. «هيا، أنت تعرفني! أنت تدرّس ابنتي. هل اسمّم أصدقاءها الصغار في وضح النهار؟ أمام شهود؟» ضربت على الكعك الذي يحمله في يده. «هل قرأت قرفة، خوخ ورشة صغيرة من زيت الكانولا؟ مولاسس، لبن، فالأفضل لك أن تسأل ماذا يضعون في الحلوى التي يقدمونها اليوم.» أشارت برأسها إلى الحلوى الموضوعة على صينية أقرب ولد منها. «إنها مليئة بالدهون المتعبة للقلب. مع البيض... المليء بالكوليستيرول. إنها مصنوعة من الطحين الأبيض الخالي من الوحدات الغذائية. والسكر غير مفيد للأولاد، أيضاً.»

انتقلت إلى الطاولة التالية ووضعت قبعتها بطريقة مضحكة مرددة التعليمات بشأن الرزم. تغيرت ملامح السيد بيبادي فجأة بينما كانت تقوم بذلك، وأعطى تعليماته لصف آخر من الأولاد بالتقدم والحصول على وجبتهم. ثم عاد إلى السير معها.

www.alkottob.com

«لكن يا سيدة بوشارد، ربما ما تقولينه صحيح، في الواقع أنا لا أشك في صحته، زوجتي تراقب نسبة الكوليستيرول في طعامنا ومع ذلك...» استدار وهو يشعر بقلة حيلته نحو المعلمة التي انضمت إليه. «لا يمكنها...»

«خذ.» أخذت كيلي كعكة من يده وقسمتها إلى قطعتين «سوف آكل هذه، فقط لتطمئن. وأنتما الإثنان جربا الباقي.» وضعت قطعتها في فمها وأطلقت صوت «ممم!» تعبيراً عن اعجابها، ثم تقدمت نحو الصف الثالث من الطاولات. «هذه الكعكات لأمهاتكم. أجل هذه دجاجة وليست ديك حبش. إنها دجاجة تبيض.» رأت من طرف عينيها المعلمة وهي تتجه مسرعة نحو مخرج القاعة. «وهل ترون فراخها؟»

«لا تفتحوا هذا!» صرخ السيد بيبادي. قفزت كيلي ونظرت خلفها فوجدت ثلاثة أولاد ينظرون والذنب واضح في عيونهم بسبب فتحهم للرزم ثم أعادوا إغلاقها بسرعة.

«هذا حسن.» قالت كيلي مُشجعة إياهم. «لا ينبغي لكم أكلها هنا. يجب أخذها إلى أمهاتكم.»

«يا سيدة بوشارد!» قال السيد بيبادي وهو يكاد يولول. «يجب عليك التوقف.»

ربتت كيلي على ذراعه. «يا سيد بيبادي، أنا أتفهم اهتمامك لكنني ياشة. لم أكن لأفعل هذا لو لم أكن كذلك. هذه مسالة حياة أو موت... إنها حقاً كذلك. فكر فقط، في كل مرة تدخل فيها إلى دكان بقالة، سوف تجد نادياً صغيراً أو مجموعة من الشبان يبيعون بعض الحلوى. عندها لا تفكر أبداً بأنهم يبيعون السم أليس كذلك؟ الفرق الوحيد هنا هو أنني لا أبيع، وأنني أقول للأولاد بأن يسألوا أمهاتهم قبل أن يأكلوا منها. والآن، هل هنا

سيء جداً؟» قدمت نصف دزينة أخرى من الرزم إلى الأيدي الصغيرة الممدودة. «هل جرّبت كعكتك؟»

مرّر بيبادي يده على صلعته الملمعة حديثاً. «لقد أكلت بعضها. إنها... إنها جيدة جداً. لكن ليس هذا الموضوع!»

«ماذا يجري هنا؟» جاء السؤال بصوت قويّ لدرجة أن كيلي توقعت رؤية رجل، عندما التفتت ولكنها وجدت نفسها تنظر إلى وجه زهري اللون لامرأة سمينة جداً. «ما الذي يجري في قاعة الطعام خاصتي!» سألت وهي تلوّح بملعقة ذات عنق طويل.

«هذه بيرتي هيغينز.» أعلن السيد بيبادي وهو سعيد بنقل المسؤولية لها. «إنها رئيسة الطهاة هنا.»

رمقته بيرتي بنظرة جافة. «وأيضاً مديرة شؤون الطعام في مدينة وست دارتماوث.» صرخت وهي تدفعه بمؤخرة الملعقة.

«أجل، وهذا أيضاً إنها الشخص الذي عليك التحدث إليه.» غمرهما السيد بيبادي بابتسامة عريضة بينما كان يتراجع مبتعداً.

«أجل، لقد سبق وتحدثنا على الهاتف.» وضعت كيلي سلتها الثقيلة على أقرب طاولة. «لقد تحدثنا منذ عدة أسابيع حول... الوجبات المدرسية... نسبة الدسم والكوليستيرول فيها، أتذكرين؟»

رفعت بيرتي الملعقة. «أنكر أنني قلت لك إن الجميع سعداء تماماً بالوجبات التي أقدمها!»

«حسناً، في الحقيقة، ليسوا كذلك.» أصرت كيلي وهي تتراجع عن مرمى الأذى. إلاّ أن خطوتها إلى الوراء جعلتها ترتطم بأحد المقاعد الخشبية. «عندي لائحة تتضمن أسماء مئة

www.alkottob.com

وثلاث وستين عائلة في هذه المدينة غير راضية تماماً عن وجباتك، يا سيدة هيغينز أعني، أنها راضية، لكنها تظن... نظن... أنه لو راقبت نسبة الدسم...»

«اخرجي من هنا!» صرخت السيدة هيغينز. هزت معلقتها في وجه كيلي. «تأتين إلى هنا مع قبعتك ذات الدجاجة وتظنين أنك ستملين عليّ ماذا أفعل، يا آنسة؟ حسناً، عليك التفكير بشيء آخر! اخرجي! اخرجي من هنا!»

كان السيد بيبادي شيئاً وهذا الاعصار الهائج شيء مختلفاً تماماً. «حسناً، حسناً، أنا خارجة!» قالت كيلي واستدارت. «دعيني فقط آخذ...» توقفت مندهشة. كانت السلة ملقاة على جنبها، فارغة. ألقت نظرة شاملة على الغرفة، ورأت الرزم بين أيدي جميع الأولاد. كانوا يمزقون الأكياس، من دون الاهتمام بالأوراق في داخلها، بينما كانوا يأكلون الكعك المصنوع من الجزر والخوخ.

«آه، لا!» قالت وهي تشهق. ثم نظرت إلى الأسفل، بينما كان صبي صغير يشدها من كمها.

«يا سيدة دجاجة؟ هل بامكاني الحصول على كعكة أخرى؟ لقد حصلت على واحدة فقط، وأخذت جاني نصفها.»

«ما الذي تعطينه لهم؟» صرخت السيدة هيغينز. ربتت على كتف الولد بالملعقة. «لماذا لا تأكل الحلوى خاصتك، أيها الشاب؟» ودلت بأداتها نحو صينيته.

«لأن... لأنني أفضل تناول الكعكة.» قال بهمس وهو يتقوقع في كرسيه.

تحول اللون الزهري في وجه السيدة هيغينز إلى أحمر داكن بينما استدارت نحو كيلي. «أنت... أنت...» لم تستطع إيجاد

كلمات تتناسب مع شعورها. بدل ذلك تقدمت والملعقة موجهة نحو كيلي كالسيف.

«أنا ذاهبة!» زعقت كيلي مُستعملة سلتها كدرع وهي تتراجع إلى الوراء. «إنني حقاً ذاهبة!»

«الأفضل لك أن تفعلي، أيتها السيدة ذات الدجاجة!» وأشارت السيدة هيغينز برأسها نحو باب القاعة.

رمت كيلي نظرة خلفها، فرأت السيد تاتيل، المدير، يدخل الغرفة. كان شرطيان في زيهما الرسمي يتبعانه، وراءهما دخلت المعلمة وحارس فضولي.

«سوف تذهبين مباشرة إلى السجن!» صرخت السيدة هيغينز وكانت على حق.

www.alkottob.com

الفصل السادس

كان ذلك رهيباً.

جالسة في المقعد الخلفي داخل سيارة الشرطة وقبعتها ذات الدجاجة ملقاة على حضنها، حاولت كيلي القول لنفسها إنه كان بامكان الأمر أن يكون أسوأ. على الأقل، لم يضعوا الاصفاد على يديها.

لم تساعدها الفكرة. أخفت دموعها وحدقت من خلال الشبك الفاصل برقبة السائق السمينة. «بماذا تتهمني؟» حاولت للمرة الثالثة كارهة الطريقة التي كان يرتجف بها صوتها.

«لننتظر حتى نكلم الرئيس، يا سيدة بوشارد، موافقة؟» استدار زميله النحيل ليرمقها بنظرة ملل، ثم نظر إلى الأمام مجدداً.

تحدث تاتيل عن تعدٍ اجرامي وهو يرمي بوجهها بكتيب الأنظمة. وهي التي لم ترتكب حتى مخالفة الوقوف في مكان ممنوع! لماذا، آه لماذا حاولت ذلك؟

توقفت السيارة عند تقاطع، وغرقت في مقعدها مبقية عينيها فقط قرب النافذة. لو رآها أحدٌ تعرفه... لو علمت سوكي بطريقة ما... آه، لا، سوكي! «يا حضرة الأفندي، ابنتي! علي اصطحابها من مركز الرعاية في الخامسة والنصف. هل أكون مازلت...»

هز صاحب القميص الأزرق كتفيه، وانفجرت كيلي بالبكاء. لا يمكنهم ذلك... ابعادها عن سوكي! هل بامكانهم ذلك؟

سارت الأمور في مركز الشرطة من سيىء إلى أسوأ. وقد

أخبرتهم عاملة الإرسال فيما هي تراقب كيلي بأن الرئيس قد خرج للاطلاع على حادث تصادم قرب المركز التجاري. كان رجلا الشرطة مشمئزين وهما يشيران إلى رأس كيلي. كان واضحاً أنهما يفضلان رؤية حادث الاصطدام على الاهتمام بها.

«أرجوكم.» قالت مرتعشة. «ألا يمكنني القيام باتصال هاتفي؟» فاضت الدموع في عينيها عندما لاحظت أنه ليس لها أحد للاتصال به، لا أحد مستعد للتخلي عن أعماله والهرع إليها لمؤاساتها. على الأقل لا أحد سوى أمها، ولن يكون ذلك عادلاً في حقها، مع أن هيلين كانت قادرة تماما على أخذ أول طائرة تغادر فينكس، رسمت كيلي ابتسامة على وجهها، لمجرد التفكير بأمها وهي تهرع لانقاذها، وعدلت وقفتها. «أرجوك، هل يمكنني اجراء اتصال هاتفي؟»

حدقت عاملة الارسال بمعتقلي كيلي، وتحركا بتردد. على ما يبدو، فإن خبرتهما في أمور كهذه توازي خبرة كيلي بالنسبة لاعتقالها. «اتصال واحد.» قرر الشرطي إلى يسارها. «من الهاتف العمومي، يا سيدتي.» قال مضيفاً بينما تقدمت كيلي نحو لطاولة متوقعة أن يعطوها هاتفا.

تلعثمت كيلي وهي تقول: «لقد... لقد تركت محفظتي في السيارة.»

لم يعجب الأمر الشرطي السائق. أما الشرطي الآخر النحيل فقد دس يده في جيب سرواله وأخرج بعض النقود الصغيرة. «شكراً.» همست كيلي. وضعت المال في الفتحة الضيقة وأصابعها ترتجف. ليلاند هاورد... كان الرجل الذي أرادت الاتصال به.

لكن ليلاند لم يكن في المنزل، حسب ما أجابتها به آلة التسجيل. ضربت كيلي على الحائط بغضب، ثم حاولت متوسلة

www.alkottob.com

الشرطي، تكثيف أحداث بعد الظهر الرهيبة بجمل قصيرة ومتماسكة ولكن خط الهاتف قطع عليها قبل أن تنهي الشرح. «لا، تأوهت.

تنهد الشرطي النحيل وأعطاها المزيد من النقود الصغيرة. «هذه آخر فرصة.»

تدافعت الكلمات في رأسها بينما بحثت في دليل الهاتف عن محام. الفرصة الأخيرة. سوف تتوقع ابنتها وصولها خلال ثلاث ساعات. «أوه، يا رب!» همست وهي تطلب الرقم.

كان السيد غرين خارج المكتب يسجل اعتراضاً، أخبرها صوت أنثوي نشط أنه يمكنها معاودة الاتصال غداً...

«شكراً.» تمتمت كيلي. أقفلت الخط واستدارت نحو الشرطي والذعر في عينيها.

حُجزت في غرفة صغيرة من دون نوافذ تحتوي على كرسيين وطاولة خشبية. لم تكن كيلي واثقة من أن الحارس أقفل الباب بعد خروجه، لكنها كانت تعرف أنه لا ينبغي لها محاولة إدارة المقبض. كان يكفيها ما لديها من مشكلات.

كان وجه الطاولة دبقاً. دفعت كرسيها إلى زاوية وطرت ساقيها على المقعد، ضمت مرفقيها واتكأت إلى الوراء مستندة إلى وجه الحائط، أغمضت عينيها وانتظرت.

حاولت التفكير بمكان مشمس مليء بالأزهار وابنتها معها تركضان معاً. عوضاً عن ذلك، كان عقلها يشدها نحو الظلمة. لقد علقت في مكان حيث اليأس مجمد. ما كانت بحاجة إليه هو ذراعين قويتين تضمانها بقوة. فكرت بلاري لكنها ازاحت الفكرة على الفور. ما من مرة احتاجت إليه، ووجدته إلى جانبها... إنها بحاجة...

أدير القفل وفتح الباب. لم تكن تقوى على الوقوف، ففتحت عينيها ورأت دايفيد ويتيكر يدخل الغرفة. رفّت عينيها مدركة أن رموشها كانت لزجة بسبب الدموع.

«مرحبا...» انحنى أمامها. ممسكاً بمعصميها، سحب يديها لممسكتين بمرفقيها. «هل أنت بخير؟» انزلقت أصابع دافئة لتلتف حول أصابعها.

كان ذلك كثيراً جداً. أكثر مما كانت تتوقع في صلواتها. وكانت القشة التي قصمت ظهر البعير هو أن المساعدة أتتها من آخر مكان تتوقعه في العالم. امتلأت عيناها بالدموع وقالت: «كلا...» حاولت الابتسام. «ليس تماماً. أعني انني كنت أفضل...»

ابتسم لها ببطء وقال: «إنني أرى ذلك.» ضغط على أصابعها وقال: «هل أنت جاهزة للرحيل؟»

«أأنت تخرجني من هنا؟» سألته باستغراب. كان يجب عليه أن يتمتع برؤيتها ذليلة. ولكنه بدلاً من ذلك، كان ينقذها؟ «لماذا؟»

ظهرت ابتسامة على وجهه، لكن السخرية اختفت. «لأنه لا يمكنني تصورك في أي مكان إلا هنا؟» كان يتكلم وكأنه يختبر الكلمات باحثاً فيها عن حقيقة غير متوقعة. هز كتفيه، ثم عدل وقفته وهو ما يزال ممسكاً بيدها. «جاهزة؟»

أخرج منديلاً أحمر من جيبه وقدمه لها. عندما نظفت أنفها لاحظت أنه كان يرتدي سروالاً قديماً من الجينز علقت عليه القليل من الأوساخ.

تبعت عيناه عينيها. «كنت في الحديقة عندما اتصل بي بيل تاتيل.»

لم يهتم بتغيير ملابسه. بل هرع إليها. حاولت بلع لعابها

www.alkottob.com

لكنها أحست بغصة في حلقها. «هل ستدفع... كفالتي؟» تمتمت بينما سارا عبر الممر.

«كلا. لقد أسقط بيل التهم.» أسرع في مشيته وأحست بيده تضغط على مرفقها.

إذا كان مدير المدرسة قد أسقط التهم، وبالتالي تعرف كيلي من طلب منه القيام بذلك. لكن لماذا؟

انكمشت كيلي على نفسها عندما دخلت مع دايفيد الغرفة الأمامية وشاهدت عدداً من رجال الشرطة يحدقون إليها. تقدم نحوها رجل ذو شعر رمادي اللون. «سيدة بوشارد؟ أنا أليوت فريلينغ من الديلي...»

«ليس الآن، يا أليوت، امنحها فرصة.» قال ويتيكر مقاطعاً ورافعاً يده ليفسح لها مجال المرور. لف إحدى ذراعيه حول كتفيها ودفعها بلطف نحو باب الخروج. «يكفيها ما حصل لها في يوم واحد.»

قال فريلينغ مصراً: «سؤال أو أثنين فقط؟»

«آسف.»

نظرت كيلي خلفها. كان فريلينغ قد تبعهما إلى الخارج قال واعداً: «سوف أكون على اتصال بك، يا سيدة بوشارد.»

لعن ويتيكر في سره وهو يسرع الخطى بها إلى الشاحنة الصغيرة خاصته. ما أن فتح الباب، حتى لاحظت كيلي قبعتها ذات الدجاجة ملقاة على المقعد ثم أحست، أنها عملياً، حملت إلى داخل السيارة.

سألته عندما جلس بجانبها: «من كان ذلك؟»

لم ينظر نحوها عندما أدار مقود السيارة متجهاً نحو الطريق. «فريلينغ، محرر في الديلي تماوث ديلي.» اشتدت حدة

صوته عندما نظرت إلى الخلف إلى وجه الصحافي. «لم اكن أظن أنك تودين لفت الأنظار أكثر مما فعلت اليوم.»

كان نصفها مرتاحاً لما فكر به دايفيد، إلا أن النصف الآخر رفض ذلك. في البدء، كانت تفهم دوافع الشخص من خلال كلماته. لكن بعد لاري... «لا، الدعاية هي آخر ما أطلب.» قالت، ثم لم تستطع منع نفسها من الاضافة: «على الرغم مما تفكر به.»

«أنا أسلم بهذه النظرية. لا أظن أن أحداً يعرض نفسه لكل هذا لحزن فقط من أجل دعاية لمتجر.»

شكراً لله على أنه لاحظ ذلك، على الأقل!

«كلا.» قال متابعاً: «لقد عدت إلى انطباعي الأول.» ما أن تعطفا في طريق منزلها حتى لمعت عيناه بسخرية. أختتم كلامه بهذا المزج للاستعارات. «سلاح خطر مغطى بقبعة دجاجة. أنت صاروخ فضائي!»

«أنا لست كذلك!»

«ليس أن ذلك غير خطر.» قال مضيفاً ومتجاهلاً انكارها. «ومصدر ازعاج.»

لم تستطع انكار ذلك. ليس بعد الذي حدث. «إذاً، هيا. اضحك.»

«ليس اليوم، يا كيلي.» مسح ذراعيها بمعصمه وعيناه الرماديتان مركزتان على الطريق ثم تابع القيادة.

قبلت الهدنة بعد تنهيدة شكر وأغمضت عينيها. ثم ذُهلت... لقد ذاداها باسمها. احست بفيض من الدفء يسري في عروقها. فتحت عينيها عندما توقفت الشاحنة للسماح لسيارة بالعبور. «إلى أين نحن ذاهبان؟» سألت بتنبه مفاجيء.

«سوف أوصلك إلى المنزل.»

www.alkottob.com

استغرقها الأمر ثانية من الوقت لترجمة ما قاله... لقد غ
منزلها، طبعاً. لقد تصورت، لثانية من الوقت، مكاناً آخر، أحد
المنازل القديمة قرب النهر، مع حديقة خلفية حيث ترفه
الأرانب في فصل الربيع. «لا أريد الذهاب إلى المنزل. سيارتي
قرب المدرسة.» تضايقت لمجرد التفكير بالعودة إلى المكا
حيث تعرضت للاهانة.

«حسناً.» وأعطى اشارة ضوئية لتغيير اتجاهه.

«شكراً لك.» قالت برقة: «في الواقع، شكراً لك على كل شيء

«شكراً لك، يا دايفيد.» قال بدقة مصححاً. التوت شفتاه عند
رمقته بنظرة مضطربة. «ولا تقولي إننا لا نعرف بعضنا كثي
إذا كنت ساخرجك من السجن في كل مرة أدير بها رأسي.»

انتفضت وقالت: «لا تكمل!»

قال موافقاً بطريقة سلمية: «حسناً.»

أكملا طريقهما وهما صامتان. ما أن اقتربا من المدرسة مد
مدت كيلي يدها لتناول قبعتها، ثم غيرت رأيها. كانت أند
دايفيد قريبة منها وهو يصدر ضحكة صامتة. «ربما من الأف
أن لا تفعلي، إن نظارتي الشمسية هنا إذا أردت أن...»

«لا، شكراً.» قالت متمتمة. إذاً هو يعلم لماذا تضع القبعات
تكن تعلم إذا كان ذلك يشعرها بالارتياح أو بالتهديد. إنه الأخ
فكرت، ثم نسيت ذلك عندما اقتربا من مؤخرة المبنى، قرب نا
الطعام. «سيارتي! لقد تركتها قرب مكب النفايات!»

لعن دايفيد بين أسنانه. «سوف أستطلع الأمر. انتظري هنا

نظرت كيلي إلى ساعتها بعد مغادرته. بقي من الوقت ثلاث
دقيقة على موعد سوكي، شبكت يديها ببعضهما البعض لتر
ارتجافهما.

عندما عاد دايفيد كان وجهه مبتسماً. صعد قربها، وأدار
المحرك، وضغط على يدها بصورة خاطفة. «لقد تم سحبها.»
قال باختصار. صرّ أسنانه بقوة عندما أطلقت تنهيدة عذاب.
«عليك أن تفهمي، يا كيلي. بيل تاتيل مدرّب كرة قدم سابق. إنه
يتصرف بطرق مختلفة؛ أضرب خصمك بقوة، أوقعه أرضاً
وابقيه كذلك. هذه هي طريقة تفكيره.»

«لكنني بحاجة لتلك السيارة!»

«لقد اهتممت بالموضوع. سوف يسلمونك إياها صباح الغد.
إن مكتب فك الحجز مغلق الآن. لقد تعدت الساعة الخامسة.»

«لكنني بحاجة إليها الآن! علي اصطحاب سوكي من المركز!»
كان صوتها يرتجف.

أوقف دايفيد الشاحنة. وقال: «هيا... هوني عليك.» لامس
ذقنها. «لا مشكلة. فقط أخبريني أين هو المركز.»

من المضحك أن تؤثر بها لمسة كهذه. حاولت منع دموعها من
الظهور، أو ربما كانت عيناه الشاحبتان اللتان اخترقتاها
بسهولة. لقد بدتا داكنتين أكثر من قبل. ابتعدت عنه عندما لامس
طرف أصبعه شفتها السفلى. تعثر تنفسها داخل صدرها ولم
تستطع معرفة كم دامت تلك النظرة بينهما. قد تكون دامت لثوانٍ
إلا أنها بدت وكأنها ساعات. «المركز... إنه يقع على طريق
ويلكيس ديري رود. رقم ثلاثة وعشرين.»

«حسناً.» بدا صوته غريباً، لكن، كل شيء بدا غريباً خلال هذا
اليوم. أرادت فقط الذهاب إلى المنزل والاختباء.

عندما وصلا إلى منزل سوزان هيبوود، بقي دايفيد في
السيارة بينما ذهبت لاصطحاب ابنتها. تنفست كيلي الصعداء
عندما لمحت السعادة على وجه ابنتها. بدا واضحاً أنها لم تعلم

www.alkottob.com

بما حصل لأمها خلال النهار. ضمت كيلي ابنتها بشغف. أوه، شكراً لله. شكراً لله. فكرت وهي تلامس شعر ابنتها بخدها. «أوه، سوكومزا» لو أحست سوكي بالخوف لما كانت كيلي سامحت نفسها أبداً.

تراجعت سوكي إلى الوراء لتنظر إلى وجه أمها. «هل أنت بخير، يا أمي؟»

أجبرت كيلي نفسها على الابتسام. «أنا بخير، يا حبيبتي. كان يومي متعباً.»

غادرتا منزل سوزان ويداهما متشابكتان؛ كانت سوكي تخبر أمها عن يومها، لكنها توقفت ما أن ترجل دايفيد من السيارة سبقهما نحو الباب الثاني لسيارة الشحن الصغيرة وفتح الباب. «أين سيارتك، يا أمي؟» سألتها سوكي وهي تنظر إليها.

«لقد ركنتها في المكان غير المناسب وجاءت الشرطة وسحبتها.» فسرت كيلي بسرعة. «لذلك، سوف يقلنا السيد ويتيكر.»

«لكن بامكانك مناداتي بدايفيد.» قال مضيفاً بينما تنظر سوكي إلى مقعد الشاحنة المرتفع. «هل بامكاني مساعدتك على الصعود، يا سوكي؟»

«سوف أقوم بذلك.» قالت كيلي مصرة، لكن دايفيد كان قد سبقها ومد يديه ووافقت سوكي من دون اعتراض.

«هيا اصعدي، أيتها الشابة!» أجلسها على المقعد ثم وضع القبعة على حرجها. «وتحصلين على الدجاجة.» ربتت سوكي على الطير المطاطي واقتربت من أمها التي صعدت وجلست قربها.

لبثوا فترة من الوقت دون كلام. ثرثرة سوكي المعهودة قد

تلاشت بسبب خجلها عند وجود غرباء، ولسان كيلي كان ملجوماً بسبب التعب النفسي. كان دايفيد من تكلم أخيراً. «هل بامكاني اصطحابكما لتناول البيتزا، يا كيلي؟ ليس عليك القلق بشأن تحضير طعام العشاء الليلة.»

كانت ممتنة جداً لما فعله لأجلها اليوم، إلا أن آخر ما أرادته... الليلة أو أية ليلة أخرى... هو الجلوس إلى طاولة واحدة مع أحد رجال لجنة المدرسة والتحدث بعدة مواضيع. «كلا، شكراً لك، يا دايفيد.» أرادت الذهاب إلى المنزل فقط والجلوس مع ابنتها سوكي، وتناول طعام شهي، ثم الخلود إلى الفراش ومحو كل أحداث النهار بالنوم. كان لديها لفائف جوز مع قشدة الحليب في الثلاجة وكانت أشهى من لفائف اللحم. قررت أن ذلك، سوف يفي بالغرض.

«أمي ليست بخير.» فسرت سوكي. «لقد كان يومها شاقاً.»

«هذا أكيد.» قال دايفيد موافقاً. «إذاً ما الذي تقترحينه، يا سوكي؟ ما الذي تقومين به عندما تكون أمك بحاجة للترويح عنها؟»

رمقته كيلي بنظرة غاضبة... كان يتكلم عنها وكأنها منهارة على المقعد الخلفي للسيارة بدلاً من كونها جالسة قريبة جداً منه. لكنه كان تبادل مع سوكي نظرة ذات مغزى.

«عندها، أحضنها.» قالت له سوكي. «هكذا!» مررت ذراعيها حول خصر كيلي وحضنتها من كل قلبها.

«تبدو لي فكرة حسنة.» قال دايفيد موافقاً، والضحك يلوح من خلال كلماته. «ما الذي يرفع من معنوياتها أيضاً؟»

عبست سوكي ثم لمعت عيناها. «نذهب في نزهة طويلة سيراً على الأقدام.»

www.alkottob.com

«قد تكون تعبة جداً الليلة للقيام بنزهة كهذه.» قال دايفيد محذراً: «علاوة على ذلك، أظن انها لم تتناول طعام الغداء.»

«إنها كذلك.» قالت كيلي باقتضاب: «لقد فاتها ذلك، وإذا كنتما لا تمانعان أنتما الاثنان...»

«حسناً، سوف نتناول طعام العشاء.» قالت سوكي بتصميم «ثم يجب أن تأخذ حمام زيت وكثيراً من الشموع حول المغطس كما تحبها مع بعض الموسيقى الجميلة...»

«إنها تحب ذلك، أليس كذلك؟» سأل دايفيد بنعومة. هز رأسه وكأنه يجيب نفسه. «يبدو هذا وكأنه مفتاح السر.»

أحست كيلي بوجنتيها تلتهبان. لقد فتحت سوكي الباب على حياتهما الشخصية. أحست للحظة وكأنها تشارك دايفيد الصورة الفكرية ذاتها. صورتها، صدرها مكسواً بالفقاقيع وشعرها مرفوع، ودايفيد يقف بباب غرفة الحمام، وعيناه تلمعان في ضوء الشموع. أحست برعشة تسري في عروقها. «حسناً، الآن وقد خططتما أنتما الإثنان لكيفية قضاء أمسيتي...» قالت غاضبة. لكن سوكي كانت على حق. حمام الزيت بدا وكأنه فكرة سماوية.

عندما توقف دايفيد أمام منزلها، استجمعت كيلي ما بقي من قواها. خرجت ثم حملت سوكي ووضعتها على الأرض وأعطتها المفاتيح. «اذهبي يا حبيبتي، سوف الحق بك حالاً.»

اختفت سوكي عن الأنظار وهي تلوح بيدها لدايفيد، ووقفت كيلي قرب النافذة. كيف بامكانها اخباره عن دعمه لها اليوم؟ كانت عاجزة عن التعبير بالكلمات. قد يمكن للمسة أن تفي بالغرض، لكن بما أن تلك الطريقة كانت غير واردة... «شكراً لك.» قالت ولكنها دهشت لأن العبارة بدت في غير محلها.

قال بهدوء: «لا حاجة لذلك.»

كان نظره أشبه بممر من النور بينهما، ممر لم تختر اللحاق به، لكنها لا تستطيع إنكار وجوده، مع أنها كانت تتمنى ذلك. لم تكن تريد أي نوع من الارتباط مع هذا الرجل، مهما بدا محترماً، هذا اليوم. «شكراً لك.» قالت مرة ثانية وابتعدت.

ما أن ابتدأت بالتحرك حتى أصبح توسيع الهوة بينما أسهل. أسرعت على الدرج حتى المنبسط، ثم توقفت من دون أن تعلم لماذا انتظرت. اختفت أضواء سيارة دايفيد وتركت المكان في ظلمة من جديد. تنهدت كيلي بقوة ودخلت إلى المنزل.

ما أن انتهت هي وابنتها من طعام العشاء حتى سمعتا طرقاً على الباب. نظرت كيلي إلى الرداء الأبيض الطويل الذي كانت ترتديه. آخر ما أرادته هو استقبال زوار. كان جسدها كله يؤلمها وكانت تحلم بالحمام الساخن الذي وعدت به نفسها. تقدمت نحو الباب وهي تشد الحزام حول خصرها.

كان دايفيد يقف بالباب، وإلى جنبه يتدلى كيس أبيض اللون. «أنا آسف لازعاجك مرة ثانية، لكنني ظننت أن هذا قد يكون ذا منفعة.» أعطاها الكيس وعيناه تتأملان رداءها. «أرى أنني وصلت في الوقت المناسب.»

للقيام بماذا؟ تساءلت، وهي تنظر إلى الكيس. كانت عليه علامة محل خاص في المركز التجاري حيث يقع بيور أند سمبل، لكن إذا كانت تلك هدية فهي لا تريدها. إنها تدين له بالكثير حتى الآن، والمؤكد أن هناك خيطاً يربط العاطي بالمعطى له. مجرد وقوفها هنا، أحست وكان خيوطاً خفية من المشاعر تربطهما ببعضهما البعض، مثل تلك الخيوط الفضية التي ينسجها العنكبوت عند الحديقة في الفجر. «ماذا يوجد...؟»

www.alkottob.com

استدارت كيلي بارتياح عندما سمعت وقع أقدام قوية على الدرج وظهر وجه ليلاند هاورد وبدت عليه الدهشة عندما رأى دايفيد. «كيلي، كنت أستمع إلى رسائلي الهاتفية على آلة التسجيل.» قال عندما وصل إلى المنبسط. «هل تريدين القول بأنهم أوقفوك؟»

«ليس تماماً.» قال دايفيد مقاطعاً. وبسرعة، لخص له أحداث النهار. أحست كيلي بوجنتيها تشتعلان، بينما كان دايفيد يتكلم. فإذا كان لا بد لهذه القصة أن تُروى، يجب أن تكون هي من يرويها. العبارات التي استعملها دايفيد في رواية القصة، جعلتها تبدو أشدّ غباءً من الحقيقة.

لم يكن عليها أن تقلق. فقد كان مالك منزلها إلى جانبها. «إن هذا لغريب حقاً!» قال بغضب عندما أنهى دايفيد سرد الحادثة. «طلب الشرطة لاعتقال أحد الأهالي إن تاتيل لأحمق حقاً. سوف اتصل به قبل انعقاد مجلس البلدية وأطلب منه تفسيراً لموقفه. هذا مشين!»

«لقد اعتذرت لكيلي.» قال دايفيد بتوتر. «وبالنسبة لتاتيل، بامكان لجنة المدرسة الاهتمام بأمره، يا ليلاند. لا تقلق بشأنه.»

«سوف أقلق بشأنه عندما يتعرض أحد الأهالي للازعاج والاهانة، فقط لأنها أظهرت اهتماماً!»

قست عضلات فك دايفيد وقال: «ليست مسألة إهانة. لقد حصل سوء تفاهم، وقد سويت المسألة. انتهت القصة.»

لكن بيل تاتيل قد أهانها بتهديداته وبتقديم شكوى ضدها. ودايفيد يحاول انهاء القضية وكأن شيئاً لم يكن.

قال ليلاند: «ربما هي كذلك، أو ربما ليست كذلك. حتى لو لم نتصل ببيل لسماع أقواله، فأنا لن أدع المسألة تنتهي هكذا.»

«حسن، لا تفعل إذن.» قال دايفيد وقد عقد ذراعيه. «حتى ذلك الوقت، كنا كيلي وأنا نتحدث...»

«أوه؟» نقل نظره من دايفيد إليها ثم العكس. «أوه.»

أوه، ماذا؟ شعرت كيلي ببعض الانزعاج بسبب الطريقة التي استعملها دايفيد لطرد ليلاند عن بابها. بسبب الاستنتاج الذي قفز إليه. فتحت فمها للاعتراض على كلام دايفيد إلا أنها أغلقته من جديد. لم تكن عندها الرغبة في استعمال ليلاند هذه الليلة.

«شكراً لأنك مررت بي، يا ليلاند.» قالت وهي تتقدم نحو الدرج: «آمل أن لا يكون اتصالي قد أقلقك.»

«أوه، لا، لا أبداً.» بدا ليلاند وكأنه لا يريد تركهما بمفردهما. «أريد معرفة المزيد عما حدث عندما يكون عندك وقت للكلام.»

«بالتأكيد.» قالت كيلي، مع أنها لم تكن قد نسيت خيبتها. «مر بي غداً لتناول فنجان من الشاي، إذا أردت.»

«أعدك بذلك.» قال واعداً، بينما رمقه دايفيد بنظرة غاضبة. «ليلة سعيدة، يا كيلي.» قال مستثنياً دايفيد من التحية.

عندما نزل الدرج، تنفس دايفيد من بين أسنانه. «إنه يستغلك.» قال محذراً إياها بنعومة.

«إنه رجل طيب جداً، وأوّد اقفال الموضوع.» أجابته كيلي. لم تعد تعلم بمن تثق وكانت تكره هذا الشعور. لقد أتت إلى هذه المدينة لتقف على قدميها من جديد. لقد نذرت نفسها للملذات البسيطة والنقية في الحياة. بدل ذلك زجت بنفسها في وسط هذه... هذه الحرب القاسية، ولم تكن تعلم حتى من هم أصحاب القبعات البيضاء فيها. «وأود أن أتمنى لك أيضاً ليلة سعيدة، يا دايفيد.»

أمسكت بمقبض الباب وبدأت بالدخول إلى المنزل، إلا أن يده

www.alkottob.com

أطبقت على أصابعها. «هذا ليس الوقت المناسب، يا كيلي، لك
يجب أن نتكلم. كنت قد خططت لرؤيتك في كل الأحوال، وقبل أ
يحدث ما حدث اليوم. لقد كنت خارج المدينة خلال عطلة الأسبو
وإلا كنت تكلمت معك قبل الآن.»

«عمّ؟» كانت تعبة جداً وساقاها ترتجفان. حاولت التراجع إ
أن قبضته شدت بحنان.

«عن المعهود. رسالتك في الصحيفة يوم السبت، والآن هذ
أريدك أن تعديني بشيء... إذا اتصل بك أليوت فريلينغ، ا
تتحدثي معه. ليس قبل أن تسنح لنا فرصة للتكلم. هل تفعلي
هذا لأجلي؟»

هكذا حل آخر لغز في أحداث اليوم. لم يهرع دايفيد إليها فق
لأنها أرادت صديقاً بقربها، أليس كذلك؟ ليست هذه الطريقة التي
يتعامل بها الناس في هذا العالم، مهما أرادت أو احتاجت كيلي
لصديق. لذلك أتى لمساعدتها لأنها تستطيع التأثير على حس
للمدرسة الجديدة إذا لم يساعدها.

كان يخاف من الدعاية منذ البداية، هذا ما لاحظته. إذن م
الذي قد يضر بحملته أكثر من مقالة عن كيلي وقضيتها ف
الجريدة المحلية؟ مقالة قد تجعل من مجابهة كيلي مع القانو
ذات أهمية. «إذاً هذا هو مربض الفرس.» قالت بنعومة.

ارتفع رأسه. «عمّ تتحدثين؟»

«لهذا السبب ساعدتني اليوم... حتى لا أتحدث إلى الصحافة
أليس كذلك؟ قد أكون بدوت كمدفع طليق، إلا أن تاتيل بدا متنمر
هذا يجعلكم كلكم تبدون رديئين.»

«مهلك لحظة!» قال دايفيد وقد بدأ بفتح الباب.

«لا! أرجوك لا تفعل.» وضعت يدها على صدره لمنع تقدم

لقد عانيت كفاية، يا دايفيد. لا أريد الحديث عن الموضوع.»
توقف قليلاً وهو يعبس. أنزل نظره نحو يدها ثم أعاده إلى
وجهها.

«إنني أعني ما أقول، يا دايفيد!»

«حسناً.» قال وتنفس بتوتر: «لقد فهمت الموضوع بطريقة
خاطئة، لكن لا بأس. إنني أفهم وجهة نظرك الليلة. سوف نتحدث
عن الموضوع لاحقاً.»

«شكراً لك.» تراجعت إلى المنزل وأغلقت الباب بينهما.

«فقط لا تجيبي على هاتفك الليلة إذا كنت لا تريدين التحدث
عن هذا الموضوع مع فريلينغ!» قال صارخاً من خلف الباب.

«لاحظت كيلي أن تلك كانت نصيحة حسنة. قطعت خط الهاتف
وأغلقت على نفسها، بعيداً عن العالم كله.

لكن عندما هدرت سيارة دايفيد مبتعدة. «لاحظت أنها ما زالت
تحمل الكيس الذي أحضره. كان يحتوي على منشفة حمام
ضخمة ذات لون أزرق داكن، شمعتين طويلتين، وعلبة زيت
حمام برائحة زنبق الوادي. وضعت الهدايا جانباً وهي تضحك ثم
وجدت هدية إضافية. كان ضمنها كاسيت، وقد بدا من وضعها
لمزري أنها استعملت عدة مرات من قبل. كانت تحتوي على
تسجيل لأصوات الحيتان بأنشودة جميلة وحزينة. «أنت رجل
غريب الأطوار، يا دايفيد ويتيكر!» قالت هامسة. لكن عندما ذهبت
لأخذ حمامها كانت تبتسم من جديد.

www.alkottob.com

الفصل السابع

وصل دايفيد في الصباح التالي، إلى منزل كيلي وهو يقود سيارتها فيما كانت تلوح لابنتها وهي ذاهبة إلى المدرسة. «صباح الخير.» قال وهو ينزل نافذة السيارة. «هل تشعرين أنك أفضل؟»

«أجل.» لقد أزال زيت زنبق الوادي الذي جلبه كل متاعب النهار الفائت. وأزال أيضاً غضبها من دايفيد. إذا كانت لديه دوافعه الخفية لاخراجها من السجن وابعادها عن أليوت فريلينغ. فهي لا تستطيع لومه، لأنه يعمل لمصلحته الشخصية. يقوم الناس بهذا العمل في كل مكان وفي كل يوم. كان عليها فقط التذكر بأن لا تأخذ لطفه معها على محمل الجدّ. «لقد أحببت أنشودة الحيتان الحزينة كثيراً.»

«اعتقدت أنها سوف تعجبك.» قال بصوت دافىء مما جعله جذاباً جداً.

«والشموع.» أضافت بسرعة. «وال...» لم تكن تريد ذكر حمام الزيت أو المنشفة. «والأشياء الأخرى.»

«أنا سعيد لهذا.» قال ببساطة، ثم ربت على جانب سيارتها «هل عندك وقت لإيصالي إلى سيارتي؟»

«طبعاً. سأحضر محفظتي.»

«وأردت التحدث معك بشأن فريلنغ.» أضاف دايفيد به انطلاقهما في السيارة بعدة دقائق.

هذا الرجل لا يتراجع أبداً، أليس كذلك؟ تنهدت كيلي وقالت: «هل علينا التحدث بشأنه؟»

هزّ دايفيد رأسه بالايجاب. «لا أظن أنك بدأت بفهم مدى الخسائر التي تحدثينها هنا، أو التيارات السياسية الخفية. لكن ربما إذا شرحت لك.»

هزّت كتفيها في نهاية الأمر، موافقة. مهما يكن، فلهذا الرجل حضور آسر.

«عندما كنت أترعرع في هذه المدينة.» تابع حديثه. «كان عندنا أفضل ثانوية في جنوبي غربي ماساشوستس. صُدِمتُ عند عودتي إذ وجدت أن ذلك قد تغير كلياً. لم تكن المدينة تصرف المال الكافي على التربية والتعليم. الثانوية أصبحت قديمة وغير صالحة كذلك المدرسة الابتدائية. نتيجة لذلك الاهمال، نقل الأهل المسهورون أولادهم إلى مدارس خاصة، بعيداً عن المدرسة الرسمية حيث يمكنهم الحصول على العلم اللائق.»

عدّلت كيلي في جلستها بتوتر. «كانت ستيفاني ابنة هاورد تذهب إلى مدرسة خاصة، لكن...»

«إذاً، هذا يعني أن الأشخاص الأكثر نفوذاً في هذه المدينة لم يعد لديهم أحد في المدارس الرسمية.» قال دايفيد متابعاً. «لم يعد يؤثر ذلك على أولادهم. وبما أنهم يدفعون أقساطاً مرتفعة، فهم غير مستعدين لدفع ضرائب عالية لتحسين المدارس الرسمية. هذا هو الاتجاه الذي يسير به هاورد وأمثاله. ومن هنا يبني هاورد سمعته السياسية.»

ربما كان ذلك صحيحاً، لكن لماذا يهتم دايفيد؟ كونه رجلاً غنياً، من دون أولاد وعازباً، الأفضل له أن يساند مجموعة

www.alkottob.com

هاورد... إذا كانت هذه المجموعة موجودة حقاً خارج مخيلته.

«هذه هي المجموعة الرئيسية المنظمة التي تعارض بناء المدرسة الثانوية.» قال دايفيد. «في مواجهتهم لديك أهالي الطلاب، معظمهم من الطبقة الوسطى، منهمكين في كسب لقمة العيش. كانت المعارضة منظمة بشكل أفضل خلال السنوات الأربع الماضية. لكن هذه السنة فكرنا أنه بمقدورنا تشكيل اتحاد لتمرير قضية البناء. حتى أتيت وناقشت موضوع...»

هزّت رأسها معترضة. لم تكن توافقه الرأي في ما قاله.

«لهذا لا أريد منك التحدث إلى فريلنغ.» قال دايفيد باصرار. «إنه مع الآخرين. هناك مرارة في كتاباته. على كل حال، كل ما أقوله هو، أرجوك، فكري قبل مقابلة فريلنغ. لقد جعلت من نفسك مادة أخبار، البارحة. لا تدعيهم يجعلون منك شهيدة، إلا إذا...» ضاقت عيناه. «... كان هذا ما تريدين.»

تنهدت كيلي وأراحت رأسها على ظهر المقعد. «لا أقبل فكرة أن القضيتين تلغيان بعضهما البعض. وهذه هي نقطة الخطأ في تفكيرك.»

فتحت عينيها مندهشة عندما ضرب على المقود.

«اللعنة، يا كيلي! ليس لدينا المال لخبيرة تغذية! ليس لدينا وحتى لو كان متوفراً، ماذا تريدينا أن نفعل؟ أن نطرد بيرتي هيغينز؟ إنها تدير برنامج التغذية في المدرسة منذ ثلاثين عاماً.»

تصورت كيلي ملعقتها المرعبة وابتسمت. مع ذلك ما تزال لديها وجهة نظر. لا تهمل الناس بسبب أنهم حديثوا العهد. لكن السيدة هيغينز ذكرتها بأمها في تلك الأيام الماضية. كان الطعام الذي تعدّه أكثر خطراً على نفسها مما كان على الأولاد. على

الناس أن يتغيروا مع الزمن، وأن يتقبلوا ويستعملوا ما يأتي به تطور العلوم. كيف للحياة أن تتقدم إذاً؟

استرعى دايفيد انتباهها من جديد. «إذاً، وبما أن هذا هو الوضع، ما الذي يشعرك بالسعادة؟» سألها.

السعادة؟ لقد مضى وقت طويل لم تشعر بالسعادة. أوه، ملذات الحياة البسيطة مع سوكي... الطهي، مراقبة الأرانب، نزهاتهما واللعب، كل ذلك أشعرها بالسلام والرضى. لكن متى شعرت لآخر مرة بتلك السعادة الغامرة التي تحملك عبر الحياة كما يحمل النهر الإوزة؟ «السعادة؟» ردّدت ونظرها مركز على جانب وجهه حيث تعكس الشمس أشعتها. مرّ شيء خاطر... خاطر أبله لدرجة أنها حاولت محوه قبل أن يظهر إلى العلن.

«سعيدة.» كرّر دايفيد وهو متجهم. «ماذا بامكاننا أن نفعل لتحسين الوجبات من دون أن يكلفنا ذلك أي شيء؟»

«وإسكاتي.» أضافت كيلي بأسف. كانت تفكر بحياتها، وهو لم يكن يفكر سوى بعقد صفقة. «أين هو الطعام المجاني؟» سألت.

«ليس عندنا المال، لقد أخبرتك بذلك. لا بدّ من وجود حلّ آخر.»

«إذاً...» عبست كيلي محاولة التفكير. «طريقة تحضير الطعام الحالية لها تأثير كبير، كذلك محتوياته... أي نوع من الزيوت تستعمل السيدة هيغينز، هل هي تقلي الطعام أم تشويه، هل هي تطهو بحليب كامل الدسم أم خالٍ من الدسم. لا أستطيع الجزم إذا كان بامكاننا تحسين طريقتها في الطهي من دون مراقبتها وهي تقوم بذلك.»

www.alkottob.com

«هذه ليست مشكلة.» قال دايفيد بسرعة. إذا أردت مراقبتها وهي تطهو، بامكاني إدخالك إلى هناك.»

«امممم....» آخر ما أرادت القيام به هو الدخول إلى تلك القاعة مجدداً. كانت بلهاء عندما حاولت القيام بتلك المخاطرة البارحة. كان هاورد يلومها دائماً على تسرّعها، لكن حتى بالنسبة لها كان ذلك كثيراً جداً.

لكن مهما كان الاذلال الشخصي الذي تعرضت له إلاّ أن شيئاً لم يتغير بالنسبة للأولاد. كانوا ما يزالون يحصلون على وجبات تسرق السنين من أعمارهم. العودة إلى هناك قاسية جداً، لكن إذا كان بامكانها تقديم بعض الاقتراحات لتحسين الوجبات... إذا كان حقاً بامكان دايفيد جعل السيدة هيغينز تتقبل نصائحها...

توقفت السيارة في المكان المقصود. وضع دايفيد طرف اصبعه على خدها وأدار وجهها نحوه. «إذاً؟» سألها.

تسارعت أنفاسها، ثم هدأت عندما أنزل يده. أخذت نفساً عميقاً وقالت: «أظن... موافقة... إذا حضرت معي.»

امتلأت عيناه بالدفء. «إذا أردت ذلك، طبعاً.»

«لتحميني من السيدة هيغينز.» أضافت كيلي بسرعة. «هذه المرأة ترعبني.»

«آه.» بدت القساوة على وجهه فجأة. «أجل. إنها ترعب الجميع. لكنها تملك قلباً من ذهب، يا كيلي، ما أن تتعرفي عليها أكثر حتى تكتشفي ذلك بنفسك.»

«أنا واثقة من ذلك.» قالت كيلي موافقة، وهي غير واثقة أبداً. أخذت نفساً عميقاً مرة ثانية ولاحظت فجأة انتفاخ صدرها من جراء ذلك. «موافقة. متى نقوم بذلك؟»

«غداً.» قال دايفيد محدداً. «سوف أتصل بتاتيل حالما أصل إلى المنزل.»

عندما دخلت إلى مدرسة أوك الابتدائية في الصباح التالي، لمحت كيلي انعكاس صورتها في الأبواب الزجاجية. كانت قد ارتدت سترة وتنورة من القماش القطني الناعم، وقميصاً حريرياً أخضر اللون وحذاء ذا كعب منخفض. ورفعت شعرها إلى الوراء وشدته على هيئة كعكة. أما الحلى الوحيدة التي وضعتها فقد كانت قرطين من الذهب. ولم تعتمر قبعة.

جالت نظرها على القاعة ورأت دايفيد وهو يبتعد عن خزانة خاصة بالكؤوس، تقدم للقائها وعلى وجهه ابتسامة. «رائع جداً.» قال مصفقاً بينما شملها بنظرة سريعة حتى أخمص قدميها. «تتحمل المسؤولية. جدية، لكن غير متحمسة كثيراً. كفوءة، مع ذلك غير عدوانية أكثر من اللازم...» التوت شفتاه بطريقة شريرة. «... ومن دون دجاج.»

«ثور.» قالت بتحديد ناعم، وتوجهت نحو مكتب المدير.

أمسك دايفيد بذراعها وهو يضحك. «يقول بيل إنه لا يريد اعتذارات، يا كيلي. إنه مستاءٌ اليوم، فلندعه على حاله، موافقة؟»

«مستاء؟ لماذا؟» سألت، فيما كان دايفيد يقودها عبر الردهة.

«لقد وضعت بيرتي هيغينز أوساخ القطط في مكتبه عندما أخبرها بأنه سوف تكون لك حرية التصرف في مطبخها. ثم مرّ به ليلاند هاورد وأنّبه. أتوقع أنه يتمنى لو لم يسمع بك قطّ.»

«أوه، يا إلهي.» لقد قصدت أن تعقد هدنة مع تاتيل حتى لو كان ذلك رغم إرادتها. أخذت بالتساؤل في ما إذا كان نزاعهما قد تخطى مرحلة الصلح، الآن.

«سوف يتغلب على ذلك.» نظر إليها دايفيد نظرة جانبية وهز

www.rewity.com
www.alkottob.com

رأسه. «إنه لتنكرٌ حسن.» قال بنبرة اعجاب. «أنت لا تبدين اليوم أنك المرأة نفسها البارحة.»

إنها لا تبدو على حالتها المتوترة، المتشائمة.

هذا ما عناه. تنهدت كيلي متسائلة من أين يأتي بهذه النظرة الدونية عن أساليب الحياة البديلة. في كاليفورنيا، طبعاً، قررت بينما كانا يدفعان أبواب قاعة الطعام للدخول.

كانت الغرفة هادئة وخالية. كانت أضواؤها خافتة والبقعة الوحيدة المضاءة كانت الشباك الذي يقدم الطعام من خلاله والمؤدي إلى المطبخ. وقفت معلمة أمام المنصة تملأ فنجاناً من القهوة. وضعت قطعة نقدية في وعاء صغير ثم استدارت. «سيد ويتيكر! مرحباً.» تحولت ابتسامتها من ابتسامة أدب إلى أخرى مليئة بالدفء. رفعت كوبها وارتشفت بعضاً منه وهي تتفحص كيلي. «أوف! إن طعمه... مقرف حقاً!» قالت وهي تنظر إلى مشروبها. وضعت كوبها على الطاولة وقالت لكيلي: «لا تجازفي بتذوقه، يبدو أن بيرتي في طريقها لشن حرب ما.»

كان بامكان كيلي أن تتكهن، على من ستعلن هذه الحرب، بينما رمقها دايفيد بابتسامة العارف، ثم قادها داخل المطبخ وهمس: «تشجعي، يا صديقتي.»

لاحظت أنه كان يتمتع، ولكان هزّ ذراعيه فرحاً... لو لم تكن بيرتي هيغينز تراقبه عن بُعد. ما أن خرجت الطاهية من الغرفة حيث تتدلى أدوات الطهي، حتى تخيلت كيلي وحيد قرن يتحضر للهجوم. أخذت كيلي نفساً عميقاً وتقدمت بمفردها نحو بيرتي. «يا سيدة هيغينز.» قالت وهي تمدّ لها يدها. «إنه لطف كبير منك أن تسمحي لي بزيارة مطبخك.»

أسدلت بيرتي هيغينز جفنيها على عينيها الزرقاوين.

وازداد احمرار وجنتيها وطرف أنفها بينما حدقت بيدّ كيلي الممدودتين. «هل تظنين ذلك؟» قالت لها.

نسيت كيلي الاعتذار الذي كانت قد حضرته ويدها ما تزال ممدودة. «إنني ممتنة لذلك.» قالت بصوت خافت.

«حقاً؟ إذن ابتعدي عن طريقنا. علينا تحضير الطعام.» مرّت السيدة هيغينز من قربها، وضعت قفازين خاصين بالفرن وفتحت الأبواب الزجاجية لفرن تجاري كبير.

تبعتها كيلي بخجل لتنظر من خلف الطاهية. كانت رفوف الفرن مليئة بالصواني وعليها قطع من الدجاج المقلي. كانت كل قطعة موضوعة في وعاء خاص بها والسمن يلمع على أطرافها. «هذا ما أعنيه.» قالت كيلي برقة بينما وقف دايفيد بجانبها. عندما استدارت السيدة هيغينز لتحدق بها، أضافت كيلي: «أفترض أنكم تشترون الدجاج مقلياً سلفاً، ثم تعاودون تسخينه هنا؟»

أجابتها الطاهية بهزة رأس قوية.

قالت كيلي مضيفة: «والجلد ما يزال عليها؟»

كانت هزّة الرأس الثانية أقوى. ابتعدت الطاهية لتوّنب بحدة امرأة شقراء كانت تحرك شيئاً ما في وعاء موضوع على القسم الأعلى من الفرن.

«هذه ليست وجبة صحية للقلب.» قالت كيلي لدايفيد بوضوح. «جلد الدجاج مليء بالدسم، وعندما يمزج بالبيض المخفوق ويقلى تتضاعف كمية الدسم فيه.»

سألها دايفيد: «ماذا بامكانها أن تفعل لتحسينه؟»

هزّت كيلي كتفيها. «يجب ألا يقلى أبداً، ويجب نزع الجلد عنه. لكنني أشك بامكانية شرائه منزوع الجلد، وليس لديها

www.alkottob.com

الوقت لنزع جلد الدجاج لثلاثمائة ولد. قد ألغي هذه الوصفة وأستبدلها بديك الحبش أو وجبة نباتية.»

«وجبة نباتية!» صرخت السيدة هيغينز وفتحت حجيرة يتصاعد البخار من داخلها. أشارت، فيما انتشر البخار نحو وعاء يحتوي على حبوب الفاصولياء ذات لون رمادي تطفو في الزبدة. «الأولاد يكرهون الخضار! تحققي من الصواني في نهاية كل وجبة. إذا لم تطعميهم سوى خضار فسوف يستنكفون ويموتون جوعاً قبل أن يأكلوها. صدقيني.»

«عندها وجهة نظر.» قال دايفيد عندما هدأت. «أتذكر عندما كنت في الصف الثالث حيث جمعت أنا وصديق لي كل الفاصولياء الموجودة على مائدتنا. لقد بنينا حائطاً من ست أقدام تحت شجر الصنوبر قبل أن يأخذونا إلى المدير.»

استطاعت تصوره وهو في الصف الثالث ابتدائي. مشاغباً، مغروراً وعيناه تلمعان بالذكاء. مليئتان بالشر. ابتسمت رغماً عنها واستدارت لتراقب بيرتي هيغينز وهي تضع مقلاة من البطاطا المهروسة في الفرن. «بطاطا مهروسة سريعة التحضير؟» سألت كيلي المرأة، التي بدت وكأنها توافقها الرأي. حافظت كيلي على ابتسامتها المهذبة. «هل تمانعين إذا سألتك عمّ تضعين في هذه الوصفة؟»

«أجل.» قالت الطاهية ومسحت يديها الصغيرتين بمئزرها الملطخ بالبقع.

قال دايفيد بنبرة مزجت بين المزاح والتحذير: «ما هذا، يا بيرتي.»

«لا تأمرني، يا دايفيد ويتيكر!» قالت بسرعة. «إنني أتذكرك عندما لم يكن باستطاعتك رفع نظرك عن هذه الأطباق

ربوم أحضرت تلك الضفدعة وأردت وضعها في الحساء.»

«كان ضفدعاً في الواقع.» قال معترفاً. ولسعادة كيلي، احمرت أطراف أذنيه، ووضع يديه في جيبي سرواله. «لكن ماذا يوجد في البطاطا؟» قال باصرار.

«ما يضعه كل أبله في البطاطا المهروسة... ملح، بهار، زبدة، حليب كامل الدسم، قليل من هذا وذاك لجعلها غنية. لكني أظن أن السيدة الناقدة سوف تجد غلطاً ما في هذا، أليس كذلك؟» نفخت لطاهية صدرها وبدأت باخراج الدجاج من الفرن.

عبر الغرفة، كانت طاهية أخرى تخرج عدداً من صواني لحلوى من فرن المعجنات بينما أخرجت عاملة أخرى أكواب كوكتيل الفواكه من الثلاجة.

«أخشى أن تكون على حق.» قالت كيلي وشفتاها قريبتان من أذن دايفيد حتى يتمكن من سماعها بسبب هدير المروحة المعلقة في سقف الغرفة. «يجب أن تستعمل الحليب الخالي من الدسم... لا كامل الدسم، وطبعاً ليس نصف من هذا ونصف من ذلك، وبما أنها تقدم الطعام للأولاد مع المرق، عليها عدم استعمال الزبدة نهائياً.»

عبست عندما رأت وعاء من المرق البني اللون وعلى سطحه طبقة من الدهن. «والأفضل من ذلك، يجب تناسي البطاطا المهروسة والاكتفاء بالدجاج المقلي في الفرن مع الجلد. كل ما عليها القيام به هو تقطيع الدجاج، ثم رش القطع بقليل من زيت الزيتون، مزجها في وعاء مع بعض البابريكا أو الأوريغانو ثم شيها. الأولاد يحبونها كثيراً وإنها تقريباً خالية من الدسم.»

أمسكته كيلي من كُمّ قميصه وسحبته إلى حيث كانت إحدى العاملات تضع أطباق لفائف الخبز البيضاء على نافذة الخدمة

www.alkottob.com

وقالت له: «هذا شيء آخر قد أغيّره. لفائف القمح الكامل توفر للأولاد كمية أكبر من الألياف والڤيتامينات. وهل ترى الزبدة؟» وأشارت برأسها نحو طبقة صفراء على الأوراق الرقيقة تحت لفائف الخبز. «هذا دسم أكثر مما يحتاجه الأولاد. إذا كان لا بد من تقديم اللفائف، فيجب تقديمها مع المربى أو العسل. السكر مضرّ بأسنانهم، إلا أنه أفضل بكثير للصحة من الزبدة.»

«وإذا أردت صنعه على طريقتك الخاصة؟» سألها دايڤيد نظر إلى الأسفل ولمس بأحد أطراف أصابعه يدها التي ما زالت ممسكة بكم قميصه.

أفلتته ويدها متدلية وكأنها أحرقتها على فرن ساخن جداً. «بطريقة مثالية؟» قالت وذهنها ابتعد جداً، للحظة عن التفكير بالطعام. عادت إلى التركيز. بعد جهد وقالت: «بطريقة مثالية، قد أقدم لهم قطعة من خبز بوسطن الأسمر المصنوع في المنزل، أو قطعة من خبز الزوشيني أو خبز اليقطين، مع قليل من اللبنة عليه. ربما أحلّي اللبنة بقليل من العسل أو صلصة التفاح.»

ابتعدت عنه، متظاهرة بأنها مهتمة بالحلوى التي كانت المرأة الشقراء تقطعها إلى مربعات. «هذا مزيد من الدسم.» قالت من خلف المرأة. «لا أعلم ما هي الوصفة، لكنني أتصور أنها مليئة بالبيض، الحليب الكامل الدسم، طحين أبيض، وطبعاً تضمنت العجينة، السمن، وكذلك التغطية. هل أنا على حق؟» سألت المرأة.

نظرت المرأة إليها بخجل. «تقول بيرتي إنه لا يفترض بي التكلّم معك.» قالت متمتمةً، وهي تبحث بعينيها عن رئيسة الطهاة، التي كانت تحدق بهما من مكانها خلف طاولة الخدمة.

«أوه، بحق الله!» قال دايڤيد باستياء. «إذا سببت لك المتاعب، يا سيدة كوتريل، راجعيني بالأمر فوراً.»

«لن تكون أنت هنا يوم الاثنين المقبل عندما توزع مهمات الأسبوع علينا.» أجابت السيدة كوتريل باندفاع. «سوف تعهد لي بغسل الصحون حتى نهاية السنة!»

«أومأي برأسك، فحسب إذا كان يوجد سمن في هذه الوصفة.» اقترحت كيلي عليها.

ضغطت على شفتيها وهزّت رأسها بالايجاب، ثم رفعت رأسها عندما نادتها بيرتي هيغينز. «يا لورا، ما الذي يؤخرك؟ لقد وصل أولادنا.»

استدارت كيلي لترى طلاب الصفوف الأولى يدخلون قاعة الطعام بإشراف المعلمات. لمست ذراع دايڤيد وقالت: «لنذهب ونراقب من الخارج. هلا فعلتما؟» من دون أن تنتظر إذا الحق بها أم لا، خرجت إلى قاعة الطعام. كانت متأكدة من أنه قريب منها بسبب الشعور الغريب الذي أصابها بين كتفيها.

توقفت كيلي قرب البراد حيث وُضِعَ الحليب. كان كلما مرّ ولد يختار علبة ويضعها على صينية. «عندهم الخيار بين الكامل الدسم أو الخالي من الدسم مع الشوكولا.» قالت عندما انضم دايڤيد إليها. «لكن لا ينبغي على أي ولد فوق السنتين من عمره أن يشرب الحليب الكامل الدسم. لذلك قد أقصر الخيار على الحليب الخالي والحليب القليل الدسم. وقد أبحث عن بائع حليب بإمكانه تأمين الحليب الخالي من الدسم مع الشوكولا، بما أن هذا أصبح أكثر شعبية.»

قاما بجولة صغيرة على الغرفة. «السيدة هيغينز على حق... إنهم لا يأكلون خضارهم.» قالت متمتمة، مقتربة مجدداً من أذن دايڤيد حتى يتمكن من سماعها في هذه الضجة. «أنا لا ألومهم. إذا أخرجنا منها كل الڤيتامينات والألياف، تصبح الخضار

www.alkottob.com

مريعة. قد أطهوها على البخار... من دون زبدة... ثم أقدمها على شكل سلطة خضار أو مع الأرز ومع القليل من الخلّ.»

اخفضت بصرها عندما توقفت فتاة صغيرة بقربها. «إنها السيدة ذات الدجاجة!» أعلنت الفتاة للجميع. «لقد أخبرتكم! أترون شعرها؟»

«مرحباً!» قالت كيلي وهي تشعر بوجنتيها تشتعلان. كان دايڤيد بجانبها يضحك ضحكة خفيفة.

سألتها الفتاة: «هل أحضرت لنا المزيد من الكعك؟»

«ليس اليوم.» لكنه كان من الواضح أن الفتاة قد أحبتها. رمقت كيلي دايڤيد بنظرة انتصار.

ربت أحدٌ ما على يدها فنظرت إلى الأسفل لتجد ذلك الولد المنمش الوجه الذي قابلته خلال زيارتها الماضية. «هل أنت والدة سوكي؟» سألها وفي كلامه لثغة بسيطة.

«أجل، يا عزيزي. هل تعرف سوكي؟»

هزّ رأسه بحماس. وقال بصوت هامس: «الكل يعرف سوكي! إنها مرتّبة! لقد أعطتني قطعة من العلكة البارحة خلال الاستراحة. لقد احتفظت بها.»

لو كانت كيلي تحتفظ ببعض العلكة لكانت أعطته العلبة كلها كمكافأة على ما قاله. ابتسمت بفرح عندما ابتعد.

قال لها دايڤيد: «انتبهي من هذا الولد.» وأنفاسه تلامس أذنها. «بعد ثماني سنوات سوف تتعثرين به كل مرة تفتحين بها بابك. هو وبقية صبيان البلدة.»

«هل تظن ذلك؟» سألته باندفاع. إنه شيء جميل أن تصدق أن ابنتك مشت على الماء. لكن الأجمل أن تسمع ذلك من غريب. لكن دايڤيد لم يعد كذلك، لاحظت ذلك عندما التقت عيناهما. أبعد

نظرها فجأة عندما أحسّت بأنفاسها تتسارع. اللعنة عليه، ما السر في هذا الرجل حتى يجعلها تشعر بأنها... هشة؟

«أعلم السبب، يا سيدة الدجاجة.» قال دايڤيد مؤكداً لها. «إن جمال سوكي، مثل جمال أمها، صاعق.»

لم تكن تعرف كيف تتصرف تجاه إطراء دايڤيد. نظرت بعيداً، ثم قفزت عندما أمسكها من ذراعها.

«هل رأيت ما يكفي؟» سألها، وعندما هزت رأسها... كانت عيناها على ما يبدو مسمرتين على رسومات تجريدية على لحائط البعيد... وأضاف: «حسن. لأن الكلام عن الطعام أشعرني بالجوع. هل بإمكاني دعوتك إلى الغداء؟»

كلا. أجاب صوت صغير في داخلها على الفور. لن يكون ذلك حكيماً. «أنا... مشغولة.» أجابت في محاولة للعثور على عذر. كانت جاين قد وافقت على العمل مكان كيلي في بيور أند سمبل، لذلك كان لكيلي الوقت الكافي قبل العودة إلى المتجر. إلا أنها لم تكن تريد قضاء هذا الوقت مع دايڤيد ويتيكر.

«لكن يجب أن تأكلي.» قال مضيفاً. «وسوف نجعله غداء قصير إذا أردت.»

لم تكن تريد. كانت تشعر وكأن معدتها تفرقع. «سأقول لك ماذا سنفعل! لما لا نأكل هنا؟ عندها سأريك ماذا أعني بالطعام الدسم.»

غمز دايڤيد بعينيه وقال: «لم يكن هذا ما يجول في خاطري تماماً.»

«لكن إذا كان على الأولاد أكله، أظن أنه يجب عليك أيضاً.» قالت ممازحة، واضعةً إياه في موقع الدفاع.

هزّ حاجبيه وقال: «حسناً. دعيني أتكلم مع السيدة هيغينز.»

www.alkottob.com

أطلقت نفساً مرتجفاً وهي تمسك بمرفقيها وكأنها تض
نفسها. حسن، لقد تدبرت ذلك حسناً. كم سيكون صعباً جلوسه
في مواجهة دايفيد إلى واحدة من هذه الطاولات، وسماع ضجيج
الأولاد الذي لا يفسح المجال لأحد بأن يسمع الآخر؟ باستطاعتي
تحمل ذلك، حوالى العشرين دقيقة.

رفعت رأسها عندما سمعت جرساً يدق. تجمع الأولاد لإفراغ
وتستيف أطباقهم ثم اصطفوا قرب الباب في انتظار مجيء
معلميهم لأخذهم إلى الصفوف. بعد عدة دقائق، رأت المي
بيبادي يسير مع قافلة من التلاميذ إلى داخل القاعة. بدا رأس
سوكي في نهاية الصفّ. كانت منهمكة بالحديث إلى صديقتها
حتى أنها لم تلاحظ وجود أمها.

أخذت كيلي نفساً عميقاً وتوجهت نحو الاستاذ. كانت تدين
باعتذار. «يا سيد بيبادي؟»

بينما قدمت تحياتها واعتذاراتها عن حماسها الزائد ك
اليوم، كانت سوكي قد لاحظتها. لم تكن كيلي تعرف إذا كان
ابنتها تحب أن تبدو وكأنها ملكٌ لأحد، لذلك بادرتها بابتسا
عريضة. لكن لسعادتها. أسرعت سوكي إلى جانب أمها. «أم
ماذا تفعلين هنا؟»

«أخبرك لاحقاً، يا عزيزتي.» قالت لها وهي تلمس لها خدّ
ألقت سوكي نظرة شاملة على هندام أمها وقالت: «تبد
جميلة.»

كان سخيفاً أن يكون إطراء البنت مهماً لأمها، لكنه كان كذ
بالنسبة لكيلي. أرادت كيلي أن تضم ابنتها لكنها كانت تعلم
سيكون شعور سوكي إن فعلت ذلك في العلن. «شكراً، يا سكو
كيف تجري الأمور اليوم؟»

ابتسمت سوكي وقالت: «لقد ربحت في مسابقة التهجئة،
وكارول آن دعتني لحضور حفلة عيد ميلادها!»

«هذا رائع، يا حبيبتي!» راقبت ابنتها بفخر وهي تبتعد لتنضم
إلى طاولة خمس من زميلاتها الصغيرات.

«حسناً.» قال دايفيد، وهو يمسك بذراعها. «الغداء جاهز.»

«هل سنأكل هنا؟» سألت بينما أنخلها من باب المطبخ. يكفي،
أنها ستأكل تحت أنظار دايفيد المتهكمة المنكدة. إذا أرادت أن
تحاول هضم طعام السيدة هيغينز فيما تحدق، تلك المرأة،
إليها، فهي متأكدة من أنها سوف تصاب بالمغص.

«ليس تماماً.» كان يوجد صندوق من الكرتون على طاولة
الخدمة قرب المدخل الآخر للمطبخ. التقطه دايفيد وفتح لها
الباب لتمر. «لقد اقنعت بيرتي بأن توضّب لنا غداء في الخلاء. إن
هذه الضجة تسبب لي الصداع.»

فكرة تناول الغداء في الخلاء وحيدة مع دايفيد أشعرت كيلي
بقشعريرة فورية، فرمقته بنظرة رعب.

لكنها كانت متأخرة جداً. أمسكها من ذراعها وأخرجها من
الباب الخلفي إلى دفء يوم ربيعي جميل. «دعيني أريك أين كنا
نلعب الهوكي.» قال بهدوء. كانت يده تنزلق على طول ذراعها
حتى تشابكت أصابعهما، وقادها عبر الموقف الخلفي وداخل
طريق تؤدي إلى الأحراج الخلفية.

www.liilwity.com
عيون الكتب
www.alkottob.com

الفصل الثامن

نسجت أشعة الشمس خيوطها بين الأغصان المليئة بالبراعم، وغنى عصفورٌ في مكان ما. كان الممر موحلاً تحت قدميها ومليئاً بآثار أقدام الأولاد. تعثرت كيلي عندما علق أحد كعبيها في التراب. «أنا آسف.» قال دايڤيد وهو يخفف من سرعته، ونقل امساكه بها من يدها إلى ذراعها.

كان باستطاعتها سماع غرابين وهما من البعيد يطلقان صرخة التدخل. بالقرب منها كانت تسمع صوت تنفس دايڤيد الخفيف هدير ضربات قلبها. «ما نزال بعيدين؟» سألت، بدا السكون وكأنه يضغط عليها بيدين قويتين.

«ليس بعيداً البتة.» أجابها. «وهو الأمر الوحيد الذي لم يكن في مصلحتنا. كنا نتسلل إليه خلال وقت الراحة. لكن إذا لاحظت إحدى المعلمات أننا ذهبنا، كانت ترسل المدير في أثرنا. لقد جررت مراراً على هذا الممر، ويد ممسكة بياقة سترتي أكثر مما أستطيع أن أتذكر.» ابتسم ونظر حوله. «لا تبدو الأشجار شاهقة بقدر ما أتذكرها. هذه كانت غابة بدائية.»

كانت ما تزال كذلك بالنسبة لكيلي. كانت أرواح الأشجار حولها كالحالمين المتململين، يدورون ويتمددون في دفء الشمس العائد. سوف يستيقظون في بضعة أيام. هنا، سينفرج الربيع اخضراراً، وتصرخ الأغصان بالبهجة.

«أنظري.» التقط دايڤيد غصن شجرة وسحبه نحوها.

«براعم صفصاف!» ضحكت كيلي بانشراح ولمست برعماً

فضياً. «لقد كان شتاء طويلاً.» أحست وكأنها واحدة من الأشجار، كنائم يستعد للتخلص من كوابيس الشتاء المثلج ويستيقظ ليواجه الدفء الناعم.

«أجل.» قال دايڤيد وهو يشد قبضته على ذراعها.

«أوه!» صرخت كيلي بعد أن دارا حول منعطف. ورأت جدولاً صغيراً يبلغ عرضه حوالى عدة ياردات وعمقه حوالى القدم يجري عبر طريقهما ليبدو وكأنه بركة ثم يضيق ليختفي تحت الأرض. «لا عجب أنك كنت تأتي إلى هنا!»

«لقد سميناه الجدول العالق. همم، يبدو أن الممر ينقص حجرة أو إثنتان.» قال دايڤيد وهو يراقب الحجارة التي كانت تؤلف ممراً لعبور البركة. «أو ربما أعادوا ترتيبها لابعاد الفتيات.»

«هاه!» قالت كيلي. «الأمر يتطلب أكثر من ذلك لابعادنا هذه الأيام.» وقفت على رؤوس أصابعها حتى لا تلمس كعبيها الأحجار المغطاة بالعشب اللزج، فتحت ذراعيها وبدأت بالعبور. «في الواقع، كان الأمر كذلك دائماً.»

«ممم.» قال دايڤيد مؤيداً من خلفها. «إنه لمن المضحك كيف أن هذا الأمر لم يعد يزعجني. لقد كان مصدر إزعاج رهيب لي عندما كنت في الثامنة.»

ابتسمت له في مقابل ابتسامته، ثم اهتزت صخرة تحت قدميها. أطلقت كيلي صيحة وهي تتعثر.

«تمهلي!» أمسكها دايڤيد من كتفيها، وأصابعه تضغط على لمكان الناعم على رقبتها بينما حاول تثبيت وقفتها.

وقفت كيلي من دون حراك. «شكراً.» كان القعر الرملي للبركة تحت المياه اللامعة، يعكس نور الشمس. وقفت محاطة بذهب

www.alkottob.com

سائل وصوت يتردد صداه في أذنيها، وكأن أصابع دايفيد قد نسجت سلكاً ذهبياً مشدوداً في داخلها.

«كان يجب أن أحملك.» قال دايفيد بصوت أجش بينما كانت أطراف أصابعه تتحرك على جلدها.

مجرد التفكير بأن تُحمل بين ذراعيه جعلها تشعر وكأن قلبها يقفز إلى حلقها. هزت رأسها ثم ارتجفت عندما لامس نقنها بعقد أصابعه. أمسكت بأصابعه، رفعتها عن كتفها، ومن ثم أفلتتها بينما تابعت سيرها على الحجارة الباقية.

«لا حاجة لذلك.» قالت وهي تخطو إلى الضفة.

«هذا ما أراه.» وثب إلى قربها برشاقة. «عشب أم حجراء» أضاف ضاحكاً وفي سؤاله أشياء أخرى مبطنة.

بدا المنحدر العشبي طرياً جداً، وخالياً من التعرجات. «حجر.» قالت بسرعة. لكنها لاحظت أن ذلك كان غلطة. عندما وصلت إلى صخرة ملساء بحجم السيارة، كانت مرتفعة أكثر مما توقعت، خاصة وأنها ترتدي تنورة ضيقة وتنتعل حذاء عالي الكعب.

«سوف تكون جافة ودافئة.» قال دايفيد موافقاً. أطبق يديه على خصرها وأدارها لتصبح في مواجهته.

«لقد اعادت النظر ثانية...» قالت وهي تشهق. لقد فات الأوان... اشتدت قبضته، وأصابعه تنطبع على جسمها فيما هو يرفعها إلى أعلى الصخرة. اكتشفت أنها كانت تمسك بالجزء الأعلى من ذراعيه المتوازنين وانها كانت تمسك بهما بقوة.

كانت ذراعاه بصلابة الصخر وكانتا ومفتولتي العضل بخلاف ذراعيها وكأنهما، هو وهي، من كوكبين مختلفين ومخلوقان من طينة مختلفة.

بدت عيناه داكنتين أكثر واتسعت حدقتاهما. كانت تنورتها

قد ارتفعت وأظهرت ركبتيها. وفيما كيلي تشدهما إلى بعضهما البعض صدر عن جوربيها المصنوعين من النايلون صوتاً خفيفاً، بدا قوياً جداً في السكون، ببطء أفلت أحدهما الآخر.

«لو أخبرتني منذ خمسة وعشرين عاماً أنه سياتي يوم وأحمل فيه فتاة على الفورت روك...!» قال دايفيد وهو يضحك بين أسنانه.

كان قد ترك طعامها على الضفة البعيدة ليساعدها على اجتياز الجدول. بينما أخذ طريق العودة إلى العلبة، أطلقت كيلي تنهيدة ارتياح. لم يقم دايفيد بأي شيء ليجعلها تشعر متلمسا تشعر الآن. وبما لم يكن هو السبب أبداً. إنه فقط أول يوم في فصل الربيع ولم يكن أي رجل قد لمسها منذ زمن طويل. اتكأت على الصخرة الدافئة وطوت ساقيها قربها وعدلت تنورتها.

«إنني أتضور جوعاً.» قال دايفيد وهو يضع الصندوق على الحافة، ثم القى بنفسه بسهولة قربها. «هل كل هذا التفكير بالطعام...» أخرج صحنين مغلفين وقدم لها واحداً، ثم الأدوات التي يحتاجان إليها.

كان النظر إلى الطعام أكثر أماناً من النظر إليه، مع أنها لم تكن جائعة. منظر ثلاث قطع من الدجاج المدهن، وكمية من الحبوب وبعض البطاطا المهروسة السريعة التحضير، وكل ذلك لم يفتح شهيتها. اختارت اللفائف، التي كانت أهون الشرور. وأكلتها من دون زبدة. وجدتها لذيذة المذاق. كان عليها الاعتراف بذلك. كانت قشرة اللفائف قد دهنت بمزيد من الزبدة، وأصبح ملمسها ناعماً. من المؤكد أن بيرتي هيغينز قادرة على الطهي حتى لو كانت تسيء إلى نفسها باختيار نوع الوجبات.

www.rewity.com
عبور الأقلام
www.alkottob.com

«لم تذوقي الدجاج.» قال دايڤيد وهو يقدم لها قطعة من الفخذ.

«كلا.» فوجئت كيلي بأنه قد أنهى البطاطا المهروسة خاصته. كانت لديه شهية الولد الصغير الذي تسلق في الماضي هذه الصخرة. كانت عيناه تراقبان طيران أبي زريق فوق رأسيهما ثم أعاد نظره إليها بالنشوة ذاتها. وضع صحنه وأخذ قطعة الفخذ من صحنها. حسن، ليأخذه، فكرت في سرّها.

لكن كانت عند دايڤيد خطة أخرى. رفع الفخذ نحو شفتيها وقال آمراً: «كلي. ليس من العدل الحكم على طعام الآخرين من دون تذوقه.»

«يا دايڤيد، يمكنني الحكم عليه من خلال النظر إليه فقط.»

«هذا لا يكفي، يا سيدة بوشارد.» لامس قطعة الفخذ بشفتها السفلى وقال: «لن آخذ اقتراحاتك على محمل الجد، إذا لم تتذوقي هذا.»

لم تستطع التراجع وظهرها متكىء على الصخرة. وإذا أدارت وجهها فسوف يلامس خدها قطعة الدجاج. قضمت قطعة صغيرة وهي تطلق تنهيدة نفاد صبر بينما أمسك هو بالقطعة. «هل أنت راضٍ؟»

قرب فخذ الدجاجة من فمها ثانية. «كليه كله.»

حدقت إليه، ولكن ابتسامته اتسعت، رفعت كتفيها ومدت يدها لأخذ قطعة اللحم منه. إلا أنه لم يتركها. وجدت كيلي يدها تطبق على أصابعه بدلاً من قطعة اللحم. رفعا القطعة معاً وقضمت منها قطعة، ثم أفلتته بسرعة. بسطت راحتها وفركت الصخرة محاولة محو أثر دفء لمسته.

«هذا أفضل.» قال دايڤيد موافقاً، وقد أصبح صوته اجش. «طعمها لذيذ، أليس كذلك؟»

هزت كتفيها وتنبهت إلى صدرها فجأة عندما قامت بذلك. «إن الدهن لذيذ الطعم. هذا لا يعني أنه حسن بالنسبة لك.» أخذت قضمة أخرى وهو ما يزال ممسكاً بالفخذ. لاحظت أنها كانت تشهق بعمق، محاولة التمييز بين عطره ورائحة الدجاج الساخن.

«إنه كثير الدهن بعض الشيء.» اعترف دايڤيد فيما كانت تبتلع لقمتها. مرر ابهامه بدقة وبطء على شفتيها المرطبتين. «أخشى أنهم نسوا وضع المحارم الورقية. باركهم الله.» رسم شكل شفتيها بطرف أصبعه.

لم يكن أصبعه ثابتاً. إذا لم تكن هي فقط. كان هو أيضاً يشعر الشيء نفسه. «لا تفعل!» قالت من دون تنفس، وهي تدير رأسها جانباً.

«لا؟» أبعد يده عنها. «لما لا؟»

«لأن...» لم تستطع التفكير بعذر مناسب، ليس وهو ممدداً بقربها. كانت أنفاسها تتلاحق بشكل مرضي. كانت تتسارع لحظة وفي اللحظة التالية كانت تنسى أن تتنفس.

ارتعدت عندما لمس بأطراف أصابعه يدها الموضوعة على الصخرة. «كم مضى من الوقت على طلاقك؟» سألها.

عضت على شفتها وقالت: «ستة أشهر ولا أريد التكلم عن هذا الموضوع.»

«حسناً.» وافق من دون استياء. رسم شكل يدها بطرف اصبعه بخفة النملة المستكشفة. «عمّ تريدين التحدث؟»

لم تكن تريد التحدث. أرادت النزول عن تلك الصخرة والفرار. «كنت تودين الحديث عن الطعام في أول مرة التقيتك فيها.»

www.alkottob.com

ذكرها وفي صوته بعض من السخرية. «لماذا تركزين هكذا على هذا الموضوع، يا كيلي؟ هل كانت أمك صارمة وترعرعت وفقاً لنظام غذائي صارم مؤلف من الشوفان الممزوج والسنابل؟»

«ليس تماماً.» وجدت نفسها تخبره عن هيلين، والسنين التي قضياها في الطهي في أكشاك السمك، ثم وبطريقة ما وبذهول، أخبرته عن سنواتها عندما كانت مراهقة خجولة وسمينة، موضوع لم تتحدث عنه قط لأي كان.

«فهمت.» مرر ظهر عقدة أصبعه نزولاً على كمها وقال: «إنه من الصعب أن لا يكون الانسان مرغوباً في ذلك العمر. لقد مررت بهذه التجربة خلال سنتي الاخيرتين في الثانوية.»

هل كان يلمح لفضيحة والده واحتياله على لجنة التخطيط؟ استدارت لتتفرس في وجهه لكنه لم يستطرد. بدلاً من ذلك، رفع يده نحو وجهها وأحست بشعرها يهتز. كان قد بدأ بالانسدال. أبعد الخصل المجعدة مرة أخرى عن وجهها وانتابها ذلك الشعور مجدداً. أحست كأنه ضربها بقطعة دافئة من الحرير. وكأن جلدها قد تحول إلى حرير.

«تبدين على حقيقتك أكثر.» قال ممازحاً. «ما كنت أتعرف عليك عندما دخلت هذا الصباح.»

لم يظن أن بامكانها أن تكون عملية؟ سيدة أعمال؟ هل هذا ما عناه؟ فقط لأنها تبيع أعشاباً بحرية والجنسينغ بدلاً من شرائط الآلات الكاتبة والعقارات، لا يجعلها هذا أقل قدرة. كانت تعبة من اعتبارها متعصبة ذات عينين واسعتين، وعقل مشوش فقط لأنها تفضل الأرز الأسمر على الأبيض. «أصبح الوقت متأخراً.» قالت، مع أنها لم تكن عندها أي فكرة عن الساعة. «يجب أن أكون

في المتجر.» مرجحت ساقيها نزولاً عن حافة الصخرة لتتدليا، فتطايرت فردة من حذائها.

«اللعنة!»

«سوف أحضرها.»

نزل دايفيد عن الصخرة وبدلاً من البحث عن حذائها أشغل نفسه بجمع بقايا الطعام.

راودتها فكرة النزول والبحث عنها بنفسها، لكن إن فعلت، فسوف تفسد جوربيها. لن يكون مسلياً العودة بحذاء مليء بالتراب، لذلك بقيت جالسة، ترفس بكعبها وتنظر إلى الأسفل، إلى شعر دايفيد السميك واللماع. لاحظت أن أهدابه طويلة جداً بالنسبة لرجل. كان بامكانها تخيل الشعور الناعم إن مررت طرف اصبعها على تلك الأهداب. احمرت وجنتاها عندما ادركت إلى أين أوصلها تداعي افكارها.

وضع آخر صحن في العلبة، ثم استدار ووجد حذاءها.

«شكراً.» مدت يدها لأخذه لكنه تجاهل الحركة. بدلاً من ذلك، أمسك بكاحلها. كانت أصابعه التي التفت حول عظامها وأحاطت بها كالقيد، دافئة جداً وتضغط برقة. سرى الاحساس عبر ساقها بسرعة مذنّب يقطع السماء، تاركاً وراءه شهاباً أبيض من النار.

«لديك ساقان كساقي المهر.» قال متمتماً. رفع لها قدمها ومرر طرف اصبعه على أسفلها. نظر إلى أعلى بعينين متفرستين، واعترتها رجفة.

«هل بامكاني الحصول على حذائي، من فضلك؟» لا شك أن وجهها اكتسى باللون الأحمر القاني. كانت تشعر وكأنها تذوب، وجلدها يتداخل بجلده.

«بكل تأكيد.» ألبسها الحذاء بعناية.

www.alkottob.com

«والآن لو تتراجع قليلاً...» كانت تود لو تقفز عن تلك الصخرة ولا تتوقف عن التقدم حتى تعود إلى الحضارة.

«هذه فكرة أفضل.» دس دايفيد ذراعاً تحت ركبتيها، والثانية حول ظهرها. ما أن أطلقت صرخة اعتراض حتى حملها.

صرخت وهي ترفس برجليها: «أنزلني، يا دايفيد!»

«طبعاً، خلال لحظة.» تحرك هادفاً الضفة.

«لا... أعني الآن!» لكنه كان قد وطأ أولى حجرة، ولم يعد يوجد تحت قدميها المرقرقتين غير الماء.

توقف دايفيد: قال متحدياً إياها وقد بدأ بالابتسام: «الآن؟»

اللعنة على هذا الرجل! رفعت رأسها لتنظر إليه محاولة احتواء غضبها. لكن طرقات قلبه الناعمة قرب صدرها تداخلت مع شعورها بالغضب.

«إذاً؟» كان صوته أعلى بقليل من الهمس.

«أيها النذل!» تمتمت. كانت قد لفت ذراعاً حول عنقه، لكن أصابع تلك اليد لا بد وأنها كانت تنتمي إلى شخص آخر. برغم غضبها، تاقت أصابعها إلى لمس شعره، وطرف أذنه. أغلقت كفها بقوة لدرجة أن أظافرها انغرزت في راحة يدها.

«أنا أقوم هنا بدور الفارس الشهم وأنت تنعتينني بالنذل؟ ربما يجب علي أن أتركك.» بدأ بإنزالها، ثم توقف لأنها شدت ذراعيها عليه لا ارادياً بقوة أكثر. «لا.» قال بتهكم.

«لا.» قالت موافقة وبصوت بارد. كانا الآن ملتصقين. كان باستطاعتها الإحساس بضربات قلبه تحت قلبها. كانت تشعر بأنه يتكاسل مثل محرك سيارة كبير ينطفىء. حاولت التخفيف من قبضتها على كتفيه لكنها كانت متوترة لدرجة أنها لم تستطع الاسترخاء.

«حسن.» قال بصوت رقيق لدرجة أنها أحست بالكلمة تهتز داخل صدره بدلاً من سماعها.

لم يكن يقوم بأي مجهود لحملها. بدت وكأنها تطوف على مياه ذهبية، ورعشات قلبيهما تتعاكس مع تموجات الماء تحتهما. كان من السهل الاستسلام لقوته، لكنها، آخر مرة أسلمت قلبها...

أزهر الذعر في داخلها مثل وردة داكنة اللون. غرزت أسنانها في شفتها وعاهدت نفسها على أن لا تقاوم. سوف يحررها بسرعة إن انتظرت حتى يصلا إلى اليابسة. لكن ذلك كان صعباً! صعباً جداً عندما يكون جزء منها يتوق لأن تدير رأسها وتخبىء وجهها في جانب عنقه، أن تغمض عينيها وتتنشق عطره الدافىء.

تقدما نحو الضفة. تنفست بتقطع مرتجف عندما توقف دايفيد لانزالها. «شكراً.» تمتمت وكأنها تشكر غريباً فتح لها الباب. بدأت بالسير على الممر.

«كيلي.» نادها. «كيلي!» ردد وهو يلحق بها. انزلقت يده من ذراعها إلى معصمها، ثم تشابكت أصابعه مع أصابعها.

كانت عظام أصابعه أكبر استدارة بقليل من عظامها. عندما تفرقت أصابعه للضغط على ما بين أصابعها، وكان الشعور حميماً جداً، بينما كان قريباً منها استدارت لتنظر إليه وقالت: «عليك أن تفهم، يا دايفيد. لست أبحث عن أحد ما ليحملني عبر جداول المياه. لست أبحث عن أحدٍ ما ليمسك بيدي.» بادرته بابتسامة رجاء وتابعت: «لست أبحث عن ذلك، ألا تلاحظ ذلك؟»

«حسناً...» قال بهدوء وهو يفلت يدها. «بامكاني فهم ذلك.» أخذ نفساً عميقاً وقال: «لكن هل لاحظت يوماً أنه عندما لا تكونين في سياق البحث، تجدين نفسك وسط أجمل الأشياء؟ أنت

www.alkottob.com

لا تبحثين عن قوس قزح في الأيام الممطرة... إنه يتسلل إليك. تستديرين و... فجأة!... ها هو.»

«ربما.» قالت غير مقتنعة. «لكن...» هزت رأسها. لا. حاولت مقاومة شعور داخلي يدفعها إلى الركض، فبدأت بالسير. «سوف أدون مقترحاتي للسيدة هيغينز.» قالت وهي تتراجع عما يمثله من عدم اطمئنان، الشيء الوحيد المؤكد في حياتها. «لكنني أخشى أن لا ينفع الأمر شيئاً.»

أطلق تنهيدة تنم عن نفاد صبر... لم يكن هذا ما أراد التحدث عنه. لكن عندما تابعت السير وقد حولت وجهها عنه، سألها: «لما لا؟»

«من الذي سيجعلها تعمل بنصائحي، يا دايفيد؟ أنت؟ السيدة كوتريل على حق. لا يمكنك انقاذها من القيام بجلي الصحون إذا أرادت السيدة هيغينز معاقبتها. وطبعاً، لا يمكنك اجبار السيدة هيغينز على استعمال الحليب الخالي من الدسم في البطاطا المهروسة إذا أرادت استعمال الحليب الكامل الدسم، أو التأكد من أنها تقوم بالشوي بدلاً من القلي في الزيت. انها ملكة ذلك المطبخ وسوف تفعل ما يحلو لها، ما أن تبعد نظرك عنها.»

أقر دايفيد: «أظن أنك على حق.»

«لقد عدنا إلى حيث بدأنا.» قالت مصرة وجفلت عندما لامس كتفه كتفها. «هذه الوجبات بحاجة إلى تغيير جذري، وسوف نحتاج إلى مساعدة من الخارج للقيام بذلك. يجب أن توظفوا خبيرة تغذية. ماذا لو استخدمتم واحدة كمستشارة، فقط حتى نهاية السنة الدراسية؟ بامكانها اعطاء السيدة هيغينز مجموعة كاملة من الوصفات الجديدة لاتباعها مما يجعل أمر إخفاق الخطة، صعباً للغاية.»

وصلا إلى المنعطف الأخير وأصبح بامكانهما رؤية المدرسة. أمسك دايفيد بمعصمها وأدارها لتصبح في مواجهته. «لا يمكننا القيام بذلك.» قال وعيناه تتفرسان في وجهها. «كم مرة علي اخبارك ذلك؟ ليس لدينا المال. وأظن أن هذا سوف يبعد معظم المقترعين في وقت نحن بأمس الحاجة إلى موافقتهم. ليس هذا وقت صرف أموال ضرائبهم على اقتراحات هامشية.»

«هذا ليس اقتراحاً هامشياً وليس هدراً للمال!» قالت بتوتر. «إن السيدة هيغينز تطهي للأولاد طعاماً مسيئاً لصحتهم. هذا واقع صاف وبسيط.» حاولت الافلات لكنه أمسك بها وقد قست تعابير وجهه.

«لن يوافقك المقترعون الرأي، يا كيلي. لقد ترعرع معظمهم على طعام السيدة هيغينز ويبدون بصحة حسنة. أنا نفسي لا أوافقك الرأي، مع أنك محقة في نقطة أو اثنتين. لكن مذاق الطعام لذيذ. تلك الدجاجة كانت رائعة.» أخذ نفساً بطيئاً كما لو أنه أراد التراجع عن التوتر المتصاعد بينهما. «اسمعي.» قال وهو يضرب بابهامه على معصمها. «ألست تفسدين هذا الأمر بمبالغتك؟»

هل كانت كذلك؟ لكن مع لمساته الناعمة أصبح من الصعب عليها التفكير بمنطقية. كانت تحاول الابتعاد عنه قدر الامكان... كان هذا كل ما يهمها. أرادت وضع مسافة بينهما كي تلتقط أنفاسها، لأن تكون كيلي. كانت قد بدأت بتحقيق ذاتها، بايجاد طريقها في هذا العالم. لم تكن بحاجة لهذا الرجل مع يديه الناعمتين وعينيه الثاقبتين أن يبعدها عن مسارها. «لا، لست كذلك!» قالت صارخة ومحررة يدها من قبضته. «لكن بما أنك لن

www.alkottob.com

تأخذ هذا على محمل من الجد، أظن أنه يجب علي البحث عن شخص آخر.»

ضاقت عيناه. «ما معنى ذلك؟»

«معنى ذلك أن أليوت فريلينغ قد اتصل لاجراء مقابلة معي وقد رفضت طلبه لأنني ظننت أنك تريد مساعدتي حقاً. لكن بما أنك لن تفعل، أظن أنه حان الوقت للتحدث إليه. الآن وقد رأيت مطبخ السيدة هيغنز، بامكاني اعطاءه بعض الوقائع. إذا أراد أن يكتب مقالاً أو اثنين، أظن أن بامكاننا قلب هذه المدينة رأساً على عقب.»

«لم أتدبر لك هذه الجولة كي تستغلي مشاهداتك ضدنا.» قال محدداً.

«كلا، لقد رتبت هذه الجولة لتطيب خاطري، أليس كذلك؟ لقد أبعدني ذلك عن فريلينغ، وكنت تأمل بأن أشعر أن ما أفعله مفيد، حتى لو أن اقتراحاتي لن تغير أي شيء.»

سألها بمرارة: «هل هذا رأيك؟»

هل صدقت أنه يهزأ منها لهذه الدرجة؟ كان حقاً ذكياً بما فيه الكفاية لتحريكها مثل دمية، لكن هل يفعل ذلك؟ فكرت وعضت على شفتها.

«حسناً.» قال دايفيد عندما لم تجب. «إذاً، كل منا يعرف موقعه، أليس كذلك؟ إذهبي وتكلمي مع فريلينغ ولتنزل عليك اللعنة. لن ينفعك ذلك بشيء.» قال ومشى نحو المدرسة.

حملقت به من الخلف، والذعر يتدفق منها كالهواء المتدفق من بالون مثقوب. «حسن.» قالت بهمس.

أخذت نفساً عميقاً مرتجفاً وشعرت به يدور حول الفراغ داخلها. «حسناً، سوف أقوم بذلك.» إلا أن القرار أشعرها بعدة أشياء إلا الراحة.

الفصل التاسع

شمخت فيكتوريا برأسها ولامس قرطاها المصنوعان من ريش الطاووس كتفيها الضيقتين وتفرّست في وجه كيلي. «ماذا عن نظريتك التي أخبرتني عنها يوماً؟ وهي أنك إذا كنت حزينة، يجب عندها أن ترسمي ابتسامة كبيرة على وجهك.» تجهمت وهي تحاول تذكر المزيد. «لأنك عندما تبتسمين، يشعر دماغك بأن عضلات الابتسام تعمل ويظنّ أنك سعيدة. ولذلك... ها أنت... تبدئين بالشعور بالسعادة.»

حاولت كيلي إظهار ابتسامة ضعيفة، لكن عقلها لم ينخدع. تنهدت وجالت بنظرها حول متجرها الخالي. كان يوم جمعة وكانت فيكتوريا لتوها قد انتزعت منها اخبار ما حدث خلال نزهة البارحة.

قامت فيكتوريا بحركة دائرية على كعبها الأحمر. «لكنني ما زلت لا أفهم لما أنت مكتئبة. فقط لأن دايفيد ويتيكر حملك عبر جدول المياه. بامكانه حملي إلى مكبّ نفايات المدينة... ولن أعترض.»

«لست أدري.» تنهدت وهي تتكىء أكثر إلى طاولة البيع. «إنه فقط...» إنها أبعدته؟ لن يعود بعد رفضها له البارحة. هزّت رأسها. لماذا يحزنها ذلك؟ ليست بحاجة إليه. لا تريده. حتى أنها ليست واثقة من أنه يعجبها.

لا، هذا ليس صحيحاً، اعترض صوت داخلي. لقد أعجبها كثيراً.

www.alkottob.com

لكن هل تتكهن به؟ سألها محامي الشيطان في داخلها. ربما كانت هذه هي المشكلة. لقد أعجبت بلاري مرة، لكن الوثوق به كان غلطة مريعة. بطريقة ما، إن دايفيد بدا وكأنه كارثة كبرى تنتظر فرصة للأنقضاض عليها. لم تكن تريد أن تهتم بشخص غير جدير بالثقة مرة أخرى.

«أظنّ أنك لست جاهزة بعد.» قررت فكتوريا.

إنها طريقة حسنة مثل غيرها لتلخيص الموضوع. قرّرت كيلي. وكانت قد سئمت من التحدث عن هذا الموضوع. «لن أكون جاهزة قبل عدّة سنوات.» قالت موافقة.

«لكن هذا لا يعني أنه لا يمكنك التسلية.» قالت فيكتوريا معترضة. «أعني، من قال إنه عليك أن تكوني جدّية؟ العبي معه كمادة للتسلية إذا أراد اللعب. قد يمكنك استغلاله بما أنه يحاول استغلالك.»

سألتها كيلي ثم ندمت: «ماذا تعنين؟»

«حسناً...» بدت فيكتوريا غير مرتاحة كما لو أنها تمنت لو لم تبدأ بهذا النوع من التفكير. «ألا... يتراءى لك أن جعل الأمر لعبة بالنسبة لك، هو طريقة لأن ينزعك من فكره؟ إذا بدأت بالخروج مع دايفيد ويتيكر، هل ستواصلان الحديث عن الطعام؟ بهذه الطريقة، يصبح بامكانه متابعة خططه ليربح الموافقة للمدرسة الجديدة... ويتمتع بك كعلاوة أو ربح.»

هل يمكن أن يكون هذا هو هدف دايفيد؟ أحست كيلي بالم في معدتها بسبب تلك الفكرة. لكن الحل البديل الذي قدمته فيكتوريا كان أصعب. بامكان شخص مثير مثل دايفيد أن يجد شخصاً أكثر روعة من امرأة ذات وجه مُنمش وشعر مجعد. أحداً حساساً، طالما لا يحب الأنواع غير التقليدية. «لست أدري.» تمتمت. لم

تكن تعلم شيئاً، ربما لهذا السبب كانت حزينة جداً. الارتباك شيء غير مريح.

تلفت إلى المتجر، بخطوات واسعة، رجل طويل، نحيل القامة. دس أليوت فريلينغ يده في جيب سترته، فيما كان يحدق إلى ما حوله.

ذكر كيلي بمالك الحزين... منقار حاد وعينين قاسيتين، والحزن المتعمد بادٍ عليه. رفت عيناه الزرقاوان المركزتان على فيكتوريا ثم انتقلتا لتتفرسا في وجه كيلي: «يا سيدة بوشارد.» أخرج دفتراً صغيراً من جيبه وفتحه بحركة واحدة. «كان لطفاً منك أن تتصلي بي.»

كانت قد اتصلت به البارحة، حالما وصلت إلى المتجر. الآن، وقد فات أوان التراجع، تساءلت عن الحكمة في هذا اللقاء.

«أراك لاحقاً.» قالت فيكتوريا وهي مغادرة. رفعت حاجبيها بطريقة مغزية عندما مرّت قرب فريلينغ، نفض رأسه إلى الوراء مندهشاً.

كان جذاباً بعض الشيء، فكرت كيلي. لا بدّ أنه في أوائل الخمسين من عمره مع أنه يبدو أكبر سناً. «لم تُجر معي مقابلة صحافية من قبل.» قالت بينما أحضرت له كرسياً صغيراً من وراء طاولة البيع، ثم تراجعت وجلست على كرسيها. «لا أعلم عما سأتحدث.»

«أجيبي فقط على الأسئلة، سوف يفي ذلك بالغرض.» بحث فريلينغ في الجيب الثاني لسترته الرثة المصنوعة من قماش التويد. لاحظت كيلي أن أحد ازرار الكم كان مفقوداً عندما سحب جريدة مطوية. «سوف يكون موضوع هذه المقابلة كملحق للمقال الذي نشر أمس حول اعتقالك. وقد استعملتك كموضوع

www.alkottob.com

لافتتاحيتي الرئيسية كذلك. لكني أظن أنه سبق ورأيت ذلك؟»

عندما تناولت الجريدة من يده، كان على كيلي الاقرار بأنها لم تر المقال.

«إننا نصدر أيام الثلاثاء، والخميس والسبت. لدينا مراسلون بالاضافة إلي... وأنا المحرّر والناشر أيضاً. سوف تودين الاشتراك في جريدتنا.»

«سوف أفعل ذلك.» وافقت كيلي بتسرع. «أنا أعلن في جريدتكم طبعاً، لكن...» ضربت أطراف أصابعها على طاولة البيع وقالت: «هل تعلم، ما أتساءل عنه هو...» نظرت إلى الرجل وقالت: «أنا أتساءل لماذا تقوم بهذا، يا سيد فريلينغ؟»

«هذه أخبار.» قال بحدة. «لا يحدث كل يوم أن يُزَجّ بأحد الأهالي في السجن في هذه المدينة بسبب محاولته تغيير نظام مدرسة.»

«أوه. تساءلت... تساءلت ربما كنت...»

«أتعاطف مع قضيتك؟» ابتسم فريلينغ بطريقة قاسية وقال: «ساكون صريحاً معك، يا سيدة بوشارد. إنّ قضيتك مثيرة، لكنني لا أهتم أبداً بالأولاد أو بما يأكلون. بالنسبة لي، الأولاد هم أشخاص قصيرو القامة، كثيروا الكلام وغير متعلمين.» أخرج قلماً من جيب قميصه وضغط على الزرّ كي يخرج رأسه. «لسوء الحظ، معظمهم يكبرون ليصبحوا أناساً طويلي القامة، كثيري الكلام وغير متعلمين، لكن هذه قصة أخرى.» قلب صفحة جديدة في دفتر الملاحظات وقال: «برأيي، يجب أن يولد الناس في عمر الأربعين. في هذا العمر يصبحون مهمين، هذا إذا أصبحوا كذلك يوماً.»

كانت تعتقد أن فيكتوريا الشخص الساخر الوحيد. حاولت منع

نفسها من الابتسام بطريقة غريبة. هل سيكون فريلينغ حليفها؟

«فهمت.» قالت له. «إذاً.... ماذا تودّ أن تسأل؟»

هزّ فريلينغ رأسه برضى بعد نصف ساعة وقال: «يجب أن يفي هذا بالغرض، يا سيدة بوشارد. أوه، سؤال أخير...» نظر إليها بتجهم وقال: «أريد أن أعلم فقط ما هي خطوتك التالية؟»

تلعثمت كيلي. في كل مرة تتحرك فيها تبدو أنها تضع نفسها في مأزق أكبر. أحست في الأسابيع القليلة الماضية وكأنها تتلمّس طريقها مغمضة العينين عبر مستنقع. تنهدت برقة في سرّها. حتى الآن كانت قد مشت كثيراً على أرض غير ثابتة ويبدو أن عليها متابعة الطريق نفسها بمحاولة لإيجاد طريق العودة. «لم أسلّم العريضة بعد.» ذكرت فريلينغ. «لذلك أظن أن الخطوة التالية هي تسليمها إلى لجنة المدرسة. إنهم ما يزالون يدرسون ميزانية السنة المقبلة، أنا أفهم ذلك. وبما أنه سمح للجمهور بالكلام، أظن أن هذا ما سأقوم به. سوف أقول للجنة ولكل واحد يريد الاستماع إلى ما رأيته في مطبخ السيدة هيغينز... ولما الطعام غير صحيّ. وسوف أوزع المنشورات التي توضح الحقائق على الحضور.» وأشارت برأسها إلى النسخ التي سلمتها لفريلينغ.

هزّ رأسه وقال: «بعد أن يُنشر مقالي، قد تجدين أناساً أكثر يودّون التوقيع على عريضتك قبل تقديمها.»

«إذاً، سأذهب باكراً.» وقفت كيلي بينما استعد الصحافي للذهاب. «لقد كنت متفهماً جداً بشأن هذه القضية يا سيد فريلينغ.»

عبس قليلاً وقال: «كل هذا من دواعي العمل.» دسّ دفتره في جيبه، وبدا فجأة أقل ثقة بنفسه من دون الدفتر. «حسناً...»

www.alkottob.com

«شكراً لك.» قالت كيلي، صافحته ووجدت أن يده جافة كورقة قديمة. فكرت، ثم تراجعت عن فكرة إعطائه زجاجة من المرطب المفضل لديها والمصنوع من الأعشاب. قد يظن أنها تحاول رشوة الصحافة.

بقيت منشغلة أكثر من العادة طيلة عطلة الأسبوع والقسم الأكبر من الأسبوع الذي تلا، في اجراء جردة البضائع في المتجر، وترتيب الرفوف، وتحضير ثيابها وثياب سوكي لفصل الربيع، وطهي كمية من الحساء تكفي لشهر وتثليجها وتقسيمها إلى حصص مزدوجة. لكن على الرغم من كل تلك النشاطات، كانت الأيام تبدو طويلة. ولامت الأحوال الجوية، قالت لنفسها يوم الثلاثاء عندما أرسلت لدايفيد اقتراحاتها بالبريد حول كيفية تحسين طريقة بيرتي هيغينز في الطهي. لقد بقي الطقس رمادياً وممطراً بعض الشيء منذ يوم الأحد.

عندما ظهرت الشمس أخيراً يوم الأربعاء، كانت ما تزال تشعر بالإحباط في نهاية اليوم. من المفترض أن يكون دايفيد قد تسلم رسالتها في ذلك الصباح. أملت بطريقة ما... كلا، لم تكن تلك الكلمة المناسبة. فكرت بأنها قد تحصل على جواب ما، حتى لو كان مجرّد مكالمة هاتفية غاضبة ليقول لها إن أفكارها مستحيلة، غير عملية ومُكلفة، وغير سياسية كلياً. فقدت الأمل في الحادية عشرة وذهبت إلى النوم. ماذا كنت تتوقعين؟ سألها مُنتقدُها الداخلي بينما ضمت الوسادة و دفنت أنفها في قماشها الناعم. تعترضين طريق الرجل، ترفضين توديده، إذاً لماذا تتوقعين منه الاتصال؟ ولماذا يجب عليه الاهتمام؟

وقفت في الليلة التالية خارج الثانوية، توزّع المنشورات على

الحشود الآتية. «مرحباً، هل بامكاني إعطاءكم بعض المعلومات عن وجبات المدرسة؟» أعطت ورقة لزوجين.

«حسناً، يجب أن يعطينا أحدٌ ما بعض المعلومات!» قال الرجل بتوتر وهو يتناول منها المنشور. تقدم نحو المدخل وزوجته تكاد تعدو لتلحق به.

عمّ كان يتكلم؟ حملقت كيلي إليه ثم هزت كتفيها واستدارت من جديد. «مرحباً! هل بامكاني إعطاءكم هذا المنشور لقراءته؟»

«يمكنك ذلك بالتأكيد.» قالت امرأة بحرارة. «وأراهن على اعطاءكم أنك كيلي بوشارد. لقد قرأت المقال عنك في الدارتماوث ديلي.»

«جنون!» قال رجلٌ مارّ باختصار. رفع يديه ليبعد عنه أوراق كيلي وأسرع بصعود الدرج.

«ستواجهين كل أصناف الناس.» قالت لمرأة بينما كانت تراقب وتهز رأسها. «أوه، هذه هي عريضتك؟ أجل، أريد التوقيع عليها.»

حزمت كيلي أوراقها قبل بدء الاجتماع بدقائق. كانت قد حصلت على حوالى اثني عشر توقيع إضافي. لكن معظم سكان المدينة كانوا يتقدمون بسرعة، مما جعل من الصعب إيقافهم. الزخم الذي جاء به الجمهور، جعل من اجتماع بسيط للجنة المدرسة يخرج عن نطاقه. أسرعت كيلي للخطى وراء المتدافعين وتسلّلت داخل القاعة.

وقفت امرأة سمينة ذات شعر رمادي محاولة تامين النظام في القاعة، موضحة بأنها سوف تاخذ دور الرئيسة. «برنامج الليلة سوف يكون تكملة دراسة الميزانية فقرة بفقرة، ابتداءً من قسم الرياضيات، ثم تنتقل إلى قسم العلوم. لكن قبل ذلك، يريد السيد

www.alkottob.com

ويتيكر القاء كلمة قصيرة.» أشارت إلى دايفيد الجالس إلى يسارها، ثم إلى شاشة متدلية من السقف خلف طاولة أعضاء اللجنة. «لقد أحضر لكم الخرائط الهندسية لمشروع المدرسة الجديدة لإعطائكم فكرة عن الشكل الذي ستبدو عليه... عندما نتخطى مسألة تمويل بنائها. وطبعاً نحن نعتمد على تعاونكم معنا في هذا المجال.»

«صحيح، لكن هناك موضوع أكثر أهمية يجب التكلم عنه!» وقف رجل في وسط القاعة وتابع كلامه: «أريد أن أعلم ما الذي يحدث في مدرسة أوك الابتدائية!» تبع كلامه أصوات عالية، تؤيد كلامه.

قالت الرئيسة: «أستميحك عذراً، لكن هل أعرفك؟»

«أنت طبعاً تعلمين من أكون، يا إيلين ماي، ولا تغيري الموضوع! ما الذي يجري هناك؟ هل قلبت بيرتي شعرها المستعار؟ لقد قدمت للأولاد ديك حبش مشوياً يوم الجمعة الماضي، صحّ؟»

لم تجب إيلين ماي... كانت تتشاور مع الجالس إلى جانبها. تجهّم دايفيد واقترب منها ليستمع.

«إذاً ماذا تقدم لهم يوم الاثنين؟» تابع الرجل بصوت أقرب إلى الصراخ. «تقدم لهم سندويش حبش... من دون مايونيز. حسناً، ربما هذا منطقي – يجب علينا كلنا تناول بقايا الطعام...»

«لكن بعد ذلك تقدم لهم خليطاً من الحبش والخضار يوم الثلاثاء!» صرخت امرأة في الصف الأمامي. «ويوم الاربعاء تقدم ديك حبش بعجين.»

«صحيح!» صرخ الرجل بصوت أعلى من هتاف الحشد. «أتعلمون ما كان طبق اليوم؟ حبش محمص مع حساء الحبش!

سوف يعود ولدي إلى المنزل وهو يصدر صوتاً كديك الحبش إذا لم تتوقف عن القيام بذلك. هل حصلتم على صفقة ديك حبش رخيصة أو شيء من هذا القبيل؟»

كانت بيرتي هيغينز قد بدأت الحرب، وكان ذلك جلياً. كان باستطاعة كيلي أن تتكهن السبب، بما أن ثورة ديك الحبش قد بدأت على ما يبدو بعد جولتها على مطبخ المدرسة. رمقت دايفيد بنظرة جانبية فوجدته يحدق باتجاهها مباشرة. كانت قد أعطت بعض الملاحظات حول استبدال الدجاج المقلي بالحبش من دون أن تسمعها السيدة هيغينز، أليس كذلك؟ على ما يبدو فإن الطاهية قد تعمدت المثابرة على إطعام الجميع من الحبش القليل الدسم حتى يطلبوا الرحمة.

وقفت امرأة أخرى وتعرفت كيلي إليها فقد كانت إحدى زبائنها. «بما أننا في سياق الحديث عن الطعام، أود أن أطلب من لجنة المدرسة بحث الموضوع الذي كُتبت عنه عدّة مقالات في الدار تحاورت كيلي هذا الأسبوع. إذا كان طعام المدرسة غير صحيّ، فكيف تنوي اللجنة تصحيح هذا الوضع؟»

«هذا ما أود معرفته!» صرخ شخص آخر. ضربت الرئيسة بمطرقتها عدة مرات حتى خفت حدة تعليقات الحضور. «لحظة من فضلكم. لو يتحلى كل منكم بقليل من الصبر.» تحلق أعضاء اللجنة حول بعضهم البعض.

بدا كأن دايفيد كان يقوم بأكبر قسط من الكلام، فيما هزّ بعضهم رأسه بالإيجاب والبعض الآخر بالاعتراض. أدار الجميع أخيراً رؤوسهم نحو الجمهور. غرقت كيلي في كرسيها بينما تركزت سبعة أزواج من العيون عليها. كان دايفيد يلقي كل اللوم عليها، أليس كذلك؟

www.liilwity.com
عبون الهوى
www.alkottob.com

تفرق الجميع وعاد أعضاء اللجنة إلى مقاعدهم. عدّل دايفيد المذياع وقال بهدوء: «إن اللجنة على علم بالوضع القائم في مدرسة أوك الابتدائية.»

ضغطت كيلي بأسنانها على شفتها السفلى. كان قاسياً في كلامه، أليس كذلك؟ كان دايفيد قد طوق للتو المشكلة عندما وعت لجنة المدرسة الأمر.

«ما يحدث هو، أننا أعدنا النظر في برنامج التغذية.» تابع حديثه. «كانت السيدة هيغينز، بصفتها مديرة البرنامج، تجرب بعض التعديلات على لائحة الطعام.»

«حسناً، لكن استعمال الحبش في الطعام لخمسة أيام متتالية؟» صرخ الرجل الذي أثار الموضوع.

«إننا نوافق على أن السيدة هيغينز كانت متحمسة... بعض الشيء، وسوف نتحدث معها بالتأكيد. بالإضافة إلى ذلك، نودّ أن نعلن أن سيدة من مدينتنا، ذات خبرة في مجال إدارة المطاعم و التغذية قد تبرعت للعمل كمستشارة لأنواع الطعام. سوف تؤسس برنامجاً تجريبياً في مدرسة أوك الابتدائية لتتأكد إذا كانت الأطعمة القليلة الدسم مقبولة من التلامذة.»

لقد قام بذلك! بعد رفضه لكل توسلاتها. لقد غير دايفيد موقفه ووجد أحداً ما، أخيراً. بادرته كيلي بابتسامة مشرقة ورفعت ابهامها. بعد كل الذي جرى لم يكن متصلباً كما اعتقدت...

«هل بامكان السيدة بوشارد الوقوف حتى يتسنى للجميع التصفيق لها؟» سأل دايفيد بصوت أنعم بكثير من قبل.

إنه يعيننا أنا؟ أصبح شكل فمها كالدائرة. حدقت مرتعبة بابتسامته لكن بعد أن دلّ دايفيد عليها أخذ الحاضرون يحثونها على الوقوف. أمسكت بظهر الكرسي الأمامي ونظرت حولها إلى

الوجوه الباسمة. لقد عناها هي، وعنا أمها عندما تكلم عن الخبرة في المطاعم. من المفترض أن أكون مستشارة لبيرتي هيغينز؟ سوف تتهمني حية! أحست بركبتيها تضعفان وسقطت في مقعدها مجدداً. تابع دايفيد كلامه عندما خفّت حدّة التصفيق. «إننا نفهم كلنا، طبعاً أن أي تغيير قد يوضع في حيز التنفيذ خلال هذه السنة أو السنة المقبلة لن يزيد أبداً من ميزانية المدرسة. في الواقع، إن السيدة بوشارد تظن أن بامكانها توفير بعض المال علينا.»

ابتسم الجميع لكيلي. هذا موضوع سيوافق عليه الجميع.

«ونحن متأكدون من أنكم تفهمون أن التغييرات لن تحصل بين ليلة وضحاها.» أضاف دايفيد. «لذلك نحن نطلب منكم أن تتحلوا بالصبر وتفسحوا المجال أمام السيدة بوشارد لتقوم بعمل حسن. إننا نطلب منها أن تحضر تقريراً للجنة عن نتائج عملها بعد ستة أسابيع من الآن.»

ستة أسابيع! من المفترض عليها أن تعيد تأهيل بيرتي هيغينز وبرنامجها الغذائي كله خلال ستة أسابيع؟ لا يمكن القيام بذلك.

«في الوقت الحالي.» تابع دايفيد. «سوف تركن لجنة المدرسة موضوع الطعام جانباً حتى تعود إلينا مستشارتنا بتقريرها. لدينا موضوع ميزانية السنة المقبلة لنناقشها، وعندنا مسألة تمويل المدرسة التي...»

مهما كانت الأشياء الأخرى التي قالها، فقد كانت كيلي ضائعة في إعجابها بدايفيد ويتيكر. لقد استطاع استيعاب اعتراضات الجميع من خلال تفكيره السريع وبدا وكأنه قادر على حل كل المشكلات. وقد أعفى اللجنة بطريقة لائقة من وزر

www.alkottob.com

هذا الموضوع، عندما طلب منها أن تقدم تقريرها بعد ستة أسابيع.

أما على الصعيد الشخصي، فقد ردّ لها اعتراضاتها. تظنين أن هناك شيء بحاجة للتغيير ؟ كان قد قال لها. إذاً غيريه. ومن خلال ما قاله في العلن، لم يعطها فرصة لترفض المنصب.

لكن ذلك لم يهمها. لأنه، ومع شعور وكأنها مظلية تقفز للمرة الأولى، لاحظت كيلي أنه ليست لديها أية نية في رفض تحدي دايفيد. لم تكن تعرف كيف ستعيد تأهيل بيرتي هيغينز خلال هذا الوقت القصير، لكنها سوف تحاول بالتأكيد.

الفصل العاشر

بعد انتهاء الاجتماع، وجدت كيلي نفسها محط أنظار مجموعة من الأهالي تحملقوا حولها لتهنئتها. بدا وكأن هناك اجماعاً على أن الوقت قد حان لأن يقوم أحد ما بعمل ما. كثيرون مروا بها وعلى وجوههم نظرات تعجب أو ازدراء. من الواضح أنه ليس جميع من في وست دارتماوث يوافقونها الرأي. حسناً، ما علي سوى تغيير الوضع، قالت لنفسها وهي تلوح مودعة آخر مؤيديها.

«هل لديك وقت لاحتساء القهوة؟» سألها دايفيد وهو يسير متمهلاً في الممر ويداه كالعادة، في جيبيه.

فكرة الجلوس معه إلى طاولة واحدة جعلت نبضها يتسارع. الغضب، قالت لنفسها، لكنها علمت بأنه لم يكن هذا هو السبب. رفعت يديها نحو مرفقيها وكأنها تحمي نفسها، وبدا قلبها وكأنه يرقص بين ضلوعها. اللعنة على هذا الرجل! لم تكن تريد الظهور بهذه الهشاشة. ليس أمام رجل لا تثق به. «أخشى أن لا وقت لدي.» قالت: «إنني أجرب الليلة جليسة جديدة لسوكي، وقد وعدت أن أكون في المنزل عند الحادية عشرة.»

قال باصرار: «يجب أن نناقش هذا الموضوع.»

«ماذا هناك لنناقشه؟ أنت تقوم بعملك كديكتاتور على أكمل وجه. لقد جندتني لستة أسابيع، من دون أن تسألني هل يناسبك ذلك، يا كيلي؟ هل خطر ببالك أنني أملك متجراً عليّ إدارته؟ أنا لا أجد وقتاً كافياً للاهتمام بسوكي في هذه الأيام، والآن، إذا كان

www.rewity.com عيوني
www.alkottob.com

عليّ استنباط وجبات جديدة... الوقت لتجربتها، إجراء أبحاث على قيمتها الغذائية، البحث عن مصادر لشراء مكوناتها...»

سألها دايفيد: «هل تريدين هذا العمل أم لا؟»

«أنا... أريده.» اعترفت كيلي. اللعنة عليه، ألا يمكنه على الأقل إعطاءها بعض الوقت للتفكير قبل الموافقة؟

«حسناً.» ارتعشت أطراف فمه وقال: «كنت أعلم أنك ستقبلين.»

«ولو لم أقبل؟ أما كنت أخشيت بالحرج لو وقفت ورفضت؟»

قال دايفيد: «لا، لكنني كنت فقدت بعضاً من احترامي لك.»

رفّت كيلي عينيها. لم يكن الاحترام شيئاً قد اعتادت على الحصول عليه من قبل الرجال. من قبل لاري، صححت لنفسها. ربما لأنه كان يكبرها بعشر سنوات، لقد عاملها دائماً بطريقة أقرب إلى الأزدراء. فكرة الحصول على احترام دايفيد... أو أنها قد حصلت عليه... أدارت رأسها بشكل غير متوقع.

أمسك دايفيد بذراعها وأدارها نحوه. «سوف يقفل علينا كاسيدي العجوز هنا إذا لم نخرج.» قال وهو يشير برأسه نحو البواب الذي كان ينتظرهما عند المدخل. «ليس أن ذلك لن يكون مسلياً...»

ضغطت كيلي على شفتها السفلى وهو يقودها عبر الرواق. كانت قد اعتقدت أن رفضها له عند الجدول قد وضع حداً لمثل هذا الحديث. «إذاً، متى أبدأ؟» سألته فجأة.

«يوم الاثنين إذا أردت. سوف أخبر بيرتي بالنظام الجديد غداً.»

«لن يعجبها ذلك.»

«لا حاجة لأخباري بذلك!» قال دايفيد موافقاً معها. «لقد

حاولت القاء هذه المهمة على إيلين ماي بطريقة غير مباشرة، بما أنها الرئيسة هذا الأسبوع لكنني لم أنجح.»

ضحكت كيلي وقالت: «بما أنها كانت فكرتك، فقد نلت جزاءك.»

قست أصابعه، وأصبحت ابتسامته مليئة بالأسى. عاد قلب كيلي، الذي كانت قد هدأت ضرباته، ليضرب بقوة من جديد. "منّة على الرجل! أخذت تتكلم بسرعة وبغضب عن خططها للبرنامج الغذائي. خلال عرض دايفيد الموجز عن مشروع المدرسة الجديدة، كانت تدون بعض الملاحظات وقدمت بعض الأفكار الحسنة. «لو تعاونت السيدة هيغينز معي، أنا متأكدة من أننا سوف نقدم وجبات يحبها الأولاد.» قالت بحماس عندما وصلا إلى سيارتها.

«هل تظنين ذلك؟» سألها دايفيد وعيناه تنتقلان من شفتيها إلى عينيها.

عليها الرحيل من هناك. لكن شيئاً ما في نظراته بدا وكأنه يملأ سريان الدم في شرايينها، تاركاً إياها تشعر بنعاس خفيف وبدوار بسيط. «ألا تظن ذلك؟» سألته بتحدٍ محاولة كسر السحر. «لماذا تجعلني أقوم بذلك، إذاً؟»

«حتى تقتنعين بأنك مخطئة.» قال دايفيد ببساطة. «لأي سبب آخر؟ أظن أنه خلال ستة أسابيع سوف تقنعين نفسك بأن الأولاد في وست دارتماوث يفضلون البيتزا الدسمة.» رفع يده ليلتقط خصلة من الشعر انسدلت على وجهها. «أظن أنك ستسأمين من هذا الموضوع وتصبحين جاهزة للتخلي عن هذه القضية. لكون أنا في هذا الوقت قد حركت حملة تمويل بناء المدرسة الجديدة، ربما عندها يعود كل شيء إلى طبيعته.»

www.alkottob.com

لم تكن تشعر بحالة طبيعية في تلك اللحظة، والله يعلم. كانت تشعر بالغضب بسبب سخريته المباشرة، وبشيء آخر مختلف تماماً. هزت رأسها وهي تبسط يديها على صدره كي تمنعه من الاقتراب. هزت رأسها من جديد، متسائلة عمّن تقدم نحو الآخر أولاً، دايڤيد أم... «لا تفعل!» تنفست فيما هو يخفض رأسه.

«لماذا؟» قال وهو يضع يديه على كتفيها.

«أنا...» كانت هناك عدة أسباب لرفضها، ومع ذلك لم تكن تستطيع التفكير بسبب واحدٍ وهو قريب منها لهذه الدرجة. كل ما استطاعت التفكير به هو أنه إذا تقدمت أكثر وأحست به، سوف تشعر بضربات قلبه تتجانس مع ضربات قلبها. «أنا خائفة...» قالت بصوت أعلى بقليل.

ارتسمت على ثغره ابتسامة ناعمة. «لقد تصورت ذلك.» كانت يداه لا تكفان عن الحركة على كتفيها. «أردت أن أعتذر لك عن ذلك اليوم قرب الجدول، والآن أنا أقوم بذلك مرة أخرى، أليس كذلك؟»

«لا حاجة لك للاعتذار.» قالت كيلي معترضة. لكن كان عليه أن يتركها ترحل. كانت بحاجة إلى ذلك.

«لا، لا أظنني بحاجة للاعتذار.» وافقها دايڤيد الرأي. «ماذا عساي أن أفعل غير ذلك أمام امرأة بجمالك؟»

كانت كيلي منذهلة من كلامه لدرجة أنها لم تبادله العناق فرفع رأسه وارتسمت علامة استفهام على وجهه.

«جميلة؟» رددت كيلي. «إن أحداً من قبل لم يقل...» توقفت فجأة عن المتابعة.

«لم يخبرك أحدٌ هذا من قبل؟» سألها دايڤيد. كانت نبرة

التعجب في صوته أكثر اقناعاً من أي اطراء. «ماذا عن اللعين زوج...» قطع الكلمة وكأنه لا يحب التلفظ بها.

لا، نادراً ما استحسنها لاري. وفي أكثر الأحيان وجه استحسانه نحو حذاء أو فستان كانت قد اشترته بماله الخاص بدلاً من أن يكون موجهاً لها شخصياً. لكنها لم تكن تريد التفكير بذلك. إذاً، دايڤيد يجدها جميلة؟ أحمرت وجنتاها اللتان اكتستا ببهجة صافية. وعندما عانقها تجاوبت معه بابتسامة خجولة وغير مصدقة.

«إذاً، صدقي ذلك!» قال دايڤيد بخشونة. رفع ذقنها مجدداً وهو يلامس عنقها براحة يده.

عادت إليها رجاحة العقل فجأة كما اختفت من قبل. كانت تقف في مرآب سيارات، على وشك أن تسمح لدايڤيد ويتيكر بعناقها... كان ذلك ضرباً من الجنون. استدارت بين ذراعيه وبحثت في حقيبة يدها عن رزمة مفاتيحها. «أجل، حسناً.» تمتمت: «كل هذا رائع، لكن...» أولجت المفتاح في القفل، وأدارته بسرعة. كان دايڤيد خلفها يضحك... بهدوء. لكن هذه المسألة لم تكن مضحكة بالنسبة لكيلي.

«نعم، إنه كذلك.» قال دايڤيد وهو يتراجع خطوة بينما فتحت باب السيارة وصعدت إليها. «لكن أين الحريق؟ لما العجلة؟»

«جليسة الأطفال الجديدة؟» أجابت بسرعة وأغلقت بابها بقوة. كان ما يزال واقفاً في مكانه، يداه في جيبي سرواله وعلى وجهه ابتسامة تكاد تكون سخيفة، عندما انطلقت سيارة كيلي من الموقف.

لم تتوقف إلا عندما وصلت إلى أول اشارة مرور. لكن عندما تغير اللون إلى أخضر، لم تلاحظه... كانت منشغلة بملامسة

www.alkottob.com

شفتيها... إلا عندما انطلق بوق سيارة أخرى احتجاجاً. يظن دايفيد أنها جميلة. هذا مريح.

عندما دخلت كيلي صباح الاثنين من الباب الخلفي لقاعة الطعام، كانت مخاوفها بالنسبة لدايفيد قد تراجعت، مفسحة المجال للتفكير بالمشكلات الأخرى الآتية... كيفية تقاسم المطبخ مع بيرتي هيغينز بطريقة سلمية.

كانت السيدة هيغينز جالسة على كرسي عالٍ قرب طاولة الخدمة وتبدو متكدرة المزاج. رفعت رأسها عن الجريدة التي كانت تقرأها وهي تحمل كوب قهوة بيدها، ثم أعادت نظرها إلى الجريدة من جديد.

«صباح الخير.» قالت كيلي بخجل. تقدمت من الطاولة وانتظرت الاقرار بوجودها.

عبست الطاهية في جريدتها.

«أين الآخرين؟» سألت كيلي بعد صمت طويل. لم ترفع السيدة هيغينز نظرها وقالت: «يأتون لاحقاً.»

«أوه.» ربما كانت هناك طريقة أفضل لحل خلافاتهما، إلا أن كيلي لم تستطع التفكير بواحدة. سحبت كرسياً بطريقة عفوية وجلست. «يا سيدة هيغينز، أنا أتساءل إذا كانت هناك من طريقة ما، لأعتذر لك عن أول مرة اقتحمت فيها مطبخك؟ لقد تعديت حدودي حقاً ذلك اليوم. ثم أتساءل إذا، بعد أن أكون قد اعتذرت، إذا بامكاننا... البدء من جديد؟ أعني أنه إذا كنا سنعمل سوياً...» بدأ صوتها بالانخفاض بينما لعقت المرأة الأكبر سناً اصبعها وقلبت صفحة.

«فهمت.» قالت كيلي بعد أن طال الصمت. «حسناً، كله سيان.

أردت أن أقول لك إنني آسفة. وأنا آسفة الآن لأنني فُرضت عليك من دون سابق انذار. أنا لم أطالب بهذا العمل الاستشاري... آمل أن يكون دايفيد قد أخبرك بذلك... وأعلم كم هو صعب مشاركة المطبخ مع طاهية ثانية. لكل شخص طريقته في القيام بأعماله.»

أنهت السيدة هيغينز شرب قهوتها وضعت الكوب بخبطة قوية. «ماذا ستطهين اليوم؟» سألت بيرتي وقد نظرت إليها أخيراً.

«ماذا أطهو أنا...» رددت كيلي وهي غير مصدقة لما تسمع. كانت نظرة واحدة إلى وجه المرأة كافية باقناعها أنها لم تكن مزحة. «لم أكن أنوي أن أطهو أي وجبة قبل بضعة أيام، يا سيدة هيغينز، اردت مساعدتك بلائحة طعامك المعتادة فقط. لدي العديد من الأسئلة المختلفة حول ميزانية كل وجبة، إنها أنظمة غذائية من الحكومة الاتحادية...»

«يقول السيد ويتيكر أن الكلمة الأخيرة لك، يا آنستي. وهذا يعني في القاموس أنك الرئيسة. والرئيسة تعطي الأوامر. إذاً ماذا نطهو اليوم، أيتها الرئيسة؟»

فتحت كيلي فمها لتبدأ الكلام، ثم عدلت عن ذلك، كانت مجبرة على الأعجاب بتخطيط الطاهية حتى وهي تعصر دماغها بحثاً عن جواب. لم تكن عندها أي فكرة عن المقادير، عن كيفية استعمال الأدوات، عن كيفية توزيع المهام أو حتى عن عدد الوجبات التي يحتاجونها اليوم. لقد أصبحت مهمتها صعبة جداً... وهذا ما أرادته السيدة هيغينز بالتحديد. «أنا آسفة، لكنني سأفسد الأمر إذا حاولت.» قالت بصراحة. «أنت الرئيسة... أنا هنا فقد للإدلاء بالنصح.»

«وإذا لم تعجبني نصائحك؟» قالت السيدة هيغينز وقد أسقطت كل أصول الأدب.

www.alkottob.com

عضت كيلي على شفتها وقالت: «هل تعلمين، إنها ليست نصيحتي في الحقيقة. إنها صادرة عن الأطباء والعلماء، وعن الأبحاث التي قاموا بها في الأعوام العشرة الماضية.» تقدمت كيلي نحو البراد الضخم الكامن قرب أقرب حائط. فتحت بابه ووجدت ما كانت تأمل أن تجد. عادت إلى السيدة هيغينز ومعها علبة من الزبدة وقطعت ما يساوي ربع رطل من القالب. «هل تعلمين كم كمية الدسم التي يتناولها أي اميركي كحد وسطي في اليوم؟» سألت وهي تضرب بالقطعة الباردة على راحة يدها.

هزت السيدة هيغينز كتفيها، لكن لمعت في عينيها الزرقاوين أولى بوادر الاهتمام.

«تقريباً هذا المقدار.» قالت كيلي برقة، وهي تضع القطعة أمامها. «لقد تعرضت أمي لنبحة قلبية في الأربعين من عمرها بسبب تناولها أطعمة كهذه.» أبعدت نظرها بسرعة عن الطاهية وركزت عينيها على إبريق القهوة. «تعلمين، أنني أكاد أموت من أجل كوب قهوة.» قالت لها: «هل تسمحين لي؟»

«الأكواب موجودة فوق حوض الغسل.» قالت المرأة بتجهم.

بعد ذلك، لم تدع أحداً يشعر بوجودها طوال فترة قبل الظهر. لم تكن تعلم إذا كانت السيدة هيغينز ما تزال تتوقع منها أن تهتم بالطهي، لكن إذا كان الأمر كذلك، فخيبة الأمل بانتظارها. كانت كيلي مصممة على الانتظار في لعبة انتظار من سيبدأ الطهي، حتى لو كلفها ذلك أن تحين الساعة الحادية عشرة وتملئ القاعة بالأولاد الجياع من دون أن تكون الوجبات جاهزة. ولكنها صلت لأن لا يصل الأمر إلى هذا الحد.

وقفت كيلي تدرس لائحة طعام الشهر المعلقة على الحائط بينما زحفت عقارب الساعة من الثامنة والنصف إلى التاسعة ثم

إلى العاشرة. توصلت إلى حل وهو أنها سوف تحافظ على اللائحة كما هي، حيث أمكن، وتستبدل بعض المكونات بأخرى صحية أكثر. مما يسبب أقل تغيير ممكن بالنسبة للأولاد. كانت تعلم جيداً أن الأولاد محافظون بطبيعتهم وذوقهم صعب. لكن إذا استبدلت اللحوم بقشدة الحليب وخبز محمص مصنوع من الطحين الأبيض بدلاً من أصابع السمك المقلية... أوه، بامكانها احداث الكثير من التحسينات إذا أعطتها السيدة هيغينز فرصة لذلك.

لكن مع أن كيلي بدت وكأنها استطاعت الوصول إلى قلب المرأة، إلا أنها كانت على خطأ. عندما وصلت باقي العاملات في المطبخ عند الساعة العاشرة، كانت هدنتهما السريعة العطب قد انتهت. خرجت السيدة هيغينز من مكتبها حيث كانت تقوم ببعض الأعمال على الورق ووزعت الأدوار على مساعداتها. كان على لورا كورتيل أن تهتم بالسلطات لمدة أسبوع، وعلى المساعدتين الأخريين الاهتمام بالخبز والخضار».

على ما يبدو، كانت السيدة هيغينز مسؤولة عن اللحوم لأنها تقدمت نحو الثلاجة وأخرجت منها. علباً من الهمبرغر المثلّج. صرت كيلي على أسنانها وربتت على كتف الطاهية وقالت: «ما هو دوري هذا الأسبوع.»

«في الطريق.»

«يا سيدة هيغينز، أنا هنا. يمكنك الاستعانة بي أنا أيضاً.»

«حسناً!» أحضرت الطاهية صينية من على رف ورمت أمامها بزوج من القفازات. بحثت في غرفة المؤونة عن مرطبان من العسل وعلبة حيث وضعت أكواباً ورقية صغيرة مصنوعة من الورق. «املئي ثلاثماية من هذه.»

www.alkottob.com

لقد جنيت على نفسي! خلال خمس دقائق لم تعلم كيلي إن كانت تريد الضحك أم البكاء. سال العسل على معصميها ولطخ طاولة الخدمة والصينية ببقع ذهبية. التصقت الأكواب الصغيرة بأصابعها وبطرف المرطبان. «أليس عندك قمع؟» قالت بعد أن فاضت محتويات كوب على الطاولة.

«أوه، أنسيت أن أعطيك واحداً؟» سألتها السيدة هيغينز وكأنها تلوم نفسها. «جربي هذا.» رمت قمعاً على الطاولة وتابعت سيرها.

لكن فم القمع كان صغيراً جداً لدرجة أن العسل كان لا يكاد يمر خلاله. توقفت كيلي بعد عشرين دقيقة لتراقب نتائجها المحزنة. بقي عليها أن تملأ مئتين وسبعين كوباً. نظرت حولها باحثة عن السيدة هيغينز، قابل نظرها عيني لورا كوتريل. بنظرة خائفة، أشارت العاملة بسكين رئيستها إلى مكان قريب من ركبتي كيلي.

وجدت رزمة من الأقماع النظيفة تحت الطاولة، بينها واحد ذو عنق واسع، كتب عليه كلمة عسل، سحبته كيلي بتنهيدة ارتياح. عندما أدارت السيدة هيغينز وجهها مرة ثانية، أرسلت كيلي للعاملة قبلة في الهواء.

أصبح العمل أسهل بعد ذلك، لكن كان على كيلي أن تكون أكثر حكمة ولا تضيع الوقت. عندما انتهت من مهمتها، طلبت منها السيدة هيغينز تقطيع البصل لتحضير وجبة شوب سيوي الأميركية للغد... ثلاثين رطلاً من البصل. قطعت كيلي البصل والدموع تقطر من ذقنها حتى حان موعد وصول الأولاد.

مع ذلك، كان الأمر يستحق ذلك، قالت لنفسها بعناد بينما راقبت الأولاد وهم يلتهمون الهمبرغر الدسمة، البطاطا المقلية،

الذرة والحلوى بشهية. باستطاعتها استبدال البطاطا المقلية بقطع البطاطا المشوية في الفرن، لن يكون ذلك صعباً. لكن ماذا عن الهمبرغر؟ ربما يمكن استبداله بقطعة حبش مشوية منزوعة الجلد، أو ربما حشوة سلوبي جو، مصنوعة من قشدة الحليب بدلاً من لحم العجل العادي.

ربتت إحداهن على ظهرها. «يمكنك البدء بتنظيف ابريق البخار.» أعلمتها السيدة هيغينز بابتسامة.

نقلت كيلي نظرها من الابريق المغطى بالدهن إلى الطاهية ثم أعادته إلى الابريق، أطلقت تنهيدة من القلب وابتسمت. «يسعدني ذلك.»

استمرت الأحوال على المنوال ذاته، إن لم تكن أسوأ، في اليوم التالي. على ما يبدو، فإن السيدة هيغينز قد بقيت مستيقظة حتى منتصف الليل لتقسم المهمات وتنهك كيلي أو تقودها إلى الجنون. كان واضحاً أيضاً أن العاملات كن يتعاطفن معها في ورطتها، لكنهن كن لا يكدن يتجرأن على الكلام معها حتى في غياب السيدة هيغينز. نظفت كيلي أطناناً من الأرضية، قطعت جبالاً من البصل، حفت الدهن اللاصق على الفرن منذ زمن طويل وكل ذلك قامت به بصمت وابتسامتها المرحة تختفي مع مرور الساعات. هل تطوعت للقيام بهذا؟ كلا! إذا فكرت في الأمر... لم تتطوع لذلك... دايفيد هو من وضعها في هذا المأزق. وأين هو الآن، عندما غطى الدهن والصابون يديها حتى مرفقيها؟ إنه كالرجل الخفي منذ يوم الجمعة.

لم يظهر حتى يوم الأربعاء. رفعت رأسها بعد أن عصرت ممسحتها لتجده متكئاً إلى الطاولة بوجه عابس: «ماذا تظنين نفسك فاعلة؟» سألها.

www.alkottob.com

أبعدت كيلي خصلة من الشعر عن عينيها وحدقت به مجدداً. «ماذا تراني أفعل؟» لامست ممسحتها أطراف حذائه بينما كانت تمسح الأرض تحت الطاولة.

تراجع خطوة إلى الوراء. «من المفترض بك أن تكوني مستشارة للوائح الطعام، يا كيلي، وليس القيام بأعمال التنظيف.»

«حقاً؟ قل ذلك لبيرتي.» تمتمت كيلي واستدارت لالقاء نظرة حولها. كانت أرضية الغرفة تلمع في كل الاتجاهات. بعد أن أنهت تنظيفها.

«سوف أفعل.» وعدها دايفيد. «أين هي؟»

«ذهبت إلى المنزل، مثل الجميع.» ألقت كيلي بنفسها وبالممسحة على طاولة الخدمة. كانت تعبة جداً ولم تستطع افراغ دلو المياه الوسخة. «أين كنت كل هذه المدة؟» سألته وقد ذهلت من نفسها عندما خرجت الكلمات من فمها. ففي نهاية الأمر، لم يكن هذا من شأنها.

«كاليفورنيا.» قال دايفيد. «حفلة عيد ميلاد...»

مرت بها موجة من الاستياء. كانت هي تلعب دور الخادمة بينما كان هو يقوم برحلة قصيرة، قاطعاً البلاد لحضور حفل عيد ميلاد؟ عيد ميلاد من؟ لم تستطع تفسير ذلك، لكنها أحست بالغريزة أن المحتفل بها كانت امرأة. «رائع! أتمنى أن تكون أمضيت وقتاً ممتعاً.» ابتعدت عنه واتجهت عبر الغرفة نحو الحوض... وتعثرت بدلوها. أحست وكأن الأرض ترتفع لترتطم بوجهها. عندما داست بقدمها على طرف الدلو، تطايرت بعض المياه الوسخة عليها. «أووه...» تلفظت بكل الكلمات البذيئة التي يمكن لانسان التلفظ بها بينما رفعت وجهها وكتفيها عن

البلاط. «أنذال.» قالت وهي تحملق بالأرضية التي اتسخت من جديد... ثم اجهشت بالبكاء.

«كيلي!» أمسكت يدا دايفيد خصرها وكتفها. «هل أنت...»

«أوه، أنا بخير.» قالت بمرارة وهي تحاول رفع نفسها بمساعدة مرفقها. نظرت إلى الأسفل لتجد قميصها مبللاً تماماً. «إنني أمضي أسعد أوقات حياتي.»

«أجل، أستطيع رؤية ذلك.» قال دايفيد والضحك يرتجف في صوته. أمسكها من ذراعيها وساعدها على الجلوس.

مما يعني الآن أن مؤخرة ردائها قد أصبحت مبتلة مثل قميصها. أدركت ذلك عندما أحست أن الماء أخذ بالتسرب إلى جسمها. مسحت عينيها في محاولة منها للابتسام إلا أنها لم تستطع القيام بذلك.

«هل أنت متأكدة من أنك لم تتأذي؟» تجوفت يد دايفيد لتمسك بخدها. جاءت اليد الثانية لتواجه الأولى وطوقتا وجهها ضمن أصابع قاسية بدفء ونعومة. كان ابهامه يتحرك على وجهها بلمسات ناعمة متكررة ماسحاً دموعها ومبعداً الشعر المبلل عن وجهها.

«أجل.» قالت بصوت مرتجف. يجب عليها أن تطلب منه التوقف عن ذلك، لكن الشعور بلمسته كان... ممتعاً.

«هذا حسن.» تمتم. انحنى إلى الأمام، وقبل طرف أنفها. وعندما ابتسمت له، عانقها.

أحست بشعور ناري في معدتها. أخافتها حدته فعدلت جلستها وسحبت وجهها إلى الوراء.

قست ابتسامته ونظر إليها مستفسراً إلا أنه تركها تفلت من دون سؤال. «حسناً...» نظر حوله من دون هدف إلى بركة المياه

www.alkottob.com

الصغيرة، ثم أعاد نظره إلى كيلي، وشفتاه ترتعشان. «أتعلمين ماذا؟» قال بنعومة. «لقد حصلت بالتأكيد على صوتي في مباراة القميص المبلل!»

احمرت وجنتاها ورفعت كتفيها، ثم لاحظت أنها ارتكبت غلطة عندما لاحظت أنه حبس أنفاسه. «حسناً...» وقفت لتلتقط الممسحة الملقاة على الأرض فوجدت نفسها في وسط البركة.

ألتقط دايفيد الممسحة ووضعها جانباً. «هذا عمل الحارس، يا كيلي. إنه يمسح الأرض كل يوم بعد اقفال المدرسة. ألم تخبرك بيرتي بذلك؟» عندما هزت رأسها بالنفي، زمجر غاضباً. «سوف يكون لي حديث معها. إنها تصعب الأمر عليك، أليس كذلك؟ أنت هشة كقطعة قماش بالية تستعمل لتجفيف الصحون.»

«شكراً لك.» قالت كيلي، تعبة لدرجة أنها لم تنزعج من المقارنة. «لكن لا، شكراً على حديثك مع بيرتي. لن تفعل سوى جعل الأمر يسوء أكثر.» مطت ظهرها الذي كان يؤلمها، نظرت إلى الساعة، واتجهت نحو الباب الخلفي.

«لن أقف مكتوف اليدين أتفرج عليها تدفعك للوقوع على الأرض.» قال دايفيد معترضاً. «لم يكن هذا قصدي البتة.»

«أوه، ألم يكن كذلك.» سحبت كيلي سترتها من على المشجب قرب الباب وخرجت إلى نسيم الربيع البارد والذي كان مرحباً به بعد دفء المطبخ الرطب. «يبدو أنني أتذكر أمنيتك بأنني سأسام بعد ستة أسابيع.»

«هل فعلت ذلك؟ حسناً، ربما فعلت، لكن...»

«لكن هذا لا يعني أن هذا العمل هو أقل أهمية. فقط لأنها تصعبه عليّ، يا دايفيد ويتيكر.» استدارت لتواجهه لكنها استمرت

بالابتعاد عنه والإقتراب من سيارتها. «ولا تصعب الأمر أكثر بتأنيبك لبيرتي. سوف أتولى هذا الأمر بطريقتي الخاصة.» جفلت عندما ارتطمت بجانب سيارتها. بحثت بتعب عن مفاتيحها. أخذها دايفيد من يدها وفتح لها باب السيارة، ثم أعادها إليها. ما أن أصبحت في الداخل. «موافق.» قال بهدوء. «إذا كان هذا ما تريدنه. لكن إذا غيرت رأيك، أنا هنا.»

أنا هنا. أشعرتها الكلمات بالدفء من رأسها حتى أخمص قدميها.

أطبقت يده على أصابعها فوق المقود وضغطت بخفة. «اذهبي الآن إلى المنزل وخذي حماماً ساخناً، ثم خذي قيلولة.» قال ناصحاً إياها.

هزت رأسها بابتسامة مصطنعة وقالت: «يا دايفيد، أملك متجراً يجب إدارته، أتذكر؟ علي اخلاء سبيل مساعدتي الآن.» لحسن حظها أنها أحضرت معها ثياباً نظيفة. «لن أصل إلى المنزل قبل السابعة.»

عندما قادت سيارتها خارج الموقف، كان دايفيد ما يزال واقفاً هناك، تبدو عليه السعادة والشعور بالذنب.

أنا هنا. ترددت الكلمات مرة أخرى في ذهنها، ثم ضغطت على دواسة الوقود. فقد كانت متأخرة.

www.alkottob.com

الفصل الحادي عشر

كانت الساعة قد تجاوزت السابعة تلك الليلة عندما وصلت كيلي إلى منزلها ووجدت شاحنة حمراء متوقفة إلى جانب المرآب. قد لاحظت أنها شاحنة دايفيد.

وجدته جالساً داخل الصندوق وماداً ساقية الطويلتين أمامه. «تعالي انظري.» قال هامساً وهو يمسك بيدها.

قفز ظربان من بين العشب، ملوّحاً بطريقة مضحكة بذيله الأسود المخطط باللون الأبيض. «أوه!» ضحكت في سرّها. «وسوكي تفتقده. لقد رأينا راكوناً من قبل ولكنه أول ظربان تراه.»

راقباه بمتعة صامتة، خداً إلى خد، حتى أندس مختفياً تحت جنح الأصيل. «أين سوكي؟» سأل دايفيد أخيراً.

لم يكن قد أفلتها بعد، وكان بامكانها الاحساس بأطراف أصابعه على خصرها. هل كان يشعر بنبضها يتسارع مثل نهر في الربيع؟ «إنها تنام عند صديقتها موللي.» هذا ليس شيئاً تسمح به كيلي عادة، لكن هذا الشهر لم يكن عادياً.

«مؤسف جداً.» قال دايفيد. «لقد ذهبت وأحضرت لها أيس كريم بنكهة الشوكولا.» وقف دايفيد ودفعها بلطف نحو الدرج. «سوف يكون علينا أن ناكل وجبة مضاعفة كي يعود لنا النشاط.»

سألته وهي تتراجع: «عمّ تتحدث؟»

«سوف أحضر لك طعام العشاء.» أعلن لها. تعالي إلى منزلي

ومددي قدميك بينما أقدم لك صلصة المعكرونة السرية الخاصة بويتيكر.»

وجدت نفسها في شاحنته قبل أن تتمكن من صياغة كلمات رفضها في جملة. ألقت كيلي بنفسها على مقعد السيارة وأغلقت عينيها وهي تطلق تنهيدة استسلام. كانت بين يديه الليلة. كان على ذلك أن يقلقها، عوضاً عن ذلك أحست بشعورٍ لذيذ.

وجدت أن منزل دايفيد كبير، تحيط به شرفة كبيرة مطلة على النهر. «إنه جميل!» قالت بتعجب فيما كان يقودها إلى الباب الخلفي.

«لقد ترعرعت في هذا المنزل.» قال لها. «لقد انتقل أهلي من هنا منذ سنتين... تقاعدا وذهبا إلى فلوريدا. عدت من كاليفورنيا وأنا عازم على ترميمه وبيعه لحسابهما، ثم اكتشفت أنني لا أستطيع ذلك. انتهت القضية بأن اشتريته. كان ملكاً لعائلة أمي منذ بنائه.»

«الأصالة...» تمتمت بطريقة حالمة وهما يدخلان إلى المطبخ. «إنهم لطفاء.» هذا ما أرادت الحصول عليه في يومٍ ما، أن تكون لها أصالة وتجذر، أن تجد مكاناً بامكانها وسوكي أن تحياه وتعتزا به. كان بامكانها بالتأكيد فهم سبب اعتزاز دايفيد بهذا المكان. كان المطبخ غرفة دافئة قديمة الطراز، مع خزائن ذات واجهات زجاجية، طاولات خشبية قديمة، ونافذة مشرفة ذات حافة زجاجية ملونة.

كان أحد ما قد هدم حائطاً ليفسح المجال لرؤية غرفة الطعام والنهر من ورائها. إنه فعل دايفيد، كانت متاكدة. رافقها حتى كرسي عالٍ. «خذي، اجلسي.» عاد وبيده كوب من العصير.

«هل أستطيع القيام بأي عمل؟» سألته.

www.alkottob.com

«تحدثي معي فقط.» قال وهو يحفّ عقد أصابعه على وجهها. لكن عندما أبعدت وجهها عن ملامساته، ابتعد عنها وقال: «لقد حضّرت الصلصة بعد ظهر اليوم. كل ما علينا القيام به هو غلي المعكرونة.»

على الرغم من مخاوف كيلي، إلاّ أنها وجدت رفقته أمراً سهلاً. تحدثا، ثم غرقا في صمت مريح، تابعا الحديث مجدداً. أخبرها بأنه سافر إلى بوسطن الليلة الماضية وبقي هناك ليعرض على زبون بعض التصاميم خلال تناول الفطور. «إنني أنسى دائماً أنك مهندس معماري.» تمتمت.

انحرف حاجباه بطريقة مسلية. «أجل.» اختفى ليعود ويظهر ومعه مجموعة رسومات. «قد تثير هذه التصاميم اهتمامك.»

بسطت الأوراق الزرقاء أمامها فيما كان يحضر السلطة. «هذه تصاميم المدرسة الثانوية التي عرضتها تلك الليلة.» قالت. لم تتكهن أنها تصاميمه وقد افترضت أنها جزء من عرض أحد المتعهدين لبناء المدرسة.

عادت إلى ذهنها كلمات فيكتوريا الساخرة... تتقدم شركة وهمية عرضاً لإبرام العقد... يستخدمون صديقنا الذكي دايفيد ويتيكر للقيام بالبناء والجميع سعداء. وها هو الاثنان لشكوك فيكتوريا. حملقت كيلي بائسة بالرسومات. فكرت كثيراً لكنها لم تجد سبباً واحداً كي يقضي دايفيد كل هذه الساعات من وقته الثمين في تصميم البناء لو لم يكن ليستفيد منه بطريقة ما.

كان بامكانها تصوّره يعمل من دون مقابل، لو كان لديه ولد في تلك المدرسة. لكن بما أن ليس لديه واحد... لا، لما كان أضاع وقته على هذه الرسومات لو لم يكن واثقاً من أن

لجنة المدرسة سوف تختار تصاميمه، وليس تصاميم لشخص آخر. إذن، كانت فيكتوريا على حق طوال الوقت... ن دايفيد لديه سبب آخر بجانب التفكير بالغير يدفعه لبناء المدرسة الجديدة.

«ما رأيك؟» سألها دايفيد وهو يقطع حبات الزيتون الأسود.

«إنها... جميلة جداً.» تمتمت كيلي من دون حماس. بدا البناء مبنياً على منحدر تلال. سيبنى جزء منه تحت الأرض، ومع ذلك ظهر أنه سيكون هناك الكثير من الملاعب والنوافذ، مما يسمح برؤية المناظر الخارجية. تماماً مثلما فعل في بناء المركز التجاري، من الواضح أن دايفيد قد ركّز بتصاميمه على حاجات الناس. مع أنها لا تعلم الكثير عن الهندسة المعمارية، إلاّ أنها ظنت أنها كانت جيدة جداً.

«سوف نستخدم الطاقة الشمسية للتوفير في مصاريف التدفئة والتبريد.» قال دايفيد وهو يقترب للوقوف بجانبها. أشار إلى صف من الدوائر. «سوف تكون هذه أشجار كرز. سوف تظلّل الصفوف في الصيف، ثم تسقط أوراقها عندما نحتاج إلى دفء الشمس.»

«نعم.» كم سيربح من هذا التصميم؟ تساءلت. وإذا أعطته لجنة عقد البناء الحالي، أيضاً، فسوف يجني أكثر. مثل ناطح طرق. من المؤكد أن فيكتوريا كانت لتوافقها الرأي. أحنت بوخز الدموع في عينيها، فأبعدت نظرها. لم تكن تريد معرفة حساباته. افترضت أن التعامل الصارم هو طريقة مسنة للتقدم في الحياة... لكان لاري قد وافق بالتأكيد، لكن مع ذلك...

تناولا طعامهما في صمت. كانت كيلي منزعجة جداً للتمكن

www.alkottob.com

من الكلام، وبدا أن دايفيد قد استنتج أنها متعبة جداً ولم يرد إزعاجها. لم يسمح لها بغسل الصحون بعد أن انتهيا. «سوف أقوم بذلك لاحقاً.»

خمّر كوبين من الشاي، ثم رافقها إلى الشرفة. جلس على أرجوحة مصنوعة من خشب السنديان و معلقة بسلاسل ثم ربت على الوسادات بجانبه.

لو وجدت مكاناً آخر للجلوس لفعلت. لكن الشرفة الواسعة كانت خالية من الأثاث. مع هذا المنظر، لكانت أختارت كراسي من الخيزران، ربما أرجوحة من الشبك. ويجب أن يكون هناك ورود متسلقة على عمود حتى السطح. «رائع.» تمتمت وهي تستقر على الطرف الآخر من الأرجوحة. برز رصيف ميناء عند نهاية المرج، قرب النهر. رسى فيه قارب تجذيف. إذاً هكذا يحافظ علي لياقته البدنية.

نقل دايفيد ذراعه إلى المسند الخلفي وراءها. «أخبريني إذاً عن طلاقك.» قال بهدوء.

دفنت كيلي وجهها في كوبها. تنشقت البخار الملىء بعطر الليمون، ثم زفرته بتنهيدة. «ليس هناك الكثير لأخبرك به... القصة العادية. لقد تزوجت في سن مبكرة، أظن. كان رئيسي في العمل. حينها كان يقوم بافتتاح أول متجر للأطعمة الصحية. وتعلقت به نوعاً ما.»

«إذاً هو مثلك، من النوع المحب للزبيب والعسل وحبات الفاصولياء؟»

لاحظت أن في صوته نبرة بدت لها وكأنها مزاح، لكنها لم تكن واثقة. كانت متعبة جداً للتحداه. «كلا. كان رجل أعمال وأكتشف سوقاً جديدة... الأطعمة الصحية تنتقل من الهامشية إلى

الواجهة... وهكذا ركز الإنتباه نحو الميل العام. أنا هي التي أخذت الموضوع بجدية.»

ضغط بأصابعه على كتفها. «أنت تأخذين كل شيء بجدية.» قال، لكن لم يكن هناك انتقاد في صوته.

رفعت كتفيها وهي مدركة تماماً لموقع يده. «ربما...»

«وتركك أخيراً؟» سألها دايفيد وهو يربت على ذراعها.

«أجل، أظن ذلك... إنها قصة طويلة.»

«أخبريني.» أمرها دايفيد، وأصابعه تتحرك بطريقة منومة.

انخفضت كيلي في مقعدها حتى أصبح رأسها على ذراع دايفيد. «ليس هناك الكثير لاخباره، في الواقع. لقد توقفت عن العمل بعد ولادة سوكي. واستمرت الأعمال في التوسع من متجر، إلى ثان، ثم إلى سلسلة من المتاجر. ثم في السنة الماضية، قررت، بما أن سوكي قد أصبحت في المدرسة، أن بامكاني العمل جزئياً. لقد افتقدت العمل، أنت تفهم.»

حملقت بالنهر الأسود الجاري في الظلام، وتابعت: «بعد فترة قصيرة من عودتي للعمل، علمت السبب الذي لأجله ازدهرت أعمالنا لهذه الدرجة خلال السنوات القليلة الماضية. كان لاري يشتري فاكهة وخضاراً غير عضوية السماد، وكان سعرها أرخص طبعاً، ويبيعها على أنها كذلك. غش الزبائن الذين كانوا يدفعون أسعاراً أعلى لأشياء يمكن شراءها بأسعار أرخص من أي مكان آخر. بدا... بدا ذلك رهيباً بالنسبة لي.»

«فطالبته إذاً بالتوقف.»

هزّت كيلي رأسها بالإيجاب. «ظننت أنه سيتوقف. ظننت أنه يحبني... ويحب سوكي... بما يكفي ليتغير.» اكتشفت أن دايفيد كان يشدها نحوه. لم يكن عليها تركه يفعل ذلك. لكن دفئه كان

www.alkottob.com

مريحاً جداً. أطلقت تنهيدة مرتجفة. «بدلاً من أن يتوقف باع المتاجر. على ما يبدو، كان يُفكر في تلك في كل الأحوال... كان إنذاري النهائي هو الذي قصم ظهر البعير. أظن أنني ضيقت عليه نسبة الربح عندما طلبت منه التوقف.» ارتشفت الشاي الباقي وتابعت: «لقد باعها حتى دون إعلامي، ثم... انتقل للعيش بمفرده.» ضحكت، لكنها لم تبدُ ضحكة. «لقد ذهب إلى لوس انجلوس، استثمر كل ماله في الهواتف الخليوية. سوف يصبح مليونيراً قبل أن يفرغ من هذا العمل.»

قال دايفيد: «يبدو أنك سعيدة لتخلصك منه.»

أجل. لكن هل يجنبها الاعتراف بخطئها الوقوع في الخطأ نفسه مرة أخرى؟ مع النوع نفسه من الرجال؟ طبعاً لم تكن حمقاء لهذه الدرجة. خرجت الكلمات من فمها بسرعة وسعادة بينما عدّلت جلستها وانسحبت من قربه: «أظن أنه أمرٌ حسن أن أعلم أنه باستطاعتي القيام بالعمل بمفردي... وقد بدأت أتمتع بحريتي. إنه لأمر رائع أن يكون الانسان قادراً على اتخاذ قرار من دون أن يكون مجبراً على الحصول على موافقة لزوج مجرد تقرير الأمر والقيام به... هذا رائع! هذا شعور جميل جداً!»

«أجل، يجب أن يكون كذلك.» قال دايفيد وقد خفت حدة صوته إذا كانا سيتعمقان في حياتها الخاصة، إذاً سيكون على دايفيد أن يتكلم عن حياته الخاصة أيضاً.

«وأنت، يا دايفيد؟ ألم تتزوج أبداً؟»

«كلا.» قال دايفيد، وكانت الكلمة مثل نقطة في نهاية السطر. نظر إلى ساعته وقال: «تخطت العاشرة.»

فهمت كيلي قصده وقالت: «أجل، يجب أن أعود إلى المنزل. إذا كان السكوت دليل الاجهاد، فقد استمر هذا السكوت طول

فترة العودة إلى المنزل. توقعت كيلي منه أن يوصلها فقط إلى المنزل، لكنه رافقها حتى الباب. «شكراً لأنك طهوت لي.» قالت بخجل. أرادت الدخول إلى المنزل إلاّ أن نظراته أبقتها في مكانها.

ارتفعت يده ببطء والتفت أصابعه الدافئة حول عنقها. «هذا من دواعي سروري.» تمتم من دون أن يبتسم.

لم يبدُ سعيداً. بدا غاضباً تقريباً، أو ربما مرتبكاً كما لو أن الأمر انتهى بطريقة غير التي أرادها. لكنه سحبها نحوه بقوة خفيفة لا تقاوم، ووجدت نفسها بين ذراعيه مع أنها قالت لا.

«لا؟» ابتسم أخيراً وعانقها، عناق وداع خفيف، دافىء لم يدم طويلاً. «أوه.» قد تكون الكلمة سخرت منها، أو منه أو ربما من الاثنين معاً. «ثم نامي جيداً.» قال وفي صوته قليلٌ من العاطفة. ضغط على كتفيها ثم تركها. وذهب، خطا بسرعة وخفة، قبل أن تتمكن من التفكير كيف ترد عليه.

الولد الثالث في الصف كان قصير القامة لدرجة أن عينيه كادتا لا تكادان أن تظهرا فوق طاولة الخدمة. «هذا لك، يا عزيزي.» قالت كيلي وهي تضع زبدية من حساء الخضار ولحم البقر على صينيته. عادة، لم تكن بيرتي لتسمح لها بالمساعدة على تقديم الوجبات. لكن يوم الجمعة هذا، آخر يوم في أسبوعها الأول، كانت إحدى عاملات المطبخ تعاني من رشح قوي مما اضطرها للتغيّب، مما أحدث فراغاً في مكانها، واضطرت كيلي لملئه.

«لا ليس هذا!» أعاد الولد الحساء من على صينيته وقال: «توجد شعرة في داخله!»

www.alkottob.com

استعانت كيلي الزبدية وتحققت من الحساء. ولم تر إلا قطعاً من لحم البقر الدهني، الشعير وبضع حبات من الجزر. «لا أرى أية شعرة.»

«لن آكله!» ضحك ضحكة صبيانية ودفع صديقه بمرفقه الأطول منه الذي كان أيضاً يتلوى بفرح. «إنه مقرف!»

اقتربت لورا كورتيل وهمست: «إنه يفعل هذا كل يوم! لقد ادعى البارحة وجود ذبابة. فقط اعطه واحداً آخر.»

أخفت كيلي ابتسامتها وأعطته واحداً جديداً. «ما رأيك بهذا؟»

وعلى ما يبدو استغنى هذا الولد عن طلبه. لأن السيد القصير والمتطلب مرّر صينيته نحو السيدة هيغينز التي كانت تقدم الحلوى هذا اليوم.

كانت هذه الحلوى من صنع كيلي. كانت قد طلبت من بيرتي هيغينز البارحة السماح لها بتحضير كعك صغير من اليقطين والزبيب وأخذت موافقتها. كان الأولاد يحصلون على قطعتين من الكعك مع حصة جيدة من زبدة التفاح، بدلاً من الكعك المحلى المعتاد مع لفائف الخبز الأبيض بالزبدة.

ألياف وڤيتامينات أكثر، دهون أقل، هنأت كيلي نفسها وهي تراقب الطاهية وهي تضع كعكتين في كل صحن.

سألت الفتاة التي قُدّم لها الطعام: «ما هذا؟»

قالت السيدة هيغينز بعبوس: «تناوليه، إنه مفيد لك.»

جفّت الفتاة أنفها وقلبت كيلي عينيها بيأس. ألم تكن السيدة هيغينز تعلم أن إخبار الأولاد بأن شيئاً مفيداً لهم هو كقبلة الموت؟ لم تكن المرة الأولى التي تتمنى فيها كيلي لو سُمِح لها بتقديم كعكاتها بنفسها. يجب تقديم الطعام الغريب بحماس واقناع إذا أردنا أن يتقبله الأولاد.

قدّمت كيلي زبدية من الحساء، ثم واحدة أخرى، ثم توقفت عن العدّ. أكدت لنفسها أن الأولاد سوف يحبون كعكاتها في كل الأحوال. أي ولد بامكانه مقاومة القرفة، اليقطين والزبيب حتى لو كانت الوصفة قليلة الدسم ومصنوعة من زُلال البيض واللبن بدلاً من صفار البيض؟ سوف ترى بيرتي هيغينز قريباً أن أفكارها لم تكن مجنونة إلى هذه الدرجة.

لكن في نهاية فترة الغداء، رافقت السيدة هيغينز كيلي إلى برميل النفايات حيث يرمى الطعام الذي لم يؤكل. كان البرميل مليئاً بالكعك، ومعظمها لم يُمس، وأكثرها أخذت منها قضمة واحدة فقط. «يبدو أنها كانت ذات حجم كبير!» قالت المرأة لها بابتسامة ساخرة.

«لا أفهم ذلك!» تمتمت كيلي. لقد جربت الوصفة في المنزل، ثم تحققت من مقاديرها عندما وزنتها على أساس صنع كمية كبيرة. «هل بقي لدينا بعض منها؟» كانت رئيسة الطهاة قد منعت التذوق خلال فترة الطهي لأسباب صحيّة. لذلك لم تتذوق كيلي أيّة كعكة.

«كلا. فبعد أن رأيت هذا، رميت الباقي.» قالت السيدة هيغينز مبتسمة. «تابعي تقديم طعام كهذا لهم وسوف نضطر لاحضار حيوانات لأكل البقايا.» قالت وتابعت سيرها نحو جلاّية الصحون.

«هذا غير منطقي.» تمتمت كيلي وهي تتبعها. هل جعلت كيلي الأولاد ينفرون من الكعك بسبب تصرفها بينما كانت تقدمه لهم؟

كانت ما تزال حائرة في اليوم التالي عندما توقفت هي رسوكي قرب متجر البقالة بعد العمل. «أخبريني مرة ثانية ماذا

www.alkottob.com

قال الأولاد عن الكعك؟» أمرتها بينما كانتا تختاران عربة تبضع.

«آه، يا أمي!» قالت سوكي وهي تئن. «لقد قلت لك بأنهم قالوا إن طعمها كان غريباً. رمت موللي كعكاتها، ثم فعل الأولاد الآخرون مثلها. هذا كلّ ما أتذكره.»

كان مع سوكي الكعك البني اللون كالمعتاد ولم تلاحظ أن الكعك المُقدم هو صنع أمها. «حسناً.» قالت كيلي باستسلام إذا كانت أول محاولة لها فاشلة. سوف تختار وصفتها التالية بحذر وسوف تعمل على تقديمها بنفسها. راجعت لائحتها واختارت غرضاً بامكان سوكي الوصول إليه على الرف. «أسرعي واحضري زيت الزيتون... أفضل نوع، أحضري غالوناً. هل تتذكرين النوع الذي نستعمله؟»

«أوه، أمي!» انطلقت بحركة بطيئة، مثل مشية موللي، ثم تحوّلت مشيتها بسرعة إلى نوع من القفز. ابتسمت كيلي لنفسها ثم قفزت عندما لامست يد أحدهم كتفها.

«تشترين طعاماً حقيقياً؟» وقف دايفيد بجانبها وابتسامته أقرب منها إلى السخرية.

أحسّت بالشعور نفسه الذي تشعر به عندما تستيقظ وترى الشمس ساطعة. «طبعاً أفعل ذلك.» بدت ابتسامتها عريضة جداً، لكنها لم تستطع تعديلها. «هناك العديد من المنتوجات التي لا أستطيع تقديمها بسعر منافس. ليس غداً، على كل حال.» أضافت بتلهف. ألقت نظرة على عربته وقالت: «وأنت، هل تنوي أن تعيش كما أنت وتموت شاباً؟ رقائق البطاطا؟ حليب كامل الدسم؟»

«طعمه أطيب.» قال دايفيد مدافعاً عن نفسه.

«كريما؟ زبدة؟ هوت دوغ وبيتزا مجلدة؟» رمقته كيلي بنظرة إشفاق.

أجابها دايفيد بكل وضوح: «نظام غذائي لأميركي عازب.» هذا ما كان عليه تماماً. بدا ليكلي وحيداً وبصحة ليست حسنة، برغم أنها تشك بأن دايفيد يرى الأمور على هذا النحو. مع ذلك، كان باستطاعتها تعليمه كيفية تحضير بيتزا في المنزل، مليئة بالخضار الطازجة، ومُزينة بالجبنة القليلة الدسم، وقد تعجبه كثيراً. قاومت الاندفاع لدعوته إلى منزلها لتحضير واحدة.

«ها هو ال...» توقفت سوكي قربهما، وغالون الزيت يتأرجح في يدها. «دايفيد!» صرخت بمتعة.

«مرحباً سوكي.» قال دايفيد بحنانه المعهود. «كيف حال الخدع؟»

«أوه... لا بأس.» قالت سوكي، ثم سكتت بسبب نظراته التي كانت تتفحصها بدقة. «إلى ماذا نحن بحاجة أيضاً؟» أضافت وهي تستدير نحو كيلي.

«أنتما الاثنتان خجولتان.» قال لهما دايفيد وهو يراقبهما بتمعن.

أجابت كيلي مدافعة عن ابنتها: «فقط حتى تتعرف إلينا أكثر.»

تركزت عيناه الرماديتان على عينيها وقال ببساطة: «أود ذلك، كنت أنوي الاتصال بك، ما رأيك بموعد؟»

«موعد؟» ردّدت كيلي بعده بطريقة صبيانية.

«موعد.» قال دايفيد. «سوف ألمّع حذائي وأرتدي سترة. بامكانك... لا، لا تفعلي شيئاً بشعرك. إنه رائع كما هو. بامكانك ارتداء البدلة التي ارتديتها يوم قمت بالجولة على مطبخ المدرسة.»

www.alkottob.com

أرادت ذلك. صعقها ذلك فجأة وكأن علب الحبوب المكدّسة إلى جانبها قد وقعت عليها. لم تستطع التفكير بأي شيء تفعله بدلاً من القبول بدعوة دايفيد ويتيكر. مع أنها كانت ضحكت بصوت عالٍ لو أن أحداً ما أخبرها في الأسبوع الفائت أنها سوف تخرج قريباً مع أي رجل حيّ. أجمل الأشياء في الحياة هي تلك التي تحدث لنا فجأة وليست التي نبحث عنها!

مع ذلك، حتى لو أنها أرادت لقاء دايفيد، فهذا لا يعني أن ذلك أمر صائب. لقد علمتها التجربة المُرّة أن بامكانها الاهتمام برجل غير أمين. لكن الحب تجاه هذا النوع من الرجال ليس شعوراً يمكن بناء حياة على أساسه.

لم تكن هناك وسيلة لاخباره بأنها لا تستطيع الخروج معه لأنها اكتشفت أن مبادئه مشكوك فيها. أرادت أن تجد عذراً. أو ربما أي رفض مباشر كان أكثر عقلانية من أي عذر كان. «لا أستطيع، يا دايفيد.»

اختفت ابتسامته، وارتفع ذقنه وكأنه يواجه تهديداً. «لا تستطيعين؟» سألها بغضب. «أو لا تريدين؟»

هزّت كيلي كتفيها. «أظن... الاثنين معاً...» ابتسمت من دون فرح. «أرجوك، يا دايفيد، ألا يمكننا البقاء مجرد صديقين؟»

ما أن خرجت الكلمات من فمها حتى عرفت أنها كانت غلطة. بردت تعابير وجه دايفيد واضمحلت. «ليس هذا ما كنت أفكر به بالتحديد.» قال بتوتر. وكان واضحاً أنه لم يكن هذا ما أراده. قست عظام فكّه وقال: «أنا آسف، لكوني مصدر ازعاج.» دفع عربته وابتعد.

راقبته كيلي وهو يبتعد وأسنانها تعض بقوة على شفتها السفلى. لقد قامت بكل شيء بطريقة خاطئة. قالت كل شيء

بطريقة خاطئة. لكن كيف كان لها أن تقولها بطريقة صحيحة؟

دارت سوكي في نهاية الممرّ بينما تقدم منها دايفيد، وابتسمت له من دون تحفظ. عندما مرّ المهندس قربها، لامس رأسها بطرف إصبعه كوداع. دار قرب الزاوية بينما الأم والابنة تراقبانه.

لأول مرة منذ عدة أشهر، شعرت كيلي وكأنها تريد البكاء في العلن. رفت عيناها بشدة من جراء اضطرابها واستدارت لتحملق بثلاثة رفوف من الحبوب الكثيرة السكر.

www.rewity.com
عيون المها
www.alkottob.com

الفصل الثاني عشر

وقعت العاملات الثلاث في قاعة الطعام، صباح الاثنين، مرضى، بالإضافة إلى أن البديلة التي طلبتها بيرتي هيفنز اصيبت بالبرد. «لم أرَ الوضع بهذا السوء من قبل.» أقرت الطاهية وهي تطلع كيلي على الكارثة. «لكن ذلك لم يكن ليحصل في يوم أفضل. سوف يلعب تلاميذ الصف الخامس في نيو بدفورد. هذا يوفر علينا تقديم تسعين وجبة.»

«سنتدبر الأمر.» قالت كيلي، مع أنها لم تكن تستطيع تصور طريقة لذلك.

لكنّ الحال اشتد سوءاً. ففي العاشرة، بعث السيد تانيل برسالة، يقول فيها: إن الآنسة سوسا المشرفة على رحلة الصفّ الخامس، قد ذهبت إلى منزلها بسبب ارتفاع حرارتها. بما أن معلمة ثانية من المسؤولات عن الرحلة كانت أيضاً مريضة، فقد ألغيت الرحلة.

«تسعون وجبة إضافية!» قالت بيرتي بتوتر. «لا يمكننا القيام بذلك!»

لكنهما قامتا بذلك بطريقة ما. وهما تنتقلان من تقطيع الخس والبندورة بسرعة هائلة، إلى غلي الهوت دوغ ثم إلى الحبوب المطبوخة، وإلى تحضير الحلوى بزبدة الفستق ثم إلى فرن الخبز، نجحت كيلي ورئيسة الطهاة بتحضير طعام لثلاثماية شخص.

ثم قدّمتاه لهم، من تلاميذ الصفّ الأول، الذين يبدو أن معظمهم

بقوا في منازلهم بسبب المرض، حتى الصف الخامس الذين ما زالوا يتذمرون بسبب رحلتهم التي ألغيت. ومع كل هذا، تقدم لهم! قالت كيلي لنفسها بينما كانت تضع قطعة تلو الأخرى داخل الخبز الأبيض. شعرت بأنها شريرة وهي تقدم تلك القطع المستديرة ذات اللون الزهري... الرمادي المضرة بالصحة إلى أطفال أبرياء.

لم يكن الوقت القصير ما بين خروج دفعة من التلاميذ ودخول أخرى إلى القاعة، ليسمح لها بالمزيد من التأمل بالمبادىء الأخلاقية. «يا كيلي، نحن بحاجة إلى مزيد من الحلوى!» صرخت بيرتي بينما وضعت وعاء ثانياً من الفاصولياء في مكانه على طاولة الخدمة. «ومرطبان آخر من الخردل من غرفة المؤونة. لو سمحت.» أضافت قائلة.

لو سمحت؟ كانت كيلي قد دخلت إلى غرفة المؤونة قبل أن تصعقها الكلمة. بيرتي هيفنز تقول لو سمحت لأذّ أعدائها؟ أخذت الخردل وهي تبتسم وعادت إلى مكانها. ربما حلّت البركة بعد هذه الكارثة.

لكن صداقتهما التي نمت وهما تنقذان الوضع، اضمحلت مع انتهاء الأزمة. بقيت بيرتي شبه خرساء بينما كانتا تنظفان المطبخ. أو ربما كانت قد بدأت تصاب بالوشح هي أيضاً. فكرت كيلي محاولة الظهور بمظهر المُحبة عندما حملقت بها المرأة وهي ترسم على وجهها ابتسامة.

مهما كان سبب ارتداد بيرتي، فقد بقيت على هذه الحالة حتى جلست كيلي يديها ونظرت حولها قائلة: «أظنّ أننا انتهينا، إذاً.» ثم حلّت ربطة مئزرها. «يجب أن أحل مكان مساعدتي في المتجر.»

www.alkottob.com

«أوه...» بدت الطاهية على وشك أن تتكلم ثم وافقتها الرأي. أسرعت كيلي خارجة ملوّحة بيدها.

بعد ذلك، خلال فترة بعد الظهر في المتجر، رفعت كيلي نظرها عن قائمة الفيتامينات لتجد السيدة هيغينز تقف أمامها. رفّت كيلي بعينيها. لم تكن قد رأتها من قبل من دون المئزر أو الثياب الخاصة بالعمل. كان الفستان الذي ترتديه يعكس زرقة عينيها ويضيف ظلاً زهرياً ناعماً على بشرتها. أو ربما كان ذلك اللون الزهري على وجنتيها بسبب شيء آخر.

تنحنحت الطاهية وقالت: «مرحباً.» ثم أبعدت نظرها. نظرت حول الغرفة. «هذا هو إذاً متجرك.»

«نعم.» قالت كيلي. «هل بامكاني أخذك بجولة على المتجر؟» مهما كان السبب الذي دفع بيرتي للقدوم، فقد كانت فرصة لا تفوّت.

«لا. لا تزعجي نفسك.» أجابت بيرتي بسرعة. «جئت لأقول لك...» احمرت وجنتاها مما جعلها تبدو كحلوى منتفخة. «جئت لأقول لك إنني وضعت الملح في خليط الكعك خاصتك في الأسبوع الماضي.» قالت بسرعة وتابعت: «اضفت ثمانية أكواب عندما ذهبت إلى غرفة المؤونة لاحضار الفانيليا.»

«آه...» قالت كيلي بشهيق استفهامي. لا عجب أن الأولاد لم يلمسوا الكعك! اتسعت عيناها من الاستغراب. لماذا كل هذا الخبث...؟

«ما فعلته كان عملاً غير نزيه.» قالت بيرتي بتعاسة، وكأنها تردّد أفكارها. «لا أعلم لماذا قمت بذلك.»

«أظن أنني أعلم لماذا.» قالت كيلي بهدوء. «إنه من الصعب تقاسم مسؤولية مطبخ. خاصة مع شخص يصل فجأة، معتبراً نفسه على معرفة بكل شيء.» سخرت ابتسامتها منها. «لم تحب أمي أن يتدخل أحدٌ ما في مطبخها. حتى أنه من الصعب عليها تقبل مساعدتي عندما أزورها في المركز الصحي حيث تعمل طاهية.»

قالت بيرتي: «ظننت أنها توفيت على أثر نوبة قلبية.»

«أوه، لا، لقد تعافت.» قالت كيلي. «لكن هذا حدث عندما كان عليها تغيير كل طريقتها في الطهي والأكل. لقد كنا نعاني سوية من زيادة كبيرة في الوزن. تحولنا إلى... الطعام النباتي للتخفيف من الوزن.»

«كنت تعانين من الوزن الزائد؟» تعجبت بيرتي.

«طبعاً كنت كذلك.» أكدت لها كيلي. «أظنّ أن هذا هو السبب الذي يدفعني للدفاع عن الأطعمة الصحية. أنا أدري بنتائج تناول الطعام المليء بالكوليستيرول والسعرات الحرارية. وهو ليس بالأمر المبهج.» التقت عيناها بعيني بيرتي وجفلت كيلي. يا إلهي، لو أخذت بيرتي ملاحظاتها على محمل شخصي... لكن قبل أن تتمكن من ايجاد عذر ما، دخل أليوت فريلينغ إلى المتجر.

ما أن رأى الطاهية، حتى تسمّر الصحافي في مكانه وخفض نقنه وكأنه مالك حزين ليلي يبحث عن ذيل هرة في كومة من الأعشاب. «بيرتا! لم أرك منذ زمن بعيد.» تحوّل نظره إلى كيلي وابتسم لها. «لكن يبدو أنني وصلت في الوقت المناسب.» ثم أضاف: «لقد مررت بك لأسأل كيف تسير حملتك للتغيير؟»

www.alkottob.com

«على ما يرام.» قالت كيلي. وكأنها طلبت ذلك! ظهور صحافي في وسط مباحثات سلام حساسة جداً!

استدار الصحافي نحو بيرتي. «وأنت يا بيرتا. تبدين في...» تردّد، ثم ركّز على كلمته التالية باطراء لاذع: «... بصحة مزدهرة. ما رأيك بهذا البرنامج؟»

استقامت بيرتي هيغينز بطولها البالغ مئة واثنين وخمسين سنتيمتراً ورمقته بنظرة ملجمة. «أنا أحتفظ بآرائي للذين يقدرونها.» واستطردت: «بالطبع لن أبوح بها لعصا قديمة جافة ... خاصة عندما تكون هذه العصا رجلاً أبله لدرجة أنه يعتقد أننا لسنا بحاجة لثانوية جديدة في هذه المنطقة.» هزّت إصبعها في وجهه عندما بدأ بالكلام. «أوه، لقد قرأت إفتتاحيتك الأسبوع الماضي، وعليك أن تخجل من نفسك، يا أليوت! بامكانك الاعتقاد بأنك ذكي، لكن لو كان عندك الذكاء لتتزوج وتنجب أولاداً، لكنت أدركت أن تلك المقالة، إسفاف لا يدل على النضج الفكري! كنت أودّ الاتصال بك وإخبارك ذلك.» وبهذا، خرجت السيدة هيغينز بطريقة ملوكية من المتجر.

عضّت كيلي على شفتها لتمنع نفسها من الضحك. يجب أن ترفع القبعة احتراماً لبيرتي، الرابحة الوحيدة لهذه المواجهة. نفض فريلينغ نفسه بطريقة ذكّرت كيلي بطائر يعيد ترتيب ريشه المنفوش، ثم استدار نحوها بابتسامة المُحرج. «إذاً...» قال متمتماً.

«حسناً، لقد استحققت ذلك.» قالت له كيلي بعبوس. «إن ما قلته لها كان بذيئاً جداً.»

«هل كان كذلك؟» رفع كتفيه، ثم هزّ رأسه. «أظن أنه كان كذلك

لا أعلم لماذا لا أستطيع البقاء صامتاً عندما أكون معها.» استدار ليحملق ببيرتا التي تلاشت بعيداً. «كانت أجمل فتاة في صفنا الثانوي...» هزّ كتفيه وبحث في جيبه عن دفتر ملاحظاته الحاضر أبداً، واستدار مجدداً نحو كيلي. «إذاً.» قال بصوت اختفت منه كل آثار التلهف. «ما هي آخر الأخبار؟»

وصلت كيلي في الصباح التالي إلى قاعة الطعام غير متأكدة إذا كانت ستواجه الحرب أم السلام. كانت بيرتي هناك كالعادة، تحتسي قهوتها المعهودة. سكبت كيلي كوباً لنفسها وسحبت كرسياً إلى جانبها.

«هل حصل أليوت على قصته؟» قالت بيرتي بغضب قبل أن يتسنى لكيلي إيجاد موضوع للحديث.

«لقد سأل بضعة أسئلة.» قالت كيلي بحذر. «لست أعلم إذا كان ينوي الكتابة عنا هذا الأسبوع.»

استنشقت بيرتي الهواء وقالت: «ربما لن يفعل. إنه يفضل الكتابة عن المتاعب.»

هل هذا يعني أنه لا توجد متاعب هنا؟ أملت كيلي ذلك. «لقد كان حقاً قاسياً معك.» قالت وهي تتساءل عن الحكمة في مناقشة هذا الموضوع.

أشرق وجه بيرتي بابتسامة، مُعطية لكيلي لمحة عن الفتاة التي تذكرها أليوت. «لم يغفر لي أبداً عدم زواجي منه، إنه يصبح أكثر كبرياء وصلابة مع الأيام.»

كانت كيلي تختنق بقهوتها. «لقد عرض عليك الزواج؟»

هزّت الطاهية رأسها بالإيجاب. «لم يكن ذلك الزواج لينجح أبداً. كان أذكى تلميذ في صفنا. وأنا لو استطعت لما فتحت

www.alkottob.com

يوماً كتاباً... كنت أتلهى كثيراً بالرقص والخروج مع الأصدقاء. لذلك تزوجت رالف هيفينز، الذي لم يكن يحب العلم أكثر مني، ولم أندم أبداً. لدي خمسة أولاد وحفيدان لاثبات ذلك، ولا أتذكر أن أي جدال دار بيننا استمر حتى المساء.» أدارت الخاتم الذهبي الذي كان يطوق اصبعها الرابع. «لقد توفي رالف منذ سنتين.» قالت والدموع تترقرق في عينيها. أنهت قهوتها وخبطت الكوب بقوة على الطاولة. «لو جننت وتزوجت ذلك الأليوت، لكنا تشاجرنا كل أيام الأسبوع من يوم الاثنين حتى يوم الأحد.»

«أنا أجده نوعاً ما... لطيفاً.» قالت كيلي مجازفة.

ضحكت بيرتي بخفة وقالت: «أوه، بامكانه أن يكون كذلك لو كان هناك من يساعده! إنه بحاجة لمن يجابهه عندما يتكلم عن نفسه بفخر عظيم. كان دائماً هكذا في المدرسة. محلقاً في الأعالي نوعاً ما ومهتماً بنفسه.» ملّست مئزرها وقلبت فمها إلى تحت. «مع ذلك، ما قلته كان شريراً.» تنهدت وتابعت: «أنا أقول دائماً إن وزني يزيد عشرة ارطال في كل مرة أحمل فيها، لكن في الحقيقة أن الطعام هو سبب ذلك. ماذا عن أمك؟ إذا كانت تعمل كطاهية، ألم تكتسب مجدداً الوزن الذي فقدته؟»

هزّت كيلي رأسها. «إنه لمن المستحيل تقريباً أن يكسب المرء الوزن عندما يتبع نظام حمية أساسه الطعام النباتي. الحبوب والأرز والخضار تشعرك بالاكتفاء، لكنها لا تحتوي على وحدات حرارية، تزيدك وزناً.»

«هكذا إذاً؟ ما على المرء أن يفعل لتخفيف الوزن؟» قالت بيرتي وهي تقف على قدميها.

«لقد نجح الأمر بالنسبة لنا.» قالت كيلي ببساطة. «اضافة إلى

السير على الاقدام مسافة ميلين أو ثلاثة أميال في اليوم، إن كان الطقس صحواً أم ممطراً.» أنهت قهوتها ووقفت. «السرّ يكمن في عدم التفكير بخسارة الوزن.» أسرت لها. «تركزين فقط على معاملة نفسك بطريقة صحيحة... تطهين الطعام الصحي، أشهى أطعمة يمكنك تحضيرها. وتركزين على مدى روعة الخروج من المنزل واستعمال الجسم. الباقي يأتي طبيعياً.»

بدت بيرتي مرتابة. «لكن كم من الوقت يستغرق ذلك؟»

«لا تقلقي بشأن ذلك.» قالت كيلي باصرار. «تمتعي فقط باليوم الذي تعيشين فيه، فقط وقبل أن تدري، لن يعود ذلك الأمر مهماً.»

صرفت بيرتي الموضوع بشخرة، ثم استدارت لتنظر إلى ساعة الحائط. «حسناً، أظن أن الأمور لن تكون صعبة اليوم. اخبرتني لورا أنها ستأتي اليوم، وقد طلبت من ابنتي إميلي أن تأتي لمساعدتنا.»

انقضى الصباح بسهولة بوجود هذه التعزيزات، مع أن إميلي اضطرت لاحضار ابنتها البالغة من العمر تسعة أشهر. لأن الجليسة كانت قد أصيبت برشح. لكن الصغيرة نامت في عربتها التي وضعت في غرفة المؤونة على الرغم من قرقعة الأوعية في المطبخ الملاصق للغرفة.

مضى النهار بسلام بالنسبة لكيلي أيضاً. في منتصف اليوم، طلبت منها بيرتي أن تجهز وجبات يومي الخميس والجمعة. ومن الآن فصاعداً سوف تكون مسؤولة عن الحلوى، إذا كانت تظن أن بامكانها القيام بذلك. «طبعاً بامكاني ذلك!» أكدت لها كيلي وعيناها تلمعان. إذا استمرت بيرتي في معاملتها هكذا فسوف تتمكن، دون جدال من اقناع التلاميذ بأكلاتها الجديدة.

www.alkottob.com

ما أن دخلت أول دفعة من الأولاد للحصول على طعامهم حتى مدّ أليوت أنفه من الباب الخلفي وصرخ لبيرتي التي كانت تقف في مكانها وراء طاولة الخدمة.

«جئت تبحث عن المتاعب، أليس كذلك؟» عبست بيرتي في وجهه ثم اتجهت نحو غرفة المؤونة عندما ارتفع صوت بكاء طفل من الغرفة الأخرى. «لا، يا إميلي، أنا بحاجة إليك.» أضافت فيما تركت والدة الطفلة مكانها أمام وعاء البطاطا المهروسة. أدارت الطاهية رأسها نحو أليوت، وقالت له: «إذا أردت البقاء هنا، فكن مفيداً إذاً.» أمرته. «وأعتنِ بالطفلة.»

راقبت كيلي الصحافي وقد ظهرت على وجهه معالم الذعر. ثم استدارت لتجد السيد قصير ومتطلباً يعلو وينخفض على أطراف أصابعه، باحثاً عن شيء خطأ في طعام اليوم.

لم يتسن لها أن تنظر مرة ثانية حتى انتهى تقديم الطعام للدفعة الأولى من التلاميذ. عندما نظرت، رأت كيلي الصحافي يتمشى في المطبخ حاضناً إلى كتفه طفلة سعيدة. كانت على وجه أليوت ملامح الكبرياء المجروحة... كما لو أنه أول من اكتشف أن الأطفال يحبون الحركة الإيقاعية وحرارة الجسد.

في المرة التالية التي تحققت فيها كيلي، وجدت أليوت يبدو مرعوباً أكثر منه فخوراً بينما كانت بيرتي تمسح بقعة من على قميصه حيث كانت الطفلة قد تقيأت. نضدت كيلي الأوعية الفارغة وهي تخفي ضحكتها. ربما ما يزال هناك أمل بالنسبة لأليوت.

لم تكن آمال كيلي بنسيان دايفيد ومتابعة حياتها سهلة التحقيق. لم تكن قد سمعت أية كلمة من المهندس منذ نقاشهما في متجر البقالة.

خلافاً لذلك، اكتشفت أنه لا يوجد أحدٌ آخر لتتصل به. لم يعد يهم إذا كانت ما تزال تظن بأن رفضها الخروج معه كان في محلّه. مرّ يوم، ثم يومان ووجدت نفسها تهرع كلما رن جرس الهاتف، وتنظر بابتسامة أمل إلى كل رجل يمرّ أمام متجرها علّه يكون دايفيد. رفعت سماعة الهاتف في الليلة التالية وبدأت بطلب الرقم. لقد قالت إنها تود أن يبقيا صديقين. والأصدقاء يتصلون ببعضهم البعض، أليس كذلك؟ إلاّ أنها أعادت السماعة إلى مكانها من جديد. قد لا يودّ دايفيد سماع أخبارها. وكان غيابه عن حياتها خير دليل على ذلك.

عندما وصلتها أخيراً أخبارٌ عن دايفيد، كانت من مصدر غير متوقع. مرّ السيد تاتيل بمطبخ المدرسة في «جولة استطلاع قصيرة.» اسمّ أطلقه المدير على غاراته في منتصف النهار على الثلاجات. اعترف لكيلي بينما كان يمضغ بصوت مسموع قطعة من البيتزا الباردة بالخضار التي قُدمت في اليوم السابق: «ليست سيئة أبداً، مع أنني أفضل البيتزا مع الكثير من الجبنة.» أخذ قضمة أخرى، بلعها وأضاف: «وصديقك ويتيكر يفضلها هكذا أيضاً. لقد شاهدته في مطعم ماريو الليلة الماضية. أخذ معه إلى المنزل أربعاً من الصنف الممتاز.»

«يقيم حفلة.» أضافت كيلي بابتسامة تخفي طعنة ألم.

تناول تاتيل آخر قطعة من طعامه وتابع: «يقول إنه يشعر بأنه أصيب بالأنفلونزا وسيشتري أطعمة جاهزة حتى لا يضطر للطهي.» عاد مجدداً نحو البراد. «هل بقي أي شيء من حلوى التفاح والخوخ التي قدمتنها البارحة أيتها الفتيات؟»

كان دايفيد قد قال إن هدفه ليس الصداقة، لكن الصديق عند وقت الضيق، ذكرت كيلي نفسها بعد مضي عدّة ساعات. طرقت

www.alkottob.com

بابه وهي تحمل كيساً يحتوي على زجاجة ڤيتامين، ج، شاي مصنوع من الأعشاب وهو مفيد للحنجرة الملتهبة وقليل من اللبن المثلج. لا رد. ولم تحصل على رد أيضاً عندما طرقت بابه الخلفي، فتحت الباب أخيراً وانحنت إلى الداخل. «دايڤيد؟»

سمعت صوت موسيقى آتياً من مكان ما، بدت وكأنها موسيقى الساكسوفون. إذاً لا بدّ أنه مستيقظ. «دايڤيد؟» نادت مرة أخرى وهي تصعد الدرجات.

وجدته نائماً على السرير، وعلى صدره العاري دفتر ملاحظات صغير. وفي إحدى يديه قلم. ووجدت بيتزا كاملة في علبتها على الطاولة قرب السرير... لا بدّ أنه طعام العشاء ولم يستطع تذوقه، افترضت.

قرب العلبة كان يوجد إطار فضي فيه صورة فتاة ضاحكة. فتاة من كاليفورنيا، فكرت كيلي، وقد لاحظت الشعر المصبوغ ولباس البحر الإباحي الذي كانت ترتديه، إلاّ أنها بدت شابة جداً بالنسبة لدايڤيد. ربما كان تذكاراً من أيام الجامعة؟ شاهدت في آخر الغرفة الواسعة آلة التسجيل التي كانت مصدر صوت الموسيقى الذي سمعته. «دايڤيد.» قالت مجدداً وهي تجلس على طرف السرير.

لاحظت أن صدره يتصبب عرقاً ووجهه يلمع بسبب الحرارة. برغم أنه لم يحلق ذقنه منذ يوم أمس، برغم شعره المنكوش، فقد بدا جذاباً بصورة غير معقولة. ارتفعت رموشه إلى فوق ببطء عندما وضعت راحة يدها على جبينه. «كيلي... ماذا تفعلين هنا؟»

«أطمئن عليك.» قالت بحدة. «أين ميزان الحرارة خاصتك؟»

«لا أملك واحداً.» أمسكها من معصمها، شد يدها نحو خدّه، وأغلق عينيه من جديد وقال: «لا بدّ أنني أحلم...»

ترقرقت عيناها بالدموع على غير توقع وقالت بصوت ملؤه السعادة: «كلا.» تناولت ميزان الحرارة الذي أحضرته معها رفعت الغطاء عنه وهزته.

«يدك باردة.» تمتم دايڤيد بطريقة حالمة بينما وضعت له الميزان في فمه.

«إنك تشعر بذلك بسبب الحمى.» وضعت دفتر الملاحظات جانباً وسألته: «ماذا تكتب؟»

سحب الميزان من فمه وقال: «رسالة إلى الدار تعاوت دايلي. ما زال أليوت يضرب بحاجتنا إلى مدرسة جديدة عرض الحائط. وقد كتب ليلاند هاورد رسالة أخرى إلى المحرّر، يهاجم المشروع. على أحد ما أن يردّ عليهما ويجعل الناس ينصتون للجانب الآخر.»

أعادت كيلي الميزان مجدداً إلى شفتيه. «هل أكلت اليوم؟» عندما هزّ رأسه بالنفي، أخذت نفساً وقالت: «هذا ما توقعته. أبقِ هذا تحت لسانك حتى أعود.»

اكتشفت كيلي عندما عادت وبيدها زبدية من اللبن المثلج أن حرارته كانت مرتفعة. كان الأمر الإيجابي الوحيد، أنه أضعف من أن يقاوم إطعامها له. كانت قد أطعمته نصف اللبن قبل أن يفكر بالاعتراض. «ما هذا؟»

أعطته لقمة ثانية قبل أن تجيبه. «لبن مثلج ممزوج بالقشدة المخفوقة، الموز، القمح، العسل، وفاكهة الكيوي.»

تغيرت تعابير وجهه. «ألا يمكنني الحصول على القليل من لايس كريم؟»

www.alkottob.com

«وتفوت عليك هذا البروتين والڤيتامين ج والبوتاسيوم؟» قربت ملعقة أخرى مليئة باللبن نحو شفتيه. «ڤق بي، جسمك بحاجة لهذا.»

«ربما كان هذا ما يحتاج إليه جسمي، لكنه ليس ما يريده.» نظر إليها بعينين لامعتين من فوق الملعقة.

أظن أنني جنيت على نفسي، فكرت بينما احمرت وجنتاها. كان هناك شيء حميم جداً في اهتمامها به على هذه الصورة. لم يكن ذلك بسبب قربها منه مع أن تلك الفكرة كانت مسيطرة عليها. بالنسبة لها كان ذلك أشبه بارتباط عاطفي. بطريقة ما لقد أنت لتشعر بالامتلاك للشيء أو الشخص الذي تهتم به، بالطريقة نفسها التي تحمي بها مزروعاتها في حديقتها. بالتجاوب مع حاجاته اليومية، تكون قد قبلت أن تكون ولو جزءاً صغيراً من حياته وسعادته.

«آسف.» قال عندما لم ترد عليه. ضغي اللوم على الحمى.»

«طبعاً.» لكن فجأة أصبحا قريبين جداً. كان لديها دافع قويّ لتمرّر يدها على شعر صدره المجعد الأسود اللون. وضعت الزبدية بين يديه ووقفت. «من هي صديقتك؟» مازحته وهي تشير برأسها نحو الصورة. يحق للاصدقاء أن يكونوا فضوليين. أكدت لنفسها.

«إنها ابنتي.» تمتم وهو يأكل اللبن. «صن شاين.»

نسيت كيلي وضعها غير المبالي وقالت: «ابنتك! ظننت أنك لم تتزوج أبداً؟»

احمرت أذنا دايڤيد لتتناسب بلونهما وجنتيه المحرورتين.

«هذا صحيح.» قال ببرود، وهو يلتهم ملء ملعقة من اللبن. موضوع حساس جداً. «أوه...»

«إنها تعيش في كاليفورنيا مع أمها.» أضاف، والبرود في صوته أخبرها أن هذا الموضوع، أُقفل.

«أوه.» قالت كيلي محاولة خنق مئات الأسئلة. استدارت بعيداً عنه، لتمنحه الوقت لترتيب أفكاره. لكن من الذي رفض الزواج من الآخر؟ تساءلت. أو ربما رفض أحد الأبوين جعل العلاقة رسمية؟ ومن، بحق السماء اختار اسم صن شاين؟ لن تتجرأ أبداً على السؤال، وعلى ما يبدو فإن دايڤيد لن يتبرع بتقديم معلومات بخصوص هذا الموضوع. «ما الذي تسمعه؟» سألته بطريقة عشوائية، وهي تتمشى في الغرفة.

«بيل إيفانز. بعض المقطوعات القديمة...»

«أوه.» تمتمت وقد وقع نظرها على الطاولة الكبيرة، حيث كانت تصاميم المدرسة الجديدة مبعثرة وكأنه كان يدرسها. أحست بموجة من الحزن تنتابها. حاولت نسيان تلك التصاميم. لكن دايڤيد بالتأكيد لم يكن لينساها... والشاهد على ذلك مسودة الرسالة. أطلقت تنهيدة من بين أسنانها.

لماذا أقع الأمر يبدو مهماً؟ سألت نفسها. لست مسؤولة عن نزاهته. إذا كان فقط صديقاً، فليهتم هو بضميره. لكن مع ذلك، فقط اختفى التألق من يومها كما يختفي ضوء الشمس عندما تحجبه غمامة عابرة. استدارت وقالت: «يجب أن أسرع، يا دايڤيد. إنه وقت عملي في المتجر. لكنني تركت المزيد من هذا اللبن في ثلاجتك وهناك بعض الشاي المصنوع من الأعشاب على الطاولة. هل تظن أنك سوف تكون بخير؟» وتوقفت قرب سريره.

«إنني أشعر بالتحسن الآن.» أكد لها، برغم أن التحسن لا يبدو عليه، البتة. مدّ ذراعه ولامس يدها بأصابعه الساخنة. «شكراً لك.»

www.alkottob.com

«طبعاً... يا صديقي.» تراجعت نحو الباب وابتسمت له ابتسامة أخيرة، وغمرها شعورٌ من الألم. علِم ذلك أم لم يعلم، فقد كان بحاجة لمن يهتم به. الجميع بحاجة لذلك. لو لم تكن تخشى أن تصاب سوكي بالعدوى، لوضعته بكل بساطة في سيارتها ووضعته على أريكتها في المنزل حتى يشفى تنهدت. «انتبه لنفسك.» قالت بنعومة، وأسرعت بالخروج من الباب.

الفصل الثالث عشر

إذا ظنت كيلي أنها كانت تنهمك بالعمل من قبل، فهذا ليس شيئاً بالمقارنة مع برنامجها للاسبوع المقبل. لكن برغم أن أيامها كانت مليئة بالمتاعب إلا أنها اشبعت رغباتها.

أشرفت على الانتشار التدريجي للوجبات النباتية في المدرسة. قدموا خضار لزانيا يوم الجمعة، وفطيرة الفاصولياء يوم الأثنين. بدلاً من الاحجام عن الطعام، كان الأولاد يفرغون صحونهم. كانت كيلي تشك إذا كان واحد على عشرة من الأولاد يلاحظ أنهم يتمتعون بالطعام الخالي من اللحوم والقليل الدسم، وكان ذلك حسناً بالنسبة لها. لا ينبغي أن يكون الطعام الصحي دخيلاً، وعلى أي حال كل ذلك يجب أن يكون عادة بسيطة ونقية مثل التنفس.

عندما لا تطهو أو لا تعمل في المتجر، كانت توزع وقتها على البقاء مع سوكي والاهتمام بدايفيد. كل مساء، كانتا تتمشيان إلى بيت دايفيد، الذي كان يتعافى ببطء. انخفضت حرارته بعد ثلاثة أيام، لكنها تركته خائر القوى وعرضة لأوجاع الرأس المزعجة.

مع ذلك، فقد كانت رفقته مسلية. تعودا على الجلوس على شرفته الخلفية المطلة على النهر ومشاهدة الأرانب التي تأتي لترقص على المرج.

إذا كان دايفيد ما يزال يحتفظ ببعض النوايا، إلى جانب الصداقة، فقط احتفظ بها لنفسه، الأمر الذي اراح كيلي تماماً. بعد

www.alkottob.com

أن تحررت من الضغط في أن تكون أكثر مما باستطاعتها أن تكون بالنسبة له، لاحظت أن قلبها كان يقفز في كل مرة يقع نظرها على وجهه. وجدت نفسها تقدم له الهدايا... ريشة أبي زريق زرقاء اللون كانت قد وجدتها، مقالة من مجلة، قطعة من الحلوى بالجبنة من التي اعدتها للتلامذة... إلخ. في ذلك النهار.

«هل تظن أنك كنت غاضباً لدرجة الجنون بسبب افتتاحية يوم الثلاثاء. التي تهاجم مشروع المدرسة الجديدة؟» قالت يوم الأربعاء وهي تضحك. «كان عليك أن ترى بيرتي وهي تنهش أليوت! في الواقع لقد شدته من ربطة عنقه وهزته، كانت غاضبة جداً.»

«حسناً ما فعلت، ماذا قالت له؟»

«لقد...» تبخرت الكلمات من رأس كيلي للحظة، بينما نظر دايفيد إليها، ثم وجدت صوتها من جديد. «سألته لماذا لم يستطع القيام بشيء بناء في حياته، بدلاً من تحطيم الأشياء. سوف يبدأ أكبر أحفادها في السنة المقبلة الصفوف الثانوية، وتكاد تجن من نظام الدوامين.»

«يجب أن تشعر كذلك.» قال دايفيد موافقاً. «ماذا قال أليوت؟»

«ليس الكثير.» اعترفت كيلي. «لكنني أظن أنه استاء جداً. أظن أنه لطيف حقاً مع بيرتي، إذا أردت معرفة الحقيقة. كان يمر بنا تقريباً، يومياً، مختلقاً حججاً جميلة، واهية.»

«لن يفاجئني ذلك.» قال دايفيد، من دون أن يبتسم هذه المرة. «إنها أرملة مثالية.» مد يده نحو قبعة كيلي ثانية ونزعها عن رأسها. «أنت أيضاً كذلك.» أضاف بهدوء.

كانت صداقة دايفيد قد بدأت تعني الكثير لها... ولا تستطيع تركه يخاطر بها بهذه الطريقة. «إستهزىء بطول قامتي على رحبك، يا صاحبي!» قالت ممازحة تربت على كتفه وهي تمر من

جانبه. «سوكومز، الأفضل لنا أن نعود. لا أريد العودة إلى المنزل في الظلام.» عندما نظرت إلى الخلف. كان دايفيد ما يزال واقفاً على شرفته، يخبط قبعتها المنسية على فخذه. لوحت له، لكنه أخذ وقتاً طويلاً ليلوح لها بالمقابل.

اختار أليوت البقاء بعيداً عن مطبخ بيرتي، بعدما نال منها التعنيف الشديد. إلى أن عاود الظهور، بعد أكثر من أسبوع برفقة رجل غريب. «كنت أتساءل إذا كان بامكاننا تناول الغداء؟» سأل بيرتي وقد احمرت وجنتاه بفعل نظراتها الثابتة.

ألقت بيرتي نظرة شاملة على الصحافي وصديقه ثم رفعت كتفيها. «إذا لم يكن لديك شيء أفضل للقيام به.»

أخفت كيلي ابتسامة وهي تسترق السمع من دون خجل. لم يكن باستطاعة أليوت اختيار يوم أفضل لاسعاد بيرتي. فقد قُدمت وجبة كانت الطاهية قد ابتكرتها: بندورة مع الذرة والفاصولياء مع خبز الذرة، سلطة بخبز القمح الكامل مع بذور اليقطين، ملعقة كبيرة من اللبن المثلج بالموز. أطلقت كيلي تنهيدة رضى. إذا بدأت بيرتي بتقديم وجبات كهذه على قواعد ثابتة، فإنها تكون قد أتمت عملها. بإمكانها العودة إلى حياتها السابقة التي تجاهلتها كثيراً، ويصبح بامكان سوكي شراء غدائها من قاعة الطعام مثل بقية الأولاد.

«رائع...» جرجر أليوت قدميه. «رائع. لقد رأيتك تخرجين باكراً ذلك الصباح...»

«هل رأيتني حقاً؟» احمرت وجنتا بيرتي.

«أجل... و...» أطبق أليوت على ربطة عنقه وكأنه يريد حلها. «أوه، هل فعلت شيئاً لشعرك، يا بيرتي؟»

www.alkottob.com

كانت تهتم به أكثر من قبل، لكن كيلي راهنت على أنه ليس هذا ما يتحدث أليوت عنه. كانت بيرتي تتبع نظام الحمية، بتقليل الدسم من طعامها، وقد فقدت أربعة ارطال. إذا كانت خسارة الوزن لم تؤثر على وجهها بعد، فقد كان هناك نوع جديد من الأمل والحيوية اللذين يجعلانها تبدو مشرقة. لكن على الأرجح فقد كانت ملاحظات أليوت هي التي تُظهر هذا الاختلاف.

«ماذا لو فعلت؟» قالت بيرتي وأخذت نفساً. على الرغم من ازدرائها الواضح، إلا انها أولت اهتماماً خاصاً بالأطباق التي ملأتها لأليوت وصديقه.

«وزينت طبق أليوت بفجلة مقطعة على شكل وردة.» أخبرت كيلي أمها تلك الليلة خلال محادثتهما الأسبوعية على الهاتف.

كادت هيلين أن تختنق. «سوف تجد نفسها تحضر له طعام الفطور قبل أن تدري بذلك. لكن ماذا عن صديقك، يا عزيزتي؟»

«لقد قلت لك، يا أمي، إننا مجرد صديقين.» قالت كيلي معترضة.

أطلقت هيلين صوتاً يدل على عدم التصديق.

«ما زال يدافع كالمجنون عن قضية المدرسة الجديدة.» أضافت كيلي بتنهيدة. «لقد وضع فعلاً إعلاناً من نصف صفحة في الجريدة المحلية، يدعو الناس فيه إلى التصويت على المشروع خلال أسبوعين اثناء اجتماع دراسة الميزانية.»

علقت هيلين: «لا بد وأن ذلك قد كلفه الكثير من المال.»

«إذا حصل على عقد بناء المدرسة الجديدة، سوف يعوض ذلك، صدقيني.» قالت كيلي وفي صوتها بعض المرارة.

سألتها هيلين بلطافة: «هل تظنين حقاً أنه لاري آخر؟»

«لا أعلم.» تنهدت كيلي، غير قادرة على اخفاء الحزن من

صوتها. «لا يمكنني تصنيفه. عندما أكون معه، عندما أنظر إليه، لا أفكر بانه كذلك، دايفيد لن يقوم أبداً بشيء غير شرعي. أبداً. لكن عندما نكون بعيدين عن بعضنا بعضاً، أتذكر أن والده قد استغل اتصالاته السياسية لتحقيق أهدافه. وأتذكر أن تصاميم المدرسة كانت جاهزة وبالانتظار. وأتساءل لماذا رجل من دون أولاد في هذه المقاطعة يهتم لهذه الدرجة ببناء هذه المدرسة؟»

«إذاً، ليس هناك من طريقة مؤكدة لتصنيفه.» قالت هيلين بفرح. «انتظري. يفصلنا اسبوعان عن الانتخابات. وإذا مر المشروع، أتوقع أن يبدأوا فوراً بطلب العروض من المقاولين. أليس كذلك؟»

«وسوف أدرك الحقيقة ما أن يوقع العقد.» أنهت كيلي حديثها. في السراء والضراء. «إنك تجعلين الأمر يبدو بسيطاً للغاية.»

«وما أن تتأكدي من أنه ليس كلاري، سوف تهجمين.» نصحتها أمها بخبث.

«لا.» قالت كيلي وهي تطلق نفساً يدل على فقدان الأمل. «لن أفعل ذلك. بصراحة يا أمي، إننا مجرد صديقين.» قبل أن تتعرف إلى دايفيد، لم تكن تعلم كم هي مهمة الصداقة.

«هل قرأت هذا؟» سأل بعد اسبوع، وهو يلوح لكيلي بمجلة ما أن دخلت الباب. كان قد دعاها إلى عشاء باكر. ترددت كيلي قبل القبول... كانت قد لاحظت مؤخراً نوعاً من البريق يعود إلى عيني دايفيد مما جعلها تشعر بالتوتر. لكنها أحست أنه كان بحاجة لصديق هذه الليلة. سوف تقدم لجنة المدرسة ميزانيتها إلى مجلس المدينة خلال جلسة خاصة في الثامنة، ومن الواضح أن

www.alkottob.com

دايفيد كان متوتراً جداً. سوف يرفض الناخبون المشروع في الأسبوع المقبل ما لم يدعمه كامل أعضاء مجلس البلدية، فعلياً.

«كلا. ما هذا؟» أخذت منه المجلة واكتشفت أنها كانت الملحق الذي يصدر كل يوم أحد مع صحيفة البوسطن غلوب. كان دايفيد قد طوى الصفحة ليريها مقالة عنوانها. «الوجبات المدرسية. صحية أم خطرة؟» على الصفحة المقابلة صورة تظهر بيرتي، كيلي ولورا يقدمن الطعام لصف من الأولاد. «من التقط هذه؟» سألت.

«الشاب الذي كتب المقالة. إنه المحرر المسؤول عن المطاعم في الغلوب.»

«لقد أحضره أليوت لتناول الغداء!» قالت وهي تنظر إلى ملامحه في الصورة. «لكننا لم نلاحظ أنه كان يلتقط الصور.» «هل قام أليوت بذلك ليظهر لبيرتي أن بامكانه أن يكون بناءً؟ «يا إلهي، يقول إن طعامنا يوازي بجودته الوجبات التي أكلها في بعض أفضل مطاعم بوسطن للنباتيين!»

«لقد قال بعض الأشياء الحسنة عنك، أيضاً.» قال دايفيد ورفع خصلة من الشعر عن عينيها.

«أجل.» وافقت من دون أن ترفع نظرها. لقد أثنى الكاتب على جهودها وذكر متجرها، لكنها كانت سعيدة إذ رأت أن تركيزه الأساسي كان على الوجبات بحد ذاتها والحاجة إلى تحسين وتطوير الوجبات المدرسية بشكل عام.

أنهى المقال بمقارنة برنامج كيلي التجريبي مع الغداء النموذجي الذي يقدم في مدرسة مجاورة في المقاطعة. ثم قارن الاثنين مع ما يقدم في المدرسة الخاصة التي يعي مسؤولوها فائدة الأطعمة الصحية، وحيث أن المال ليس مشكلة على ما يبدو. «هذه ابنة مالك منزلي!» رفعت صورة تظهر ستيفاني

هاورد تملأ مخروط سكر من آلة اللبن المثلج. «ويقول إن مطعمهم يشرف عليه خبير تغذية. وتقدم فيه مائدة مليئة بأنواع السلطات، خيار يومي بين السمك واللحم والخضار...» هزت رأسها باستغراب.

«آه، لكن لو وضعوا قليلاً من هذا المال في المدارس الرسمية، عوضاً عن ذلك، لما كان الأولاد يلتقطون قطع الجبس التي تقع على طعامهم من سقف قاعة طعام المدرسة الثانوية.» قال دايفيد بغضب.

بينما أنهت كيلي قراءة المقالة، أحضر دايفيد الطعام إلى الشرفة حيث وضع المائدة. «أخشى أن يكون عادياً، لكنني أردت تحضير شيء خاص جداً الليلة، لكننا، إيلين ماي وأنا عملنا طيلة النهار في تحضير الميزانية. كان علينا تصحيح عدد كبير من الجداول في آخر دقيقة.

«هذا يبدو رائعاً.» أكدت له كيلي، وهو يضع صحناً كبيراً مسطحاً من القريدس المسلوق مرتباً على قطع الثلج، ورغيفاً من الخبز الايطالي الطازج وسلطة سيزار وقليلاً من...

«شراب؟» نظرت إليه متعجبة.

«لما لا؟ لقد أتى الربيع أخيراً وأنا أحب رفقتك.» نزع دايفيد السدادة وملأ كأسيهما، ثم رفع كأسه. «نخب... المرأة الشابة الأكثر تصميماً.» مازحها، مقتبساً العبارة من مقالة المجلة.

«نخب...» أرادت أن تشرب نخب آماله في المدرسة الجديدة، لكن في آخر دقيقة لم تستطع. كان الموضوع ما يزال يزعجها.

اقترح دايفيد: «نخب البدايات الجديدة؟»

لم تكن واثقة عن أية بدايات يتحدث. لكنها هزت رأسها بالايجاب ورشفت، ثم حبست نفسها بشهقة تقدير. شعرت وكأنها

www.alkottob.com

تشرب ضوء القمر. وكأن طرف اصبع يمرر على طول عمودها الفقري.

أكلا، وتقاسما دفء الصداقة التي توطدت بينهما خلال الأسابيع القليلة الماضية. إننا نعرف بعضنا البعض حق المعرفة، ومع ذلك نحن لا نعرف بعضنا البعض أبداً فكرت كيلي، وهي تستمع إليه يخبر قصة. لقد حصّنت قلبها منذ البداية، وقد تجاوب معها دايفيد نوعاً ما، لا يأتمنها أدق أسراره وأكثرها إيلاماً. لكن كان باستطاعتها أن تراها تكمن خلف عينيه في بعض الأحيان... الليلة، مثلاً.

«أتأخذين قرشاً وتقولين بماذا تفكرين؟» سألها دايفيد وهو يبتسم للنظرة الجادة على وجهها.

هزت رأسها. كانا قد وصلا إلى توازن كامل في صداقتهما واستقلاليتهما. والتعمق أكثر قد يكون مجازفة بالعلاقة باكملها.

«كنت أفكر بانك صديق رائع.» قالت له بصدق. «ولا يمكنني تحمل فقدانك.»

«سوف أقول لك أفكاري إذاً.» قال ومد ذراعه ليمسك بيدها.

لم يكن قد لمسها منذ أسابيع، ليس بطريقة رومنسية، على كل حال، وحبست هي أنفاسها. التفت أصابعه الدافئة والناعمة حول أصابعها، وأحست بقليل من الذعر. أوه، يا دايفيد، لا تفعل!

«أعلم أنك قلتِ إنك تودين أن نكون مجرد صديقين.» أصبح صوته أكثر تهدجاً وتابع: «لقد حاولت احترام ذلك خلال الأسابيع القليلة الماضية، يا كيلي. ولقد كان ذلك جيداً... جيداً جداً. الحصول عليك كصديقة جعلني ألاحظ مدى اعجابي بك، بغض النظر عن كل شيء. حتى لو كنت تبالغين باهتمامك بنبات الفاصولياء.»

قال آخر جملة بنبرة أخف ثم عاد إلى جديته من جديد. «لكن هذا ليس كافياً، يا كيلي. ليس هذا كل ما أريده، ولا أظن أنه كاف لك أيضاً. أريد أن أقيم علاقة معك. سوف أجن إن لم أقم بذلك.» اشتدت قبضته عندما حاولت سحب يدها، ثم تركها، لكنه غمرها بعينيه بسرعة. «إذاً، أريدك أن تحرريني من هذا الشعور، يا كيلي. أريد أن أتودد إليك. سوف أقوم بذلك على مهل، إذا كان هذا ما تريدينه، لكن هذا ما أهدف إليه ـ أنتِ وأنا معاً. أكون كاذباً إذا جعلتك تظنين غير ذلك.»

كانت قد تناولت كأساً واحدة من الشراب وتمنت لو لم تفعل. كانت أفكارها تدور، في الوقت الذي تحتاج فيه إلى فكر صافٍ وواضح. كان عليها أن تضع حداً لهذا الذعر من دون أن تحرجه بكلماتها. لكن كل ما استطاعت التفكير به هو أنه خانها. هذا ما كانت نظراته تنم عنه، وقد ظنت أنها كانت بأمان معه. «لا أستطيع، يا دايفيد. إنني غير مستعدة بعد.»

«هل مازلت تحبينه؟» سأل دايفيد وكلماته متقطعة. «لا يبدو أنه يستحق...»

«لا، ليس لاري مطلقاً.» أصرت ووقفت متجهة نحو حاجز الشرفة. «السبب هو...» الأسباب عدة، وأهمها التساؤل حول نزاهة دايفيد، لكن هذا ما لا يمكنها قوله أبداً. كان عليها الانتظار فقط لترى ما سيحدث. «لن ينجح الأمر أبداً.» قالت من دون اقتناع. «أكل لحوم مثلك وأكلة أعشاب مثلي؟» ابتسمت لتجعل الأمر تبدو كدعابة.

«تقولين بطاطا وأنا أقول بطهطا؟» قال دايفيد مستشهداً وهو ينضم إليها. «لا أصدق ذلك، يا كيلي. يمكننا الالتقاء في مكان ما

www.rewity.com
www.alkottob.com

في الوسط، مثلما نفعل الليلة، ناكل القريدس.» غطت يده يدها الموضوعة على الحاجز. «أو نطهو ليرضي واحدنا الآخر. هناك مكان في ثلاجتي لقشدة الحليب كما يوجد مكان للعظام.» التفت أصابعه حول أصابعها. «ولا يهمني أي نوع من البسكويت تاكلين في السرير، القليلة الدسم أو الكثيرة الدسم، طالما أنك تاكلينها في سريري.»

للحظة، لمعت في بالها صورة الحياة المنزلية الهنيئة. الاثنين معاً، ممددين على السرير، يستندان إلى الوسادات، ذراعه حول كتفيها، يتابعان فيلماً قديماً على شاشة التلفاز الموضوع عند حافة السرير، والبسكويت خاصتها منسيّ على الطاولة قرب السرير.

سحبت يدها برفق وقالت: «يا دايفيد، ليس هذا فقط. إنه... إنها المرة الأولى في حياتي، أشعر أنني أكبر...» هزت رأسها باحثة عن الكلمات لجعله يفهم. «ربما يبدو ذلك غبياً، لكنني أتفتح. إنني أتعلم القيام بأشياء ظننت أنني لن أتمكن من القيام بها أبداً... إدارة متجر، إعالة سوكي ونفسي، القيام بصداقات، جعل مدرسة مقاطعة تستمع إليّ عندما أعلم أن ذلك مهم...» ضحكت بارتجاف. «ألا تفهم؟ كان زواجي بمثابة صندوق. أنا أخشى جداً أنه إذا...»

«إن زواجك مني قد يعيدك إلى الصندوق؟» كانت ضحكة دايفيد خشنة. «هل تظنين أنني سأفعل ذلك بك؟»

هل ظنت ذلك؟ لقد خشيت ذلك لفترة من الوقت، أما الآن؟ إنها أقوى مما كانت عليه وهو ألطف. وواثق جداً من نفسه لدرجة تغنيه عن الحاجة لسحق شخصيتها كما فعل لاري. قوتها لن تهدد قوته أبداً. «لا.» أقرت برقة. «لا، لن تفعل.»

«حسناً، إذاً ما هي المشكلة؟» سألها دايفيد محاولاً الامساك بيدها من جديد.

أساس المشكلة هو أنها لا تستطيع، لا تسمح لنفسها بالوقوع في حبه، خاصة وأنها ما تزال تشعر بشك ولو قليل بنزاهته. أشاحت بعيداً عن نظرته المتفرسة. إلى المرج البعيد، رأت ارنبين يرقصان تحت ضوء القمر وأنفاهما يكادان يلامسا بعضهما بعضاً. هذا ما أراده دايفيد، أليس كذلك؟ وكيف بامكانها لومه في حين كانت هي أيضاً تريد الشيء نفسه؟ «يا دايفيد، لا يسعني إقامة علاقة جدية معك.» رجته بينما وضع أصبعه على ذقنها وأدار لها وجهها لتواجهه. «لا أستطيع، هذا كل ما في الأمر. ليس بعد.» لو استطاع فقط الانتظار. كانت عدة أسابيع تفصلها عن معرفة الحقيقة.

لكن عندما قسا تعبير وجهه، انتابها شعور من الذعر. «لكن أنت أردت، يمكنك اصطحابي بطريقة غير جدية...» أضافت مترددة، بامكانها القيام بذلك للحفاظ على صداقته. كان التفكير بخسارته غير مقبول. وبذلك يتسنى لها الوقت لمعرفة سبب تصميمه على بناء المدرسة الجديدة، وإذا كان باستطاعتها أن تفهم دوافعه.

«بطريقة غير جدية؟» كرر من بعدها، وبدا وكأنه قد ابتلع شيئاً مُرّ المذاق.

قالت موضحة: «من دون ارتباطات.»

سحب يده بسرعة وقال بمرارة: «لا، شكراً. لقد سبق وعُرض عليّ مثل هذا العرض من قبل. صدقيني، هناك دائماً ارتباطات.»

«لكن لن تكون هناك أية ارتباطات!» قالت باصرار. «هذا ما أحاول قوله لك. سوف أكون معك كصديقين.»

www.alkottob.com

«وما أحاول قوله لك، هو أن هذا آخر ما أريده! لن أسمح لك بالتلاعب بقلبي مطلقاً. أنا لست ألعب، يا كيلي. لا أريد أي كلام. أنا جاد، وإذا لم تكوني كذلك، وإذا لم يكن بامكانك أن تكوني كذلك، عندها... عندها... فليذهب حب كهذا إلى الجحيم!» استدار، نزل الدرجات نحو المرج مما جعل الأرنبين يركضان خلف الشجر. دس يديه في جيبيه واتجه نحو النهر.

وقفت مكانها مشلولة الحركة والدموع تترقرق في عينيها. قسم منها يحثها على أن تركض وترتمي بين ذراعيه، أن ترجوه لمسامحتها، أن تقسم بأنها ستفعل كل ما يطلبه منها، أي شيء فقط لكي يبقى صديقها. والقسم الآخر، كالعادة، منعها من ذلك. أبقاها الخوف متسمرة في أمان الشرفة. أخيراً، وبتنهيدة من القلب، حملت الصحون إلى المطبخ.

عندما عادت، كان قد رحل، لكن وجهه كان شاحباً كضوء القمر الفضي في السماء البعيدة. «أنا آسف لانفعالي بهذه الطريقة.» قال بصوت بارد. «وشكراً لعرضك، لكنني لا أريد علاقة حب نصف جدية. لا أريد علاقة مطلقاً. فلننس الموضوع، موافقة؟»

لقد ربحت، وفقدت كل شيء بربحها، أدركت ذلك وهزت رأسها بأسى. لن تتخطى صداقتهما هذه المرحلة. لم يحصل أي منهما على مراده.

نظر دايفيد إلى ساعته وقال: «إن الوقت متأخر جداً للذهاب سيراً على الأقدام إلى الاجتماع. لما لا نذهب كل في سيارته في حال أنني اضطررت للبقاء حتى وقت متأخر؟»

انطلقا كل في طريقه إلى الثانوية. عندما وصلا، جلس دايفيد على المنصة مع باقي أعضاء لجنة المدرسة، إلى الجهة الثانية

من أعضاء مجلس بلدية المدينة، بينما جلست كيلي مع الجمهور، يداها معقودتان بقوة حول مكان المغص في وسطها.

كان بامكانها أن تكون جالسة أيضاً في التيمبوكتو. وهي ما تكاد تدرك أن أعضاء مجلس بلدية المدينة كانوا يتداولون المواضيع المهمة للميزانية، إلا أن أفكارها كانت تدور بطريقة جنونية. ما كان يجب أن تقول، أو ما كان يجب عليها القيام به. على المنصة، بدا دايفيد متجهماً أيضاً.

بعد أن ركزت أخيراً على الاجراءات، اكتشفت أنه، بعد ساعتين من المناقشات، قبل مجلس المدينة بموازنة لجنة المدرسة للسنة المقبلة. زفرت بطريقة مرتجفة. بقي الآن موضوع الثانوية الجديدة. إذا طلب مجلس المدينة من الناخبين الموافقة على مشروع بناء المدرسة، سيكون هناك أملٌ كبير في تنفيذ المشروع. لكن إذا رفض المجلس دعمه، فسوف يرفض المشروع بالتأكيد في اجتماع الأسبوع المقبل.

«ليلاند هاورد هو المفتاح.» كان دايفيد قد أخبرها على العشاء. رئيس البلدية عارض انشاء الثانوية الجديدة. «لكن إذا قرر أن عدداً كافياً من المقترعين يريدون المشروع، سوف يحاول أن يقودهم في الطريق إلى تحقيق ذلك. مهما كانت الطريق التي سوف يسلكها، يمكنك المراهنة على أن باقي أعضاء المجلس سوف يتبعونه.»

حولت نظرها نحو ليلاند لتجده يبتسم لها. «لكن قبل الانتقال إلى موضوع تعهد بناء الثانوية.» قال في المذياع. «أريد أن أقدم بعض العرفان إلى مواطنة بارزة. أنا متأكد من أنكم كلكم تعرفون أن السيدة بوشارد قد تطوعت لتحسين وجبات الطعام في ابتدائية أوك.» انتظر حتى تخف حدة تهامس الجمهور، ثم

www.alkottob.com

تابع: «من منكم قرأ عدد «البوسطن غلوب» سوف يعلم...» تابع واصفاً السمعة الحسنة التي جلبتها كيلي للمدينة، لافتاً الانتباه إلى أن التلاميذ، المدرسين وحتى السيدة هيغينز وعمالها قد اعجبوا بالتغييرات التي استحدثتها كيلي. وبمساعدة كيلي، سوف تقوم السيدة هيغينز باعادة النظر في جميع لوائح طعام مدارس المقاطعة للسنة القادمة. «إذاً، يا سيدة بوشارد، هلا تفضلت ووقفت حتى نتمكن من شكرك بصدق على عمل قمت به على أكمل وجه؟»

كان هذا آخر ما أرادته كيلي، لكن لم تكن هناك من وسيلة لتجنب ذلك. وقفت، وقد احمرت وجنتاها، فيما رحب بها الجمهور بالتصفيق الحاد، ثم جلست مجدداً من دون الجرأة على النظر إلى دايفيد.

كان رئيس البلدية ما يزال يتكلم. «أظن أن باستطاعتنا جميعاً أن نستفيد من تجربة كيلي بوشارد. إن كيلي هي المثال على ما نحتاج إليه في وست دارتماوث... روح التطوع. أن نلجأ إلى شد الحزام والتوفير. إن كيلي مثالٌ حيّ على أنه يمكن حل المشكلات بطرق غير رمي المال عليها!»

أصبح صوته أقوى، كما لو أن حديثه انعطف إلى وجهة مختلفة ومبطنة. «إذاً.» قال بتهذيب: «أود أن أدعو لجنة المدرسة إلى التعامل مع مسألة المدرسة الجديدة بالروح التي تعاملت بها السيدة بوشارد مع مشكلتها. لا نريد بناء غالي التكاليف، يا أهالي وست دارتماوث! ما نريده هو أساتذة وإداريين يتحلون بشجاعة، وإرادة، ومخيلة كيلي بوشارد! وناساً مستعدين لرفع أكمامهم وإيجاد حل لهذه المشكلة من دون التسبب بافلاس المدينة. لذلك أدعوكم لعدم التصويت لمصلحة بناء المدرسة

الجديدة في الأسبوع المقبل. ومع أنني لم أناقش هذا الموضوع مع أصدقائي أعضاء اللجنة، إلا أنني واثق من أنهم سوف...»

قال ليلاند أشياء أكثر، لكن كيلي لم تواصل الاستماع. كانت تحملق بدايفيد مرتعبة. كان على حق في كل ما قاله لها! لقد استغلها ليلاند. استعملها أولاً كطعم لالهاء الناخبين عن موضوع المدرسة الجديدة. وهو الآن يستغلها كدليل على أنهم ليسوا بحاجة إلى المدرسة الجديدة. إن وصف تكتيك ليلاند على أنه ملاكمة بالقبضات العارية، ما هو إلا بداية. الطعن في الظهر هو أكثر دقة! لن يسامحني دايفيد أبداً! تناهت إلى مسمعها أصوات أعضاء مجلس البلدية وهم ينصحون المقترعين بالاجماع على رفض مشروع بناء المدرسة في الاجتماع السنوي للمدينة بعد أسبوع. كل ما استطاعت سماعه هو كلمات دايفيد. إنه يستغلك، يا كيلي. كل ما استطاعت رؤيته كان وجه دايفيد المتجهم المتصلب العضلات.

ما أن انتهى أعضاء المجلس من التصويت حتى طلب دايفيد الإذن بالكلام. قال بصوت أجش محاولاً كبت غضبه: «باسم لجنة المدرسة، ما يمكننا قوله، فقط، إننا نتمنى أن يكون سكان وست دارتماوث أكثر وعياً وتفهماً لحاجات أولادهم من أعضاء مجلس مدينتهم. إننا بحاجة ماسة إلى مدرسة جديدة ومنذ أربع سنوات. أنا أدعوكم للتجول داخل هذا البناء قبل أن ترحلوا الليلة. إذا فعلتم فسوف ترون ذلك بانفسكم. وأنا أطلب منكم... لا، أنا أرجوكم... أن تصوتوا على ضوء هذه المشاهدة. في هذه الأثناء...» أحنى رأسه للحظة ثم رفعه وحملق بالحضور «... لقد عملت لسنتين من أجل هذه المدرسة الجديدة. ليس هذا أكثر من الوقت الذي صرفه باقي أعضاء اللجنة على هذا الموضوع،

www.dewity.com
عيون

www.alkottob.com

لكنني أخشى أن يكون هذا كل ما باستطاعتي تقديمه، بسبب المواقف المعادية لهذا المشروع في المدينة. لذلك، أنا أستقيل. شكراً لكم، وأتمنى الحظ السعيد لأولادكم.» نزل عن المنصة واختفى خلف الستارة.

فيما كان الحضور يتداركون صدمتهم، جلست كيلي وقلبها يحاول الوصول إلى تفكيرها. أوه، يا دايفيد الغلطة غلطتي أنا! ثم قفزت على قدميها.

عندما خرجت من المبنى، كانت أنوار شاحنة دايفيد تضيء الموقف. لكن الطريق أنت بها إلى الدرجات الأمامية للمدرسة، ووقفت في منتصف الطريق وذراعاها مفتوحتين.

توقفت شاحنته أمامها مع صرير كبح قوي. «ابتعدي عن الطريق!» صرخ بها.

«دايفيد، أرجوك!» لهثت وهي تركض نحو نافذته. «أوه أرجوك...»

«كيلي، لا يمكنني الحديث معك.» قال بهدوء مميت. «إذهبي.»

«دايفيد، أنا آسفة جداً.» قالت متلعثمة. «لقد كنت على حق منذ البداية، وأنا كنت مخطئة، وأنا حقاً آسفة.»

«لا ينفع الندم الآن، بعد فوات الأوان، في ما يتعلق بالأولاد... أو في ما يتعلق بنا.»

تدفقت الدموع من عينيها، من جراء نبرته الجازمة بقطع علاقتهما. إنه على حق، لكن مع ذلك... «لماذا تهتم بهذا الشكل؟» قالت وهي تجهش بالبكاء. «أعني، إنها طبعاً قضية مهمة، لكن لماذا التصميم عليها بهذا الشكل؟ لماذا جعلت من هذا المشروع قضيتك؟ هل أنت بحاجة ماسة لهذا العمل؟»

«العمل؟» حملق بها وقال: «عمّ تتكلمين؟»

«لقد سبق وصممت هذا الشيء اللعين!» قالت وهي تمسح عينيها. «أنت تخطط لبناء المدرسة إذا ما حظي المشروع بالموافقة. أليس كذلك؟»

«هل تظنين أنني كنت أعمل على هذه القضية لمجرد الحصول على العقد؟» امتلأ صوت دايفيد بالغيظ وقال: «هذا أمر غير قانوني، أو إن لم يكن كذلك، فهو طبعاً غير اخلاقي! ألم تسمعي أبداً عن تضارب المصالح، يا سيدة؟»

كانت قد ارتكبت خطأ جسيماً. نبرة عدم التصديق في صوته أخبرتها بذلك. «ل ـ ل ـ لكنك رسمت التصاميم. لماذا تقوم بها...؟»

«لتوفير مال المدينة، لهذا السبب! لقد صممتها من دون مقابل. هذا يوفر علينا أجر المهندس المعماري. وقد قمت بها لأن أحداً لن يستطيع القيام بهذا العمل أفضل مني.»

«أوه، يا دايفيد...»

«وقمت بذلك لأنني فكرت... تمنيت... قد أستطيع اقناع صن شاين بالقدوم والإقامة معي فترة دراستها الثانوية.» أضاف بكآبة: «لكنني لن استطيع الطلب منها المجيء إذا لم أتمكن من تأمين مدرسة محترمة لها، وأنا لا أؤمن بالمدارس الخاصة.» هز رأسه بتواصل وقال: «لقد كان لك رأي معين بي منذ البداية، أليس كذلك؟» ضحك، لكن لم تكن هناك فكاهة في صوته. «أنت مثل الآخرين، تظنين أن الولد سر أبيه. لا أعلم لماذا فكرت بالعودة إلى هذه المدينة. لقد كنت أبله لمجرد المحاولة.»

«دايفيد...» لامست ذراعه «... دايفيد، أنا جد آسفة، لقد كنت بلهاء، بتفكيري أن بامكانك... اعتقد أن السبب، هو، أن زوجي السابق قد يفعل ذلك...»

www.rewity.com
عيون
www.alkottob.com

سحب يده من تحت أصابعها. «حسناً، إذا يوماً ما، يا كيلي، سيكون من الأفضل لك أن تتعلمي التمييز بين الأشخاص النزيهين والآخرين المحتالين.»

ضغط على دواسة الوقود عندما تأكد أنها سوف تتنحى عن الطريق. كانت الشاحنة ما تزال تتسارع عندما اختفت خلف الأشجار.

إذاً لم يبق لديها سوى الذهاب إلى المنزل والبكاء. لم تستطع كيلي حتى الوصول إلى المنزل. في منتصف الطريق ركنت السيارة جانباً وبكت لفترة. عندما أدارت محرك السيارة من جديد، انطلقت نحو منزل دايفيد. لم تكن تعلم ماذا بإمكانها أن تضيف، لكنها لم تستطع ترك الأشياء معلقة هكذا.

وجدت المنزل مظلماً والشاحنة غير موجودة. خمنت أنه لا بد وأن يكون على شاطىء ما يطلق العنان لغضبه. لكن لم يكن لديها الوقت للبحث عنه. لقد وعدت جليسة سوكي بأنها قد تعود في الحادية عشرة وقد قاربت الساعة الآن، الثانية عشرة.

وجدت ليسا، الجليسة، نائمة على الأريكة، عندما دخلت المنزل. جلست وفركت عينيها. «لقد اتصل بك رجل.» غمغمت وأضافت: «لقد نسيت اسمه. طلب مني أن أقول لك وداعاً، لأنه سيعود إلى كاليفورنيا.»

«أهذا كل ما قاله؟» كادت كيلي أن تمسك بتلابيب الفتاة. «لا شيء آخر؟»

«هذا كل ما اتذكره.» تمتمت الفتاة المراهقة، التقطت حقيبتها وخرجت.

الفصل الرابع عشر

«لكن عليه أن يعود.» أصرّت فيكتوريا عندما جرت كيلي نفسها إلى العمل خلال بعد ظهر اليوم التالي. «إنه يملك منزلاً هنا. مع أنني أظنّ أن بإمكانه الطلب من سمسار أن يبيعه له.»

لم يكن ذلك ما أرادت كيلي سماعه. أرادت أن تسمع أن دايفيد قد يعود من كاليفورنيا وأنه قد يعطيها فرصة ثانية.

للقيام بماذا؟ تساءلت. لقد قدّم لها قلبه ولم تقبله. هل كانت حمقاء لدرجة أن تقرر أنها فعلاً تريده بعد أن خربت كل شيء؟ ابتلعت ريقها وهي تشعر بغصة.

«سوف يعود.» طمأنتها فيكتوريا، وهي تفتح نسخة كيلي من مجلة الغلوب. «انظري إلى هذا المقال الرائع!»

حملقت كيلي بصورة تظهر ستيفاني هاورد وآلة اللبن الزبادي المثلج خاصتها. كم سيكون سهلاً تحويل التلامذة في ابتدائية أوك إلى الطعام الصحيّ لو وُجدت أشياء جميلة كهذه. قطعت أول رعشة غضب حزنها عندما تذكرت عصارة الجزر في المدرسة الخاصة، وخبيرة التغذية، و أنواع السلطات المختلفة الرائعة. لما تتوفر جميع المنتفعات التي يمكن للمال شراءها لابنة ليلاند!

ومع ذلك فإن رئيس البلدية وحلفاءه ما يزالون يحاولون ما بوسعهم لاعاقة المشروع المُلحّ ببناء المدرسة الثانوية. كان لدايفيد كل الحق بأن يغضب، فتخطيط كهذا ينم عن سخرية وبخل، كما يدل على قصر نظر. أسوأ ما في الأمر، هو أن

www.alkottob.com

ليلاند استغلها لمساعدته في تحقيق أهدافه الأنانية.

صرّت كيلي على أسنانها. ليس إذا استطعت منع ذلك! كانت قد حطمت كل آمالها في السعادة مع دايفيد. لكنها لن تسمح لليلاند باستخدامها لتحطيم آمال دايفيد في تأمين تعليم محترم لأطفال وست دارتماوث. كانت تدين بهذا لدايفيد ولأطفال المدينة. مهما كان الضرر الذي أحدثته، فهي ستحاول أصلاحه... بطريقة ما.

«واذا استطعت اقناع بيرتي هيغينز باستعمال قشدة الحليب في طهيها.» تمتمت. «فبامكاني القيام باي شيء.»

لكن هل كان بامكانها القيام بمعجزة خلال الأسبوع الوحيد الباقي على اجتماع المدينة السنوي؟

تستغرق المعجزات وقتاً لتتحقق، لذلك، أول عمل قامت به كيلي كان مضاعفة راتب جاني كي تقوم بإدارة دكان العطارة طوال النهار. لحسن الحظ أن مساعدتها قبلت ذلك بفرح. وكان على كيلي أن تهتم لاحقاً بالعجز الذي سوف يحدث في ميزانيتها.

تحتاج المعجزات إلى من يدعمها. قرّرت كيلي الاتصال بكل الناخبين في وست دارتماوث ذلك الأسبوع، لكنها لم تستطع القيام بذلك بمفردها. كانت بحاجة لمتطوعين. كانت لديها أسماء وأرقام هواتف مئة وثمانون شخصاً من الأهالي الذين وقعوا على عريضتها. وبيرتي ولورا عرضتا المساعدة بعد العمل، عندما أخبرتهما عن خطتها. كذلك فعلت إيلين ماي من لجنة المدرسة واثنا عشر مناصراً للمدرسة الجديدة، كانت كيلي قد اتصلت بهم. عند حلول الليل كانت كيلي قد جنّدت أربعين شخصاً لقرع أبواب الناخبين.

تحتاج المعجزة إلى نقطة تركيز... كان ذلك سهلاً. نسخت

كيلي الصور من مقالة البوسطن غلوب. «تظهرون هذه في كل منزل تزورونه.» أخبرت جماعتها عندما اجتمعوا خارج دكان العطارة ذلك المساء. «هذا نوع المدرسة التي ترتادها ابنة ليلاند هاورد. مع ذلك، هو لا يريد هذه الميزات أن تتوافر لأولاد وست دارتماوث؟ على الناخبين أن يقفوا بوجهه ويرسموا له الحدود التي تخطاها! من قال إن أولادنا لا يستحقون تعليماً ممتازاً ومبنى لمتابعة تعليمهم فيه؟»

تحتاج المعجزة للدعاية. «اتركوا هذا لي!» أعلنت بيرتي. «سوف يأخذ أليوت جانبنا، وإلاّ سأعلم السبب لذلك!» ومهما كان الذي قالته للصحافي، فقد نجح. ظهرت الافتتاحية الأساسية في العدد التالي من الديلي، تدعو بحماس لتأييد انشاء المدرسة الجديدة. حتى أن أليوت كتب قصة عن حملة كيلي. ولكتابة مقالٍ جانبي، أحضر أليوت مفتش الأبنية الخاصة للقيام بمسح شامل على الثانوية القديمة، وقد أدان الرجل بقسوة عدم صلاحية المبنى. والمذهل في كل ذلك هو أن أليوت انضم إلى بيرتي في حملة المرور على المنازل... وابتسم حين قام بذلك.

تحتاج المعجزة إلى الشجاعة. تدبر أليوت موعداً لإيلين ماي وكيلي للحديث في الاذاعة في برنامج محلي. أحست كيلي بالرعب من المذياع، ومن فكرة أن الجميع في الخارج يستمعون إليها مما جعلها تشعر بالم في معدتها، لكنها، على أي حال، قامت بذلك. تلقت اتصالات مباشرة وتعليقات حتى أنها تلقت بعض الإهانات من مستمعين وقبعة الشجاعة منسدلة على أذنيها. «ولم أجعل من نفسي بلهاء كاملة.» قالت لفيكتوريا عندما توقفت بالمركز التجاري بعد المقابلة الاذاعية. ما الذي ظنّ بي دايفيد؟ هل كان ليفخر بي؟ لكن هذا التفكير يؤدي إلى

www.new-yr.com
www.alkottob.com

ألم في القلب، فوضعته جانباً. لم يكن لديها الوقت للنحيب، كان عليها القيام بمعجزة.

والمعجزات تعني دائماً التضحية. «أنت ترين صورة ابنتي للجميع في المدينة؟» صرخ مالك شقتها عندما طرق على بابها في اليوم الثالث. «وأنت تعرفين شعوري حيال هذه المدرسة الجديدة... سوف ترفع ضرائب الأملاك. لسنا بحاجة لذلك.»

عذلت كيلي وقفتها، مما جعلها في مواجهة هاورد. «لستم بحاجة لذلك؟ لا تجعلني أضحك، يا ليلاند!»

«سوف نرى من سيضحك أخيراً!» صرخ وهو يهزّ اصبعاً في وجهها. «سوف تغادرين هذا المكان، يا كيلي، إذا لم توقفي هذا الهراء! تخلي عن قرع الأبواب هذا، أو ارحلي من هنا. قرري واختاري.»

«لقد قرّرت.» قالت كيلي. «سوف ننتقل من هنا في نهاية الشهر إذا كان هذا ما تريده.» بعد أن ذهب، وقفت على الشرفة لبرهة، محدقة بحزن إلى طعام طيورها. فكرت بأن دايفيد كان ليسعد لموقفها بطريقة ما... لو كان اهتم ولو قليلاً.

في النهاية، بعد كل العمل والاقناع والأمل والوقت والتضحية، تحتاج المعجزات إلى اهتمام. هل يهتم سكان وست دارتماوث كفاية بأولادهم ليدفعوا لتعليمهم؟ تساءلت كيلي وهي تجلس على المقعد الذي حجزته لها بيرتي في قاعة محاضرات المدرسة، ليلة اجتماع المدينة المالي. كانوا قد رفضوا المشروع أربع مرات من قبل. هل يهتمون كفاية للموافقة عليه هذه المرة؟

«سوف نربح.» قال رجل عندما توقف بالقرب من مقعدها. رفع ابهامه لها وتابع تقدمه.

عبست كيلي محاولة تذكر اسمه، ثم هزّت كتفيها. كانت قد قابلت العديد من الوجوه هذا الأسبوع لدرجة أن وجوههم أصبحت مغشاة.

دس أليوت نفسه على المقعد الملاصق لبيرتي في الجهة الثانية. «إن المكان مكتظ.» قال بينما لفّ ذراعه حول كتفي الطاهية. لكن هل قدموا للتصويت بنعم، أم لا؟ تساءلت كيلي. وتمنت فجأة، وبشغف لو كان دايفيد موجوداً وذراعه حول كتفيها، يشاركها التشويق. لم تكن بيرتي تدري كم كانت محظوظة. أو ربما تدري. لاحظت كيلي الابتسامة الخفيفة على وجه صديقتها. أو ربما تدري. على أحدٍ ما أن يكون ذكياً بما يكفي ليميز معجزة عندما تحدث. لكن هذا الخاطر كان مؤلماً جداً لتيلاحق.

كان الاجتماع طويلاً، كثير الضجة وكثير الانفعال حتى حسب معايير وست دارتماوث. قبل تمكنهم من التصويت على مشروع بناء المدرسة، كان عليهم التصويت على بنود الميزانية السنوية الأخرى. توالى الخطباء وكان يجب أن يُحول كل موضوع إلى التصويت.

أخيراً، حوالى منتصف الليل، عدّل الحضور الذابل جلسته وملأت القاعة تمتمات انفعال. لقد حان وقت التصويت على مشروع المدرسة. لقد حان وقت المعجزة! صلّت كيلي بينما وقفت إيلين ماي تقدم التماس لجنة المدرسة بالتصويت لمصلحة المشروع.

ثم تلاها ليلاند هاورد، مثنياً على رأي مجلس البلدية في أن المدرسة القديمة حسنة كفاية، وأن المحاضرات الموزعة وساعات الدراسة المقلصة لم تضر بأي طالب جاد.

قدمت رئيسة لجنة الأساتذة نقداً قاسياً، ثم مثّل رجل كبيرٌ في

www.alkottob.com

السنّ ومحبّ للحرب على الجهتين وترك الحضور يتساءلون في أي اتجاه يودّ هذا المتحدث التصويت.

كانت كيلي الأخيرة في اعتلاء المنصة والكلام وكانت تضغط على قبعة الشجاعة بين يديها. كانت تلك آخر فرصة لها للتعبير عن ندمها، وآخر محاولة يمكنها القيام بها للدفاع عن قضية دايفيد، لكن ذلك لن يُخفّف من وطأة الأمر عليها. «لن يتطرق حديثي هذا إلى الجبس الذي يقع من الجدران، أو الصفوف المكتظة، أو رفع نسبة الضرائب على الأملاك، أو تقصير الأيام الدراسية بالنسبة لأولادكم.» تلعثمت وتابعت: «الموضوع... الموضوع هو أنه... بسيط وواضح. هل تتابعون؟»

ألقت نظرة شاملة على الوجوه البعيدة من المذياع. «هؤلاء هم أولادكم وأولاد جيرانكم. إنهم عائلة واحدة في السرّاء والضرّاء... كل هذه المدينة هي عائلة واحدة، حتى عندما نختلف في الآراء. ومن واجبكم أن تهتموا بعائلاتكم. إذاً، إذا كنتم تهتمون، وأنا أعلم أنكم تهتمون، أرجوكم أن تصوّتوا بنعم لهذا المشروع. شكراً لكم.» عادت مسرعة إلى مقعدها. ووجنتاها تشتعلان بينما هزّ التصفيق الاحتفائي القاعة.

اتخذ قرار بالتصويت على المسألة. «كل الذين في مصلحة المشروع؟» سأل رئيس مجلس البلدية بصوت جاف.

«نعم!» صرخت كيلي... وتبعتها أصوات الموافقين من حولها.

«لقد حصلنا عليه!» صرخت بيرتي في أذنها. «أظن أننا حصلنا عليه!»

لكنها تمسكت بذراع أليوت عندما قال الرئيس: «كل الذين يعارضون؟»

ارتفعت كلمات لا بالشدة نفسها، التي ارتفعت بها كلمات نعم. تقريباً، قالت كيلي لنفسها. طبعاً لم يكونوا أكثر!

نظر المذيع حول القاعة وقال: «أظن أن كلمات نعم...»

«لا!» صرخ شخص ما من الأمام وثنى على رفضه عددٌ من الأصوات الغاضبة. «أنا أطلب التصويت على المشروع بالوقوف!»

صرخ شخص آخر: «أنا أثني على هذه الخطوة! نريد أن نعدّ الرؤوس!»

قال المذيع: «ليقف ويبقى واقفاً كل من هو في مصلحة انشاء مبنى جديد للثانوية كي يصار إلى عدّكم.»

وقفت كيلي ووقف معها ثلثا الحضور... ثم انطلقت صرخة نصر. «لقد ربحنا!» صرخت كيلي وهي تضم بيرتي. بقيت تهلل فرحاً حتى عندما احضنت الطاهية أليوت. «لقد ربحنا، لقد فعلنا ذلك!» كان كل الناس يضحكون من حولهم، يتعانقون، يرفعون قبضاتهم إلى الأعلى، تليل النصر، ويرقصون في الممرات.

ثم، وبطريقة ما توجهت عينا كيلي إلى الوجه الوحيد الذي تبالي من كل الموجودين في القاعة. حملق بها دايفيد ويتيكر بالمقابل وهو يقف قرب الجدار البعيد من دون أن يبتسم.

«دايفيد!» صرخت مع أنه بالطبع لم يستطع سماعها. لم تسمع أسئلة بيرتي لها، مرّت بالطاهية وباشرت اجتياز الغرفة، عيناها مركزتان على عينيه. دايفيد! أحسّت بموجة من الفرح والرعب تنتابها. كل ما كانت متأكدة منه هو أنها تريد لمسه، وسماع صوته. أوه، أرجوك! صلّت، وثم، شكراً لك! عندما شاهدته يتقدم لملاقاتها.

استغرقهما الأمر حوالى الخمس دقائق ليصل واحدهما

www.rewity.com
عيون
www.alkottob.com

للآخر. كان الناس يربتون على ظهريهما، ويرفعون إبهاماتهم، ويهتفون بكل ألفاظ التهنئة. اكتفت كيلي بالابتسام، هزّت رأسها وتابعت التقدم عبر الأجساد حولها والتي كانت تقف عائقاً بينها وبين دايفيد.

التقيا في الرواق عند نهاية القاعة. كان وجه دايفيد متنبهاً وغاضباً تقريباً وخالياً من أي تعبير. كانت يداه إلى جانبيه. عندما لم تجد كيلي أي ترحيب من قبله، ضمت نفسها بنوع من الحماية. لكن بعد رفضها الأخير، كان عليها أن تقوم بالخطوة الأولى، أليس كذلك؟ ابتلعت لعابها، صلّت وفتحت ذراعيها واحتضنته.

وقف من دون حراك، وقد تصلب جسده، ثم وببطء ارتفعت ذراعاه لتلتقا حولها وتضمانها بقوة. على الرغم من أصوات الفرح الصادرة عن الحضور إلاّ أن كيلي لم تستطع سماع سوى شكراً لله، شكراً لله! يتردّد في عقلها. كل ما استطاعت الشعور به كان خفقان قلب دايفيد على صدرها، والشعور بالفرح الذي كان يهدّد برفعها من بين ذراعيه والتحليق بها نحو السقف.

وجدت شفتا دايفيد أذنها. «مرحباً، يا صهباء.» قال وهو يحتضنها مجدداً.

«لماذا ذهبت؟» صرخت عندما هدأ الحاضرون.

لامس أذنها بشفتيه وقال: «لقد تعرضت صن شاين لحادث سيارة. مجرد معصم مكسور وارتجاج.» أضاف بسرعة عندما انسحبت من بين ذراعيه لتحملق به برعب.

في اللحظة نفسها، أعلن الرئيس: «عدد الموافقين هو ألفاً واثنا عشر صوتاً.» وانفجر المؤيدون بعاصفة جديدة من التهنئة الذاتية.

همس دايفيد في أذنها: «لنخرج من هنا!»

أسرعا نحو المخرج، كانت تتناهى إلى مسامعها أصوات

الرافضين مليئة بمرارة الهزيمة. نظرت كيلي إلى الخلف لترى ليلاند هاورد وعلى وجهه عبوس بشع، ثم خرجت ودايفيد إلى هدوء البهو.

«إذاً، فإن صن شاين بخير. أوه، دايفيد، أنا سعيدة جداً!» قالت بينما أمسكها من يدها. «وقد ربحنا! لقد ربحنا حقاً!»

«سمعت أن لك فضلاً كبيراً في ذلك.» قال مبتسماً ورافقها إلى الليلة المقمرة الدافئة.

«هذا أقل ما أمكنني القيام به بعد أن كنت بلهاء لدرجة أنني سمحت لهاورد بأن يستغلني بهذه الطريقة.» قالت وهما يسرعان الخطى في نزول الدرج. «كان يجب علي أن اصغي إليك.»

«سوف يكون ذلك كبداية!» قال بطريقة جافة. رافقها إلى شاحنته المتوقفة إلى جانب الطريق من جراء امتلاء موقف المدرسة.

«وكان عليّ أن أثق بك.» أضافت برقة، بينما انسلّت عبر الباب الذي فتحه لها وجلست على المقعد. «أنا آسفة جداً لما حدث، يا دايفيد. لو استعملت عقلي، أو عيني...» أو قلبي «...لكنت لاحظت أنه لا يمكنك القيام بأي عمل غير شريف. السبب هو...»

«أعلم.» وضع اصبعه على شفتيها، مانعاً الكلمات. «أعلم.» أغلق بابها بهدوء.

بقي صامتاً وهو يقود على طريق غير مألوفة لكيلي. راقبت عبوسه وهي تتساءل، لكن راضية بالذهاب إلى حيث يشاء. كان يفكر بعمق بشيء ما.

رفعت نظرها عندما توقفت الشاحنة، لتجد أنه قادها إلى شاطىء المدينة. تحت قمر غير مكتمل، كان خط فضي يحدّد تقوس الشاطىء على امتداد مستوى النظر. استدار دايفيد لجهة بابها

www.alkottob.com

وفتحه لها. «أنا مدين لك باعتذار، أيضاً.» قال وبينما هي انسلّت خارجاً لتقف في مواجهته. «لقد فكرت بك وكانك ويللو أخرى.»

«والدة صن شاين.» قدّرت، وهي تخلع حذاءها.

«صح.» أمسك بذراعها وقادها نزولاً نحو الشاطىء. وصلا إلى الخط المتموج حيث كانت الأمواج المتلألئة تحت ضوء القمر، تتكسر على الرمال ثم تتراجع مطلقة صوتاً حفيفاً ناعماً. مشيا متعانقين بمحاذاة الخط ذي اللونين الفضي والأسود، كانت كيلي تبلّل قدميها ودايفيد يدوس على الرمل الجاف. «على كل حال، لقد راقبت ويللو تتردد على المستشفى هذا الأسبوع، وأدركت كم كنت على خطأ.» تابع. «أنتما تشبهان بعضكما بعضاً كثيراً، في الأمور السطحية. لكن لا في الأمور المهمة.»

«كيف هو شكلها؟»

إنها مثال المرأة الكاليفورنية المتحررة العقل... الابنة المدلّلة لعائلة لا تهتم بالتقاليد. إنها نباتية مثلك، لكن بصورة هوائية فقط... وتؤمن بالكريستال وعلم الفلك والاتصال بالأرواح، والله وحده يعلم الأمور الأخرى. ظننت أنه نوع من الابداع عندما بدأنا بالخروج معاً لسنوات خلال الجامعة. لكن ما أن... ما أن أصبحت حاملاً، عندها لاحظت أنه ليست لديها النية في الزواج مني... أو من أي شخص آخر...» أطلق تنهيدة غضب. «أنه لم يكن لديها النية في الاستقرار أو الارتباط بشيء سوى بنزواتها الآنية...»

«لا بدّ أن ذلك كان صعباً.» تعاطفت كيلي معه.

«بامكانك قول ذلك.» وافقها باستياء. «أجبرتني على مجاراتها عدة سنوات. أملت دائماً أن تنضج وتلتفت لصوت العقل. وهي، كانت تحبذ الارتباط برجل على أساس مؤقت ومن

دون ارتباطات جدية. لكنها لم تكن لتقيد نفسها برجل واحد إلى الأبد. أدركت ذلك أخيراً وتخليت عن الأمر. منذ ذلك الحين وخلال ذلك أصبحت والداً. إنها تدعني أدفع نفقة للفتاة، وبالمقابل، تسمح لي برؤية صن شاين، لكن الأمر ليس كعائلة. ليس هذا ما أريده.»

«وكيف نحن مختلفتان؟» سألت كيلي برقة وهي تدفعه برفق على الرمل بينما لامست موجة حذاءه. «إنها مثل فراشة.» قال: «تنتقل من زهرة إلى زهرة، لن تبقى في أي مكان لفترة طويلة. حتى أنها بدأت تتعب من كونها أماً، أظن. تحدثت عن انتقالها إلى هاواي، أو وبما بالي أو نيو زيلاند. لم تخبرني بعد، لكنني أظن... أنا أصلي... أنه إذا موّلت هذه المغامرة، سوف تترك لي أمر رعاية صنّ شاين خلال فترة سنواتها الدراسية الثانوية.»

«أوه، يا دايفيد، أنا سعيدة لأجلك!» استدارت كيلي لتحتضنه. «إذاً، سوف تصبح لديك عائلة!» ادركت، أخيراً، أن هذا ما أراده دائماً، لكن هل أراد أي شيء آخر... أحداً آخر... بالاضافة؟ «كنت تقول إنني مختلفة؟» قالت بسرعة وهي تنظر إليه.

«أجل. أنت تبدئين بالخفة.» قال. «ثم تأخذين بالارتقاء بجنون.» كانت هناك نبرة ضحك مبطنة في صوته، وذراعاه تشتدان حولها.

«مثل الدجاجة التي تجلس على بيضها.» قالت موافقة إياه الرأي.

ضحك بصوت عالٍ وقال: «مثل شيء أكثر ظرافة، مكانك، كنت قلت، عصفوراً أزرق، إذا لم يكن اللون خاطئاً. لكن بلى، هذا هو بالتحديد. أنت تعششين.» مرّر طرف اصبعه على وجنتها. «لطالما أحببت فكرة العش. مكان آمن وحميم للعودة إليه كمنزل.»

www.alkottob.com

هذا ما أريده أيضاً فكرت، محاولة إيصال التعبير إلى عينيه المضاءتين بنور القمر. لسنا مختلفين البتة، أليس كذلك؟

تابعا السير في اللحظة التي تكسرت بها موجة على كاحليهما. تراجع دايفيد ضاحكاً ونزع حذاءه. وتركها لتجف بعيداً عن الماء ومشيا يداً بيد. «اعتقدت من تلك الرسالة التي تركتها مع الجليسة، أنك لن تعود أبداً.»

«هل كنت تبالين لو لم أعد؟» سأل دايفيد، بنبرة عادية جداً.

«أجل.» اعترفت برقة ثم تراجعت عن ذلك الاعتراف. «أنت صديقي.»

خشن صوته وقال: «أنت تعقدين الصداقات بسرعة، في حال أنك لم تلاحظي.»

كيلي الخجولة والغريبة الأطوار تحصل على الأصدقاء بسهولة؟ كان ذلك صعب التصديق. لكن في نظرة إلى الوراء، في الأشهر القليلة الماضية، أجل، بدت الحياة فجأة مليئة بأناس رائعين.

«لكن لا أحد مثلك.» قالت وأصابعها تتشابك بقوة مع أصابعه.

«أي نوع من الأصدقاء أنا؟» سألها دايفيد وهو يسحبها لتواجهه.

النوع الذي يمكنني أن أغرم به وها هو الحب يهبط عليها بكل بهائه المخيف. إن بامكانها أن تحبه، وإن لم يستطع دايفيد مقابلتها بالمثل، سوف تصبح وحيدة وتائهة إلى الأبد، مهما عقدت من صداقات. كادت جسامة أفكارها أن تخنقها، فحملقت به عاجزة عن الكلام.

انتظر، ولما لم تتكلم، افلتها. مرّت فوقهما غمامة حجبت ضوء القمر ولفهما ظلام بارد. «كلا، كنت ساعود.» قال

أخيراً وصوته قاسٍ تقريباً. «ما يزال لديّ عمل عالقاً هنا.»

أحست بوجع عندما ابتلعت ريقها. «ما... ما هو؟»

«أنت...» قال دايفيد، وهو يتقدم لدرجة أنهما كادا يتلاصقان. «لأنه إذا أعجبك أم لم يعجبك، يا كيلي شوشارد، جاهزة أم لا، سوف أغازلك.»

بدت ضحكتها أشبه بنحيب، وهزّت رأسها مستغربة ذلك. أوه، دايفيد! هل سيعطيها تلك الفرصة الثانية؟

أمسكها من كتفيها. «سوف أفعل، يا كيلي! يمكنك الارتباط معي بصورة غير جدّية. أريدك في بيتي. أريدك في حياتي. هذا هو الأمر بكل البساطة والنقاوة.»

«بهذه البساطة؟» ارتجف الفرح في صوتها فيما هو يعانقها.

بهذه البساطة! تجاوبت عناقه تقابلت ضربات قلبيهما بينما كانت الأمواج تلمع حول كاحليهما عندما رقص القمر وخرج من مخبئه.

دفنت كيلي وجهها في كتفه. شهقت بارتجاف بينما مرّر وجهه ذهاباً وإياباً عبر شعرها. «أتعرف.» تمتمت. «لقد فكرت كثيراً منذ رحيلك، و... بالنسبة لذلك الغزل؟»

«ممم؟» رفع لها وجهها ليقبل طرف أنفها، ويلثم خدها.

«هل بامكاننا أن نجعله قصير الأمد؟» سألت، ضاحكة وعانقته.

وهكذا فعلا.

تمت

www.rewity.com
عيون الهوى
www.alkottob.com